الإهداء

بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي الحادي عشر خلال الفترة 22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر – 2 جمادى الأول 1447هـ أهدي هذه النسخة الخاصة إلى المشاركين في المؤتمر، وإلى الباحثين والمسؤولين وأصحاب القرار وصناعه في الدول العربية والإسلامية، وإلى كل من يرغب في فهم العلاقة بين اللغة العربية والعرب، وارتباط العربية بالهوية الإسلامية، وذلك وفق قراءة جديدة، تهدف إلى فهم العلاقة بين اللغة العربية والعرب من ناحية، واللغة العربية والإسلام من ناحية أخرى. وكيف أن الله أوجب على كل مسلم تعلمها بصفتها متطلبًا أساسيًا لفهم الإسلام، وفق القاعدة الشرعية التي تنص على أن "**ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب**"، وآمل أن يتيح هذا الكتاب الفرصة لمن يرغب في فهم المكانة العالمية والكونية للغة العربية، والتعمق بشكل أكبر في دراسة تاريخها واستيعاب مكانتها وتميزها على غيرها من اللغات، لأن الله اختارها وميزها وشرعها بآيات قرآنية، وأوجبها على المسلمين بصفتها جزءًا من التنزيل للقرآن الكريم.

علي عبدالله موسى

22 أكتوبر 2025م

هذا القرار والتشريع الرباني، الذي جعل اللسان العربي، لسان كوني، وجزء أساس من التنزيل والقرآن الكريم، الذي ميزه عن بقية الألسن التي وصفها اللّه بالأعجمية، وجعل تعلمه وتعليمه ومعرفته فريضة على جميع المسلمين.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (195) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (196) أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (197) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (198) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (199)﴾.

سورة الشعراء

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

0	الإهداء	1
1	يوم لا تملك نفس لنفس شيئا	5
2	السياق الذي تطورت من خلاله اللغة العربية	8
3	المقدمة المنهجية	11
4	الغاية من خلق الإنسان والخلافة في الأرض	18
5	أول بيت وضع للناس	20
6	تاريخ الرسل والأنبياء	21
7	الإسلام وذرية آدم ونوح عليهما السلام	22
8	دعوة نوح والطوفان العظيم	23
9	الحضارات في شبه الجزيرة العربية	24
10	الطوفان والبيت العتيق	25
11	صلة إبراهيم بنوح عليهما السلام والطوفان والبيت العتيق	25
12	إبراهيم ومكة والزواج من هاجر	26
13	سارة وهاجر وابناهما	27
14	إبراهيم وهاجر وابنهما في وادي مكة	28
15	ظهور مياه زمزم وقدوم الرعاة إلى وادي مكة	29
16	واقع اللغة في وادي مكة قبل بناء الكعبة	30
17	عودة إبراهيم إلى مكة وإعادة بناء الكعبة	31
18	انتهاء بناء الكعبة وأذان إبراهيم في الناس بالحج	32
19	ارتباط مشاعر الحج بإبراهيم وهاجر وإسماعيل	33
20	إبراهيم والهوية الإسلامية، والتبشير بالرسول والكتاب	34
21	النقوش واللغات في شبه الجزيرة العربية	36
22	نشأة اللغة العربية وعلاقتها بالحج	37
23	الهوية العربية والانتساب إلى العربية	40
24	اللغة العربية لغة غير عرقية أو عنصرية	43
25	تميز اللغة العربية بالأسواق	44

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

26	أول تكريم في تاريخ اللغة والشعر	46
27	مكانة الشعراء وعلاقتهم باللغات	48
28	تطور ملكة الحفظ عند العرب ومحاربة العجمة واللحن	49
29	الوحدة اللغوية وتهيئة العرب للرسالة الخالدة	50
30	انتشار اللغة العربية وتأثيرها على اللغات واللهجات	50
31	اشتهار مكة والكعبة وغزوها من قبل أبرهة الحبشي	51
32	الشرك وعبادة الأصنام	53
33	ولادة محمد بن عبد الله ونزول الوحي عليه	54
34	لماذا القرآن الكريم؟	56
35	خاتم الرسالات وخاتم المرسلين	58
36	نزول الوحي (القرآن الكريم) من الله باللسان العربي	60
37	وجوب تعلم العربية وتعليمها شرعًا	65
38	هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة	68
39	معارضة أهل مكة وغيرهم للرسول والقرآن	69
40	الهجرة الثانية وتأسيس دولة الإسلام في المدينة المنورة	71
41	علاقة اللغة العربية والدين بالحكم والولاء والطاعة	74
42	كونية اللغة العربية وعالميتها	77
43	اللغة العربية في عهد النبوة	79
44	اللغة العربية في عهد الخلفاء الراشدين الأربعة	80
45	الهوية واللغة العربية لليهود والنصارى العرب	80
46	انتشار اللغة العربية وتنوع العلوم في الأقطار الإسلامية	82
47	انتشار اللغة العربية في العصر الأموي والعباسي	86
48	اللغة العربية في الأندلس ودورها في انتقال العلوم للأوروبيين	87
49	آراء علماء الغرب في علوم العرب ولغتهم	90
50	تزوير التاريخ وصناعة الكراهية	93
51	مراجعات تاريخية في ومضات	94

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

52	تراجع اللغة العربية ونهاية الحكم العربي والإسلامي	110
53	هل من عودة عربية إسلامية؟	113
54	ظهور تركيا العلمانية وعودة الحكم العربي والإسلامي للجزيرة العربية	114
55	الاستعمار واحتلال العالم العربي والإسلامي ومحاربة اللغة العربية	116
56	احتلال فلسطين واستنزاف العرب والمسلمين	121
57	استقلال الدول العربية والإسلامية واللغة العربية	124
58	جهود النصارى العرب في خدمة اللغة العربية	127
59	اللغة العربية في الدول الإسلامية	129
60	غياب السياسات اللغوية في الدول العربية والإسلامية	130
61	اللغة العربية الفصحى	131
62	اللهجات والعاميات العربية	132
63	تعلم اللغات الأجنبية واللغة العربية	134
64	الفرق بين اللغة العربية واللغات الأجنبية	135
65	الكتب السماوية واللغات الأصلية والأنبياء والرسل	136
66	تميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات الأجنبية	140
67	تأسيس جامعة الدول العربية (22 مارس 1945)	141
68	اللغة العربية في الأمم المتحدة ومنظماتها (18 ديسمبر 1973)	143
69	اللغة العربية في الاتحاد الإفريقي (25 مايو 1963)	144
70	اللغة العربية في منظمة التعاون الإسلامي (25 سبتمبر 1969)	145
71	ماهي المشكلة؟ وما هو الحل للغة التعليم في التعليم العالي العربي والإسلامي؟	146
72	الجامعة الوطنية	152
73	دبلوم اللغة الأجنبية أو اللغة العربية في الجامعات العربية والإسلامية	153
74	(74) الخطة الدراسية لدبلوم اللغة العربية واللغة الأجنبية - الجزء الأول	154
75	(75) الخطة الدراسية لدبلوم اللغة العربية واللغة الأجنبية - الجزء الثاني	155
76	الترجمة العلمية في مؤسسات التعليم العالي العربي والإسلامي؟	156
77	العرب في ميزان القوى العالمية	157
78	الخاتمة	159

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

بسم اللّه الرحمن الرحيم القائل:

﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31)﴾ سورة النمل

أيُّها النّاسُ،

اسْمَعُوا وَعُوْا،

وبلّغُوا،

"فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سامِع"

ثمّ أمّا بعد،

أيها القارئ الكريم، ليس من الضروري أن تتفق معي حول ما ذهبت إليه في هذا الكتاب، ولكن من الضرورة بمكان، أن تعرف رأيي جيدًا، وأن تقرأه وتلم به، حتى يكون اتفاقك أو عدم اتفاقك معي، مبنيًّا على علم ومعرفة واطلاع، لا على حكم مسبق مبني على آراء وقراءات وأحكام غير حقيقية، أو نتيجة أهواء ومصالح شخصية، تعتمد على أساليب منحازة لتوجهات سياسية أو دينية أو فكرية أو فئوية أو عرقية أو طائفية أو شعوبية أو غيرها من التوجهات المنحازة التي لا ترغب في معرفة الحقيقة التي تتعارض معها. وقد أعددت هذا المؤلف في صيغته الأولية؛ لفتح النقاش والحوار والتوثيق، والتذكير بالرؤية القرآنية للهويتين العربية والإسلامية، وذلك في سياق تاريخي وديني، ليكون بداية لأعمال بحثية ودراسات معمقة، يقوم بها الباحثون ومراكز الأبحاث في المؤسسات الحكومية والأهلية، بهدف فهم الهويتين العربية والإسلامية وكونيتهما.

(1) يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا

ألستم محاسبين، وإلى الله عائدون، وعن الذي أنتم فيه زائلون. نعم نحن وأنتم عوامل متغيرة وزائلة، والثابت هو المكان والكون ومن يُسيّره؛ لهذا عليكم أن تقتنعوا أنكم مطالبون بمواقف

جميع الحقوق محفوظة © علي عبداللّه موسى

أكثر علمية ومنهجية، وموضوعية وعقلانية، وأعظم مسؤولية، وأن تتحلوا بإيثار المصالح العليا على المصالح الدنيا والخاصة، وأن تتمسكوا بالمصداقية مع الله، ثم مع أنفسكم التي يعلم الله سرها وجهرها، وتذكروا أن من يحارب اللغة العربية ويهمشها ويقصيها من البيت والمدرسة والإدارة وسوق العمل والتعليم والثقافة والإعلام وغيرها من الأماكن، فإنه يحارب الله ورسوله وأولي الأمر والقرآن والإسلام، مهما رفع من شعارات التطور واللحاق بالعالم المتقدم والتواصل العلمي والمعرفي، أو تقنع بأقنعة عرقية أو طائفية أو وطنية أو شعوبية أو تنموية أو أمنية أو غيرها من الحجج، وهذا لا يعني عدم مطالبتنا وإلحاحنا على تعلم اللغات الأخرى، فكم هو جميل أن نتقن عددًا من اللغات بالإضافة إلى اللغة العربية الأساسية، وأن نطّلع على علوم وحضارات وثقافات المجتمعات الأخرى، ونأخذ منها كل ما ينفعنا، وما يتوافق مع قيمنا وثقافتنا ومصالحنا، وكل ما يزيد من قوتنا ومنعتنا واستقلالنا وسيادتنا، لا تبعيتنا، ونتجنب ما يضر بنا، ولكن ليس قبل تعلم وتعليم اللغة العربية وإتقانها والتمكن منها كما أوجبها الله على كل مسلم بنص القرآن الكريم؛ لأنها جزء من التنزيل، ولا يجب أن نعتذر أو نمالي أو نداري، إذا طالبنا بتعلم وتعليم اللغة العربية لأسباب تتعلق بالهوية والسيادة والاستقلال والوحدة الوطنية، والأمن الوطني واللغوي، وإنتاج الأجيال القادمة، وتواصل الأجيال، والمحافظة على المرجعيات والثوابت الدينية، والرموز والقيادات الوطنية

أن من يحارب اللغة العربية ويهمشها ويقصيها من البيت والمدرسة والإدارة وسوق العمل والتعليم والثقافة والإعلام وغيرها من الأماكن، فإنه يحارب الله ورسوله وأولي الأمر والقرآن والإسلام، مهما رفع من شعارات التطور، واللحاق بالعالم المتقدم، والتواصل العلمي والمعرفي، أو تقنع بأقنعة عرقية أو طائفية أو وطنية أو شعوبية أو تنموية أو أمنية أو غيرها من الحجج.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

والتاريخية والعربية والإسلامية وتاريخها المجيد، التي يعترف بها الأعداء قبل الأصدقاء، وليس العيب أبدًا في اللغة العربية واعتمادها والعمل بها في شؤون الحياة جميعها، ولكن العيب الحقيقي يكون في ضعف من يروج للغات الأجنبية على حساب اللغة العربية، سواء كان ضعفه في لغته العربية، أم في اللغة الأجنبية التي يتعصب لها، وهو لا يتقن منها سوى المحادثة، أما القراءة والكتابة فهو بعيد عنها، كما أن أخطر العيوب ضعف الترجمة في الدول العربية والإسلامية، وغياب السياسات اللغوية المتعلقة بتنشئة المواطن الصالح في الأسرة والتعليم والإدارة والإعلام وسوق العمل، وغيرها من شؤون الحياة اليومية في الدول العربية والإسلامية، هذه السياسات مهمة للغاية للغة العربية واللغات الأخرى المعتمدة في الدول المتقدمة، التي تنظم أوضاع اللغات الوطنية والأجنبية. والعرب والمسلمون ليسوا أقل مكانة وأهمية من غيرهم من الشعوب والأمم، التي تنافس العالم بلغاتها الوطنية، على الرغم من حداثة تاريخ دولهم ولغاتهم، مقارنة بتاريخ العرب والمسلمين، واللغة العربية العظيمة، من أجل ذلك، نذكر بالمحاسبة الذاتية للنفس عند المسلم الحقيقي الذي يؤمن بالله ويخشاه في السراء والضراء، قبل المحاسبة من المجتمع والدولة ومن الله، وكما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَت (1) وَإِذَا ٱلكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَت (2) وَإِذَا ٱلبِحَارُ فُجِّرَت (3) وَإِذَا ٱلقُبُورُ بُعثِرَت (4) عَلِمَت نَفسٌ مَّا قَدَّمَت وَأَخَّرَت (5) يَٰٓأَيُّهَا ٱلإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلكَرِيمِ (6) ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ (7) فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ (8)

وهذا لا يعني عدم مطالبتنا وإلحاحنا على تعلم اللغات الأخرى، فكم هو جميل أن نتقن عددًا من اللغات بالإضافة إلى اللغة العربية الأساسية، وأن نطّلع على علوم وحضارات وثقافات المجتمعات الأخرى، ونأخذ منها كل ما ينفعنا، وما يتوافق مع قيمنا وثقافتنا ومصالحنا، وكل ما يزيد من قوتنا ومنعتنا واستقلالنا وسيادتنا، لا تبعيتنا، ونتجنب ما يضر بنا، ولكن ليس قبل تعلم وتعليم اللغة العربية وإتقانها والتمكن منها كما أوجبها الله على كل مسلم بنص القرآن الكريم

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

كَلَّا بَل تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ (9) وَإِنَّ عَلَيكُم لَحَٰفِظِينَ (10) كِرَامًا كَٰتِبِينَ (11) يَعلَمُونَ مَا تَفعَلُونَ (12) إِنَّ ٱلأَبرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ ٱلفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14) يَصلَونَهَا يَومَ ٱلدِّينِ (15) وَمَا هُم عَنهَا بِغَآئِبِينَ (16) وَمَآ أَدرَىٰكَ مَا يَومُ ٱلدِّينِ (17) ثُمَّ مَآ أَدرَىٰكَ مَا يَومُ ٱلدِّينِ (18) يَومَ لَا تَملِكُ نَفسٌ لِّنَفسٍ شَيـًٔا وَٱلأَمرُ يَومَئِذٖ لِّلَّهِ (19)﴾ سورة الانفطار.

(2) السياق الذي تطورت من خلاله اللغة العربية

تم تأليف هذا الكتاب وفق سياق تاريخي رباني كوني، مدعوم بالآيات القرآنية الكريمة، ولا يمكن للعربي والمسلم وغيرهما من أتباع الديانات الأخرى، تجاوز هذه الحقائق والمسلمات الكونية، التي حصلت عبر التاريخ، ووردت في الكتب السماوية، ولا سيما في القراءات التوراتية والإنجيلية. هذا السياق مرتبط بخلق الإنسان ودوره في الحياة، مع التركيز على الجانب الإسلامي، بصفته الركيزة الرئيسية عند جميع الأنبياء والرسل الذين يصفون أنفسهم ويصفهم القرآن بأنهم مسلمون. قال تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (84) وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85)﴾ سورة آل عمران. ومهما اختلف الخلق في ألسنتهم وألوانهم وأوطانهم، غير أن الغاية من خلقهم هي الاستسلام لله وطاعته، وقد ساوى الله بينهم أنهم جميعًا خلق الله، وأنهم إليه راجعون. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (14)﴾ سورة الحجرات.

وبما أن الهدف من خلق الإنسان هو عبادة الله، فقد ارتبط هذا المخلوق بأول بيت وضع للناس، وذلك بصفته خليفة الله في الأرض، ومن هنا تأتي أهمية السياق التاريخي المتبع في هذا الكتاب للوصول إلى الغاية التي ترتبط بالهويتين العربية والإسلامية، إضافة إلى دفع الباحثين الجادين لقراءة تاريخ اللغة العربية وعلاقتها بالهوية العربية بشكل معمق، وذلك لما تتميز به من حقائق تاريخية وعلمية عبر العصور المختلفة.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

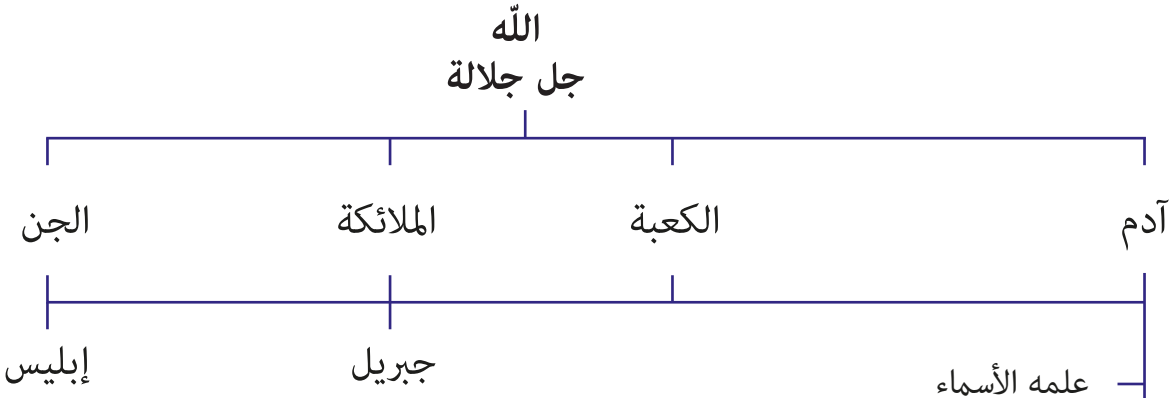

- علمه الأسماء
- ذرية آدم
- الأنبياء والرسل
- نوح
- قوم نوح
- الطوفان
- هدم الكعبة
- علاقة نوح بإبراهيم
- زواج إبراهيم هاجر
- وادي مكة
- ولادة إسماعيل
- مغادرة إبراهيم لوادي مكة
- هاجر وإسماعيل والصفا والمروة وماء زمزم
- مجيء أفئدة من الناس إلى زمزم
- عودة إبراهيم إلى مكة
- إرشاد الله إبراهيم إلى مكان البيت
- الحفر والوصول إلى القواعد
- إعادة بناء البيت
- الأذان في الناس بالحج
- وصول الحجاج إلى البيت العتيق
- تنوع أعراق ولغات الحجاج وأجناسهم
- تنوع التجار والتجارة والحج والرحلات بين الشمال والجنوب والشرق والغرب
- السكن والاستيطان في مكة
- الاندماج والتفاعل بين الناس وظهور اللغة العربية
- تطور اللغة العربية وتمسك الناس بها وترك لغاتهم
- انتشار العربية مع الحجاج والمسافرين والقوافل التجارية والرحالة

جميع الحقوق محفوظة © علي عبداللّه موسى

- استيطان العربية في أقاليم مختلفة
- اشتهار العربية بالشعر والخطابة
- اللغة والشعر وأسواق العرب
- تكريم الشعر ورفع القصائد على جدران الكعبة
- قوة مكة المكرمة الدينية والتجارية والثقافية واللغوية
- ظهور الرسل والأنبياء بعد إبراهيم في أقوام آخرين
- استمرار الحج والرحلات التجارية إلى مكة واشتهارها
- العداء لمكة ومحاربتها من قبل القوى المؤثرة
- غزو أبرهة للكعبة والطير الأبابيل
- انتشار الشرك والخرافات عبر مئات السنين
- ولادة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
- نزول القرآن على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
- الدعوة إلى الإسلام والمواجهة بين الرسول وأهل مكة وغيرهم
- قيام دولة الإسلام في المدينة وارتباط اللغة العربية بها
- تحول اللغة العربية إلى لغة كونية وعالمية
- انتشار اللغة العربية مع الإسلام بشكل أقوى من قبل الإسلام
- اللغة العربية والعبادة والحكم والإدارة في الدولة الإسلامية
- الأعراق المختلفة والإسلام واللغة العربية
- اللغة العربية والعلوم والترجمة
- انتقال العلوم والمعارف للغرب عبر الأندلس
- سقوط الحكم العربي الإسلامي العباسي
- ظهور الحكم العثماني وتراجع العربية والحكم العربي الإسلامي لأكثر من 400 عام
- سقوط الحكم العربي الإسلامي الأندلسي الأموي
- ضعف الحكم العثماني
- ظهور الاستعمار الغربي ومحاربة اللغة العربية والإسلام
- سقوط الحكم العثماني وتوزيع الأقاليم العربية والإسلامية
- استقلال الدول العربية من الاستعمار وعودة اللغة العربية
- استمرار الصراع اللغوي والعولمة والمصالح العالمية
- الطلب العالمي على اللغة العربية
- غزو اللغات الأجنبية للدول العربية والإسلامية
- حروب اللغات واستغلال النفوذ
- الهويات الكبرى والصغرى ودور اللغات في التفكيك والتقسيم والحروب

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(3) المقدمة المنهجية

يدور النقاش والحوار، وتقام الحروب المختلفة والمتنوعة ضد اللغة العربية من أطراف كثيرة، ولأسباب متنوعة، والكثير منها يعتمد على الحجج والروايات التاريخية المفتعلة والمزورة، وأخرى موجهة لأغراض سياسية، وأطماع أجنبية، ومصالح فئوية، إضافة إلى تبعية البعض للخارج ضمن مجموعات المصالح المتنوعة، بينما أكثر المُعادين للغة العربية ينقلون عن بعضهم، دون النظر في موضوع اللغة العربية من وجهة نظر صادقة ومحايدة، تبحث عن الحقيقة التاريخية، بشفافية وبرؤية مستقلة وأمانة علمية.

لهذا؛ فإننا نأخذ الدروس والعبر من الحضارات والأمم والشعوب والأديان التي سبقت عبر القرون والأزمنة الماضية، وحتى يومنا هذا، الذي يشهد على التراكم الكبير من الكتب والمؤلفات، والمقالات، إضافة إلى عقد المؤتمرات، وتأسيس الأقسام ومراكز الأبحاث، بهدف إضعاف اللغة العربية، وزرع الشكوك في قدرتها ومكانتها العلمية والحضارية واللسانية، وقدرتها على استيعاب ما ينتج من علوم ومعارف ومصطلحات ومفاهيم علمية وصناعية وتقنية وتنموية وتجارية وعسكرية وأمنية وثقافية وغيرها. ذلك كله؛ لأن اللسان العربي تميز عن لغات العالم المعاصر جميعها أنه جزء من آخر رسالة سماوية؛ لهذا كُثِّفت الجهود لإضعاف اللغة العربية في الدول العربية والإسلامية، ما أدّى لتراجع اللغة العربية الفصيحة فيها على حساب العاميات والأجنبيات، بضغوط

> **لهذا لا يوجد إبداع، ولا تطور علمي أو معرفي أو صناعي أو تقني، أو ما يجعل العرب والمسلمين ضمن الفئة المنافسة في العالم بالمجالات الحيوية والتنموية والصناعية، وذلك لغياب السياسات الاستراتيجية التي تتخذ من اللغة العربية منطلقًا للأهداف والسياسات الوطنية العليا، التي تعزز الهوية والاستقلال والسيادة والأمن والوحدة الوطنية، وعدم ربط اللغة العربية بالقدرة على الإنتاج بجوانبه كلها، حتى تتحقق الأهداف التنموية والتطور الحضاري، والاستدامة التي تؤدي إلى نهضة المجتمعات العربية والإسلامية**

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

داخلية وخارجية من أصحاب المصالح، الذين يعتمدون السياسات والمخططات والمشاريع والمبادرات، التي تستهدف الأمن والاستقرار والوحدة الوطنية؛ لهذا لا يوجد إبداع، ولا تطور علمي أو معرفي أو صناعي أو تقني، أو ما يجعل العرب والمسلمين ضمن الفئة المنافسة في العالم بالمجالات الحيوية والتنموية والصناعية، وذلك لغياب السياسات الاستراتيجية التي تتخذ من اللغوية العربية منطلقًا للأهداف والسياسات الوطنية العليا، التي تعزز الهوية والاستقلال والسيادة والأمن والوحدة الوطنية، وعدم ربط اللغة العربية بالقدرة على الإنتاج بجوانبه كلها، حتى تتحقق الأهداف التنموية والتطور الحضاري، والاستدامة التي تؤدي إلى نهضة المجتمعات العربية والإسلامية وتقدمها وازدهارها، وبروزها كقوة معاصرة، لها مكانتها ودورها ووظيفتها الحضارية والإنسانية، التي تهتم بتطوير منظومة القيم الأخلاقية، و بالشؤون المادية لخدمة البشرية، لتعويض العالم عن الفاقد الأخلاقي والإنساني في الحضارة الغربية الرأسمالية المادية المتوحشة، وتعزيز الدور الحضاري والإنساني والأخلاقي الذي ميز الله به العرب والمسلمين بصفتهم آخر أمة تحظى برسالة سماوية خاتمة. ولعله من المفيد التذكير، أن ممارسات بعض المجتمعات العربية والمسلمة لا تدل على قدرتها القيام بدور حضاري عالمي، ليس لأنها غير قادرة، ولكن لأنه غير مسموح لها القيام بهذه الأدوار؛ لهذا لا تتوقف صناعة الحروب تحت مسميات وعناوين وسياسات ومشاريع، يأتي في مقدمها زرع الكيان الاستعماري

ولعله من المفيد التذكير، أن ممارسات بعض المجتمعات العربية والمسلمة لا تدل على قدرتها القيام بدور حضاري عالمي، ليس لأنها غير قادرة، ولكن لأنه غير مسموح لها القيام بهذه الأدوار؛ لهذا لا تتوقف صناعة الحروب تحت مسميات وعناوين وسياسات ومشاريع، يأتي في مقدمها زرع الكيان الاستعماري الاستيطاني في فلسطين، التي يعود اسمها وتاريخها إلى حيث بدايات الكتابة والتاريخ، كما سيرد في الجزء الخاص بفلسطين في الصفحات القادمة.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

الاستيطاني في فلسطين، التي يعود اسمها وتاريخها إلى حيث بدايات الكتابة والتاريخ، كما سيرد في الجزء الخاص بفلسطين في الصفحات القادمة.

ونذكر بأن الغرب الرأسمالي المادي والليبرالي لم ينزل فيهم لا رسول ولا نبي ولا كتاب سماوي، وهم يتبنون النصرانية المحرفة، التي حرفت في عهد الرومان، واستمر التحريف يطالها من خلال التفسيرات والقراءات الدينية المحرفة والمفتعلة حتى صارت تبيح زواج المنحرفين والشواذ، وهذا ما لا يقبل به أي نصراني (مسيحي) عادي، فكيف بالقساوسة والرهبان، وتبقى الكنائس الشرقية ولا سيما العربية هي الأساس والأصل في الديانة النصرانية، وما زالوا يعيشون في مهد النصرانية الحقيقية.

لذلك فإن قراءة الغربيين للدين الإسلامي واللغة العربية لن تكون موثوقة؛ لأنهم ينطلقون من مرجعياتهم ومصالحهم العلمانية المادية، ومع هذا فإنهم ينشرون المسيحية التي حرفها الرومان ومن جاء بعدهم في كل مكان تطأ أقدامهم؛ لهذا فإن اعتمادنا على القراءة الدينية تعود لأن الأنبياء والرسل والكتب السماوية والمقدسات موجودة في أراضي العرب، ولو كانت في أراضيهم لفرضوها على العالم، مثل ما هم يفرضون الديمقراطية وغيرها من المفاهيم والمصطلحات التي تتعلق بثقافتهم وقيمهم وأعرافهم المادية الليبرالية، ويجبرون العالم على تبنيها بالقوة في كثير من الأحيان، بينما لا يلتزمون بها في دولهم حين لا تكون في صالحهم، كما هو في حرية التعبير والرأي والصحافة في الغرب اليوم.

لابد من أن يعرض تاريخ اللسان العربي من وجهة نظر ترتبط أولًا: بالهدف الرئيس الذي لأجله خلق الإنسان، وهو عبادة الله، وثانيًا: ارتباط اللسان العربي منذ بدايته بمشروع رباني متواصل، وفق السياق القرآني الكريم، وهذا السياق يأتي من كلام الله الذي تنطق به الآيات القرآنية، والذي يتعلق بالغاية الأساسية التي لأجلها خلق الله آدم وذريته من بعده، وهي عبادة الله، إضافة إلى اتصال ذلك بأول بيت وضع للناس (الكعبة المشرفة).

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

إن المتابع والمتتبع لكثير من الدراسات والآراء التي تؤرخ للغة العربية عبر العصور، لا يجد مرجعًا واحدًا يقدم رؤية واضحة، أو قراءة موثقة لتفسير العلاقة بين خلق الإنسان، وأول بيت وضع للناس، واللسان العربي، والدين الإسلامي، علاوة على غياب قراءة تاريخية لبدء اللغة العربية وتاريخ تطورها من وجهة نظر دينية تعتمد على القرآن، الذي يعد أهم كتاب تنطق روحه وفكره ومعانيه وآياته وتشريعاته وأحكامه وقصصه ورؤيته الكونية باللسان العربي، الذي تشكل عبر قرون منذ أُعيد بناء أول بيت وضع للناس، ليكون لسانًا لرسالة سماوية تتعدى النظرة المادية والعلمانية والتحيز التاريخي الذي يمارسه كثير من الكتاب والباحثين واللغويين والسياسيين المؤدلجين، الذين لا يمكن فصلهم عن تأثير ثقافتهم ولغاتهم وأعراقهم وأديانهم وسياساتهم ومرجعياتهم وثوابتهم وقيمهم، فلا يستطيعون الكتابة عن اللسان العربي بتجرد لإيضاح دوره الحضاري والتاريخي والكوني والعالمي والمستقبلي.

وهذا لا يعني عدم وجود قلة نادرة من المستشرقين الذين أنصفوا العربية والإسلام على الرغم من عدم تعمقهم في دراسة تاريخ العربية وتطورها عبر آلاف السنين.

كما أن المؤرخين العرب والمسلمين المهتمين باللسان العربي، لم يخدموا اللغة العربية ليبرزوا تاريخها بعمق، لقناعتهم المطلقة وثقتهم بلغة القرآن الكريم، انطلاقًا من ثقة الله بهذه اللغة الكريمة، التي تشرفت أن تكون لغة كلام الله (القرآن الكريم) بصفته آخر كتاب سماوي للعالمين، ولغة العبادة والإسلام.

> **يأتي الحج إلى أول بيت وضع للناس، ومشاعر الحج، والتجارة والترحال بين مكة والشمال والجنوب والشرق والغرب، لتنتشر معها اللغة العربية في أعماق الأرض، وتستوطن مع المتحدثين بها، الذين تعلموها ونقلوها معهم ووطنوها في بلدانهم ومناطقهم وأقاليمهم المختلفة؛ لأنها كانت تتميز عن غيرها من اللغات، وترتبط بحراك تجاري وديني ولغوي كبير، ووجدوا فيها فرصة للتواصل وتبادل المنافع مع الأمم والشعوب، التي تعربت بتعلم العربية في أماكن جغرافية.**

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

وبناء على ما تقدم، كان لابد من أن يعرض تاريخ اللسان العربي من وجهة نظر ترتبط أولًا: بالهدف الرئيس الذي لأجله خلق الإنسان، وهو عبادة الله، وثانيًا: ارتباط اللسان العربي منذ بدايته بمشروع رباني متواصل، وفق السياق القرآني الكريم، وهذا السياق يأتي من كلام الله الذي تنطق به الآيات القرآنية، والذي يتعلق بالغاية الأساسية التي لأجلها خلق الله آدم وذريته من بعده، وهي عبادة الله، إضافة إلى اتصال ذلك بأول بيت وضع للناس (الكعبة المشرفة)، والذي توجد حوله أكثر الأصول والثوابت التاريخية التي تتعلق باللسان العربي، مثل الشعر والأدب والبلاغة والبيان قبل الإسلام، والأسواق كانت منابر وساحات ومنتديات يتنافس فيها الشعراء، حتى وصل الشعر العربي إلى مكانة لا تضاهى ولا تقارن، وأصبح أجمل الشعر يكافأ بتعليقه على جدران الكعبة، ليكون في السياق الذي تطور الشعر واللغة العربية لأجله، دون إدراك وفهم من العرب وأهل مكة لما سيحلّ بهم. وعلاوة على ما سبق يأتي الحج إلى أول بيت وضع للناس، ومشاعر الحج، والتجارة والترحال بين مكة والشمال والجنوب والشرق والغرب، لتنتشر معها اللغة العربية في أعماق الأرض، وتستوطن مع المتحدثين بها، الذين تعلموها ونقلوها معهم ووطنوها في بلدانهم ومناطقهم وأقاليمهم المختلفة؛ لأنها كانت تتميز عن غيرها من اللغات، وترتبط بحراك تجاري وديني ولغوي كبير، ووجدوا فيها فرصة للتواصل وتبادل المنافع مع الأمم والشعوب، التي تعربت بتعلم العربية في أماكن جغرافية

> **هذا التميز اللغوي منح المنتسبين إلى العربية مهما تنوعت هوياتهم الصغرى نسبًا وشرفًا مرتبطًا بالهويات الكبرى المرتبطة بسلالة الأنبياء والرسل، وبرسالة سماوية حقيقية موثقة وغير مزورة أو محرفة، تمتد جذورها إلى بداية خلق آدم الذي علمه الله الأسماء، وميزه عن الملائكة، وجعله خليفة في الأرض، وهذا ما لم تحظ به شعوب ومجتمعات ولغات وثقافات متعددة ومتنوعة، وعريقة في تاريخها وحضارتها المادية والروحية.**

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

واسعة في تلك العصور، تلا ذلك قصة غزو أبرهة للكعبة، وولادة الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم-، ونزول القرآن. هذه الشواهد كلها تشهد بعظمة ومكانة وتاريخ اللغة العربية.

هذه القراءة التاريخية، سوف ترد على كثير من القراءات والسرديات المسيسة أو المفتعلة، التي تخدم مشاريع مغرضة ووافدة، ومتجددة عبر الأزمنة، تهدف لضرب الوحدة الوطنية، والتضامن والتكامل العربي والإسلامي في الدول العربية والإسلامية الحديثة، والفهم الحقيقي للهوية العربية، وعلاقتها بالإسلام، الذي يعلو ولا يعلى عليه.

كما أن هذا الطرح سيكشف المشاريع التي تستخدم اللغة العربية وغيرها من اللهجات والأجنبيات لأغراض التفكيك والتشكيك، واستغلال عدم فهم العرب والمسلمين لتاريخ لغتهم وهويتهم العربية والإسلامية، وغياب رغبتهم في البحث والتقصي والوصول إلى المعلومات والمعارف الحقيقية عن لغتهم العربية ضمن منهجية وآلية علمية تعتمد على مصادر موثوقة، وغير محرفة ومزورة. من هذا المنطلق تم اللجوء إلى السرد القرآني لإيضاح العلاقة بين تاريخ اللسان العربي والهويتين العربية والإسلامية، وذلك للقناعة العلمية القرآنية أن العروبة ارتبطت باللغة العربية التي تتعلق برسالة سماوية ميزت العرب المتحدثين بالعربية واختارتهم لقربهم من بيت الله الذي هو مركز الإسلام، منذ عصر آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل الذي تشكلت حوله اللغة والهوية العربية.

إن المنطق العلمي لهذا الكتاب ينطلق من القرآن الكريم بصفته المرجع الأول، الذي يربط الإنسان بخالقه الذي إليه المعاد، علاوة على الإيمان الكامل بهذه المسلمة والحقيقة القرآنية العلمية الربانية، التي يؤمن بها المسلم المدرك والعارف بالإسلام، إلا أن المجال مفتوح لمن لا يؤمن بالقرآن الكريم وما جاء فيه، أو غيرهم من المؤمنين به، الذين يعتمدون على المراجع الثانوية المادية غير الدينية، أو بعض المراجع الأجنبية المسيسة، للإضافة والتوسع في الشرح والتعليل والاعتراض.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (143)﴾ سورة البقرة.

هذا التميز اللغوي منح المنتسبين إلى العربية مهما تنوعت هوياتهم الصغرى نسبًا وشرفًا مرتبطًا بالهويات الكبرى المرتبطة بسلالة الأنبياء والرسل، وبرسالة سماوية حقيقية موثقة وغير مزورة أو محرفة، تمتد جذورها إلى بداية خلق آدم الذي علمه الله الأسماء، وميزه عن الملائكة، وجعله خليفة في الأرض، وهذا ما لم تحظ به شعوب ومجتمعات ولغات وثقافات متعددة ومتنوعة، وعريقة في تاريخها وحضارتها المادية والروحية.

وبناء على ما تقدم، فإن المنطق العلمي لهذا الكتاب ينطلق من القرآن الكريم بصفته المرجع الأول، الذي يربط الإنسان بخالقه الذي إليه المعاد، علاوة على الإيمان الكامل بهذه المسلمة والحقيقة القرآنية العلمية الربانية، التي يؤمن بها المسلم المدرك والعارف بالإسلام، إلا أن المجال مفتوح لمن لا يؤمن بالقرآن الكريم وما جاء فيه، أو غيرهم من المؤمنين به، الذين يعتمدون على المراجع الثانوية المادية غير الدينية، أو بعض المراجع الأجنبية المسيسة، للإضافة والتوسع في الشرح والتعليل والاعتراض، لكن بصورة علمية ومنهجية تعتمد على أصول موثقة وموثوقة، من أجل الحقيقة التي تعزز الاعتزاز بالهوية العربية والإسلامية لدى المواطنين في الدول العربية والإسلامية الحديثة، التي تفقد هويتها تدريجيًّا نتيجة غياب السياسات اللغوية، التي يجب أن تتبناها الدول للتركيز على الاعتزاز بالعربية الأصيلة في تكوينها السياسي والوطني والديني، علاوة على تنظيم شؤون العاميات واللغات الأجنبية في الدول العربية والإسلامية.

وأخيرًا، يلزم التأكيد أن العروبة لسان وهوية لكل من تحدث بها وأتقنها، بعيدًا عن الهويات السياسية أو العرقية أو الطائفية؛ لأنها من الهويات الكبرى التي تجمع وتؤاخي بين الأعراق والأديان المختلفة الإسلامية والنصرانية واليهودية وغيرها. وكما قال الشاعر نزار قباني:

إنّي أُحبكِ كي أبقى على صلةٍ .... باللهِ، بالأرضِ، بالتاريخِ، بالزمنِ

أنتِ البلادُ التي تعطي هويّتها .... من لا يحبّك يبقى دونما وطَن

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(4) الغاية من خلق الإنسان والخلافة في الأرض

لماذا خلق الله الجن والإنس؟

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)﴾ سورة الذاريات. حدد الله الغاية الأساسية التي لأجلها خلق آدم، وبعدها علمه الله الأسماء التي ستكون أداته لفهم دوره في الحياة، وعلاقته ببقية مخلوقات الله، وعلمه الكلام والحديث والفصاحة والبيان،

فقال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾، سورة الرحمن. والفصاحة والبيان من أهم خصائص الشخصية البشرية، وبما أن إرادة الله أن يكون آدم في الأرض، فكان يحتاج إلى أخذ درس في الجنة ليعرف طاعة الله، وليتجنب الشيطان الذي لم يسجد له، واعترض على خلقه، وتوعد بإغوائه وذريته من بعده، فقال تعالى:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (61) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (62) قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (63) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (65)﴾ سورة الإسراء.

لأجل ذلك، أسكن الله آدم وحواء الجنة، ونهاهما عن تلك الشجرة، فكانت قصة أول معصية لآدم وحواء بسبب الشيطان، عندما أكلا من الشجرة التي نهاهما الله عنها، بعد أن أغواهما الشيطان، ثم عفا الله عنهما، ليهبطا إلى الأرض التي أعدت لهما ولذريتهما من بعدهما، قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)﴾ سورة البقرة. ويعد خلق آدم من أهم القصص القرآني الذي يوضح دوره في الحياة ودور ذريته من بعده وبهذا جاء القرآن الكريم ليوضح العلاقة بين الله والملائكة والجن والإنس. وبناءً على ما تقدم فقد أدركت الملائكة عظم هذا المخلوق أمرهم الله بالسجود له، ولكن إبليس عصى واستكبر؛ لهذا أسكن الله آدم وزوجه الجنة،

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (36) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)﴾ سورة البقرة.

وقد عفا الله عنهما وأمرهما بالهبوط إلى الأرض، وحذرهما من الشيطان الرجيم.

من هنا كانت بداية الخلق التي توضح الغاية والوظيفة التي لأجلها خلق الله الإنسان. وذلك انطلاقًا من الحوار الذي دار بين الله والملائكة، وشكل أساسًا لمعرفة المسؤولية الملقاة على عاتق الإنسان منذ خلق الله آدم حتى نهاية البشرية؛ لهذا تميز الإنسان بمزايا وصفات منحها الله له، ولم تمنح للملائكة، ومنها علم الأسماء.

وبما أن الغاية من خلق الإنسان هي عبادة الله وطاعته، وطاعة أنبيائه ورسله والإيمان بكتبه، فقد هيّأ الله للإنسان وسائل العبادة المبينة في الكتب السماوية، وأرسل الأنبياء والرسل، وسن الشعائر للدين، فكان أول بيت وضع للناس، ليكون رمزًا للعبادة، يجتمع حوله الناس لتوحيد العبادة لله، باختلاف ألسنتهم وألوانهم وأعراقهم وأجناسهم وجنسياتهم ومذاهبهم وطوائفهم وهوياتهم، وليكون حجة عليهم ولهم.

وبما أن الغاية من خلق الإنسان هي عبادة الله وطاعته، وطاعة أنبيائه ورسله والإيمان بكتبه، فقد هيّأ الله للإنسان وسائل العبادة المبينة في الكتب السماوية، وأرسل الأنبياء والرسل، وسن الشعائر للدين، فكان أول بيت وضع للناس، ليكون رمزًا للعبادة، يجتمع حوله الناس لتوحيد العبادة لله، باختلاف ألسنتهم وألوانهم وأعراقهم وأجناسهم وجنسياتهم ومذاهبهم وطوائفهم وهوياتهم، وليكون حجة عليهم ولهم.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(5) أول بيت وضع للناس

عندما أراد الله أن يكون آدم وذريته خلفاء في الأرض، كان لزامًا أن يحدد الله لآدم كيفية العبادة والطاعة التي خلق من أجلها، وأن يضع له المكان الذي يتعبد فيه، لذلك وضع أول بيت للناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (96)﴾ سورة آل عمران. وهذا يدل على أن البيت قد وضع قبل خلق آدم، وفق السياق القرآني الكريم، إذ إن خلق الإنس كان لعبادة الله، وقد وضع الله لهم البيت لعبادته. وإذا كانت الغاية من خلق الإنس هي عبادة الله، فمن الطبيعي أن يعلم الله الإنسان وسيلة العبادة، ويضع له مكان العبادة، وهذا دليل على أن أول بيت كان بمشيئة ربانية خالصة. وقد أكدت الآيات الكريمة على أن البيت وضع لعبادة الله، بصفته قبلة تتجه إليها الأبصار والأفئدة، لتوحدهم وتساوي بينهم في عبادتهم ومناسكهم وصلاتهم لخالقهم. والدليل الآخر على أن الله هو من أمر ببناء أول بيت وضع للناس قبل أن يعيد بناءه إبراهيم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26)﴾ سورة البقرة. وفي هذه الآية الكريمة ما يدل على أن الله هو من دل إبراهيم على مكان البيت، وأن الله وحده هو من كان يعلم مكان البيت بعد الطوفان العظيم.

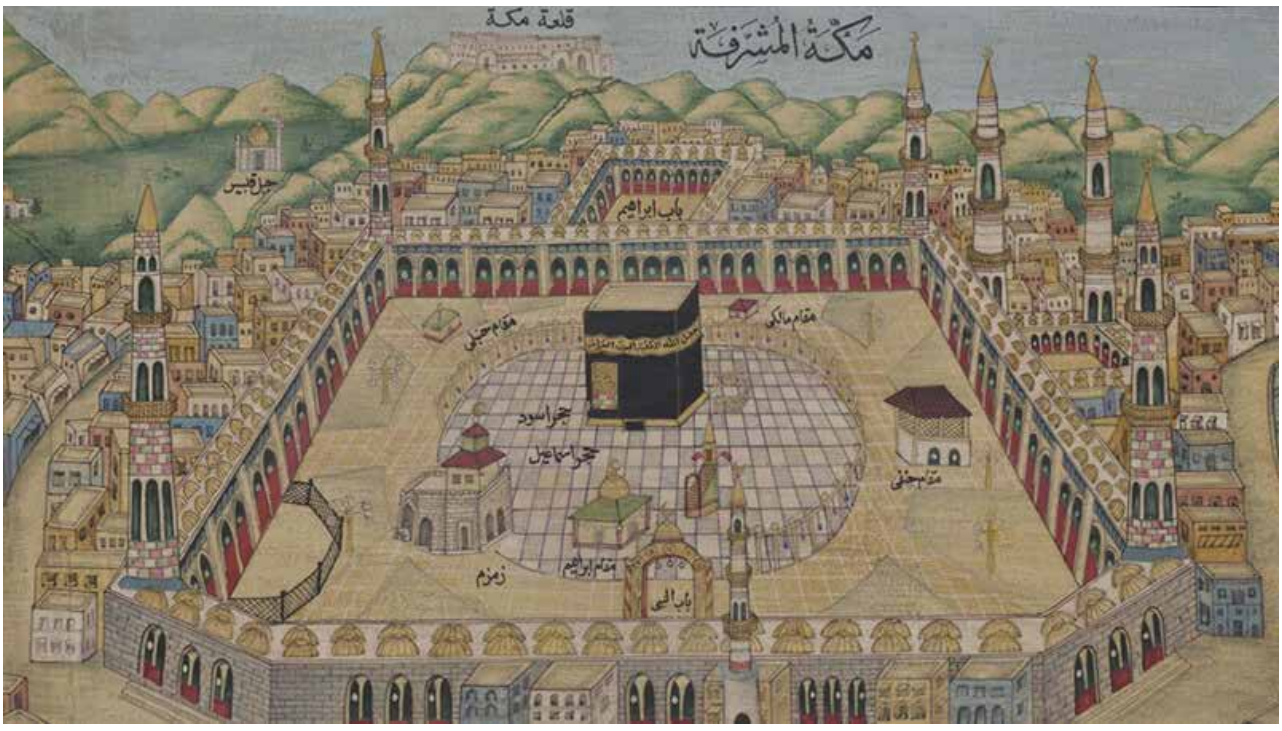

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(6) تاريخ الأنبياء والرسل

لقد حظي تاريخ الأنبياء والرسل بالكثير من الاهتمام التاريخي سواء من قبل المؤرخين أو من قبل المتخصصين في الأديان الذين يولون ذلك التاريخ أهمية كبرى، وقد جاء القرآن الكريم، ليؤكد على أن الإيمان بالله ورسله وكتبه جزء أساس من إيمان المسلم. كما أن القرآن أورد الكثير من القصص والروايات عن الرسل والأنبياء جميعًا، وأكد على أنهم من المسلمين، ولهذا وجب على المسلم أن يعرف أن دينه جاء امتدادًا للدين الإسلامين الذي عليه جميع الرسل والأنبياء، وهو الاستسلام لله بالطاعة والخلوص من الشرك، كما يجب العلم بأن الإسلام جاء كدين لجميع العالمين حيث يرتبط أول بيت وضع للناس، بآخر رسالة ورسول وكتاب سماوي. ولهذا فإن تاريخ الأنبياء مهم لجميع المسلمين. وهنا نقدم قائمة بأسماء الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وفق المدة الزمنية التي كانوا فيها. وذلك حسب أطلس الأنبياء والرسل. وهذه الأعوام بحاجة إلى مزيد من التدقيق.

الاسم	من	إلى
محمد	751م	632م
عيسى	1م	32م
يحي	1 ق م	31 ق م
زكريا	91 ق م	31 ق م
يونس	820 ق م	750 ق م
اليسع	855 ق م	795 ق م
الياس	910 ق م	850 ق م
سليمان	989 ق م	931 ق م
داوود	1041 ق م	971 ق م
هارون	1531 ق م	1408 ق م
موسى	1527 ق م	1407 ق م
ذوالكفل	1500 ق م	1425 ق م
أيوب	1540 ق م	1420 ق م
شعيب	1600 ق م	1490 ق م
يوسف	1745 ق م	1635 ق م
يعقوب	1837 ق م	1690 ق م
إسحاق	1897 ق م	1717 ق م
إسماعيل	1911 ق م	1774 ق م
لوط	1950 ق م	1870 ق م
إبراهيم	1997 ق م	1822 ق م
صالح	2150 ق م	2080 ق م
هود	2450 ق م	2320 ق م
نوح	3993 ق م	3043 ق م
إدريس	4533 ق م	4188 ق م
آدم	5872 ق م	4942 ق م

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(7) الإسلام وذرية آدم ونوح -عليهما السلام-

كانت ذرية آدم من بعده يعبدون الله ويوحدونه، ثم تكاثروا وانتشروا في الأرض، ومع مرور الزمن ابتعدوا عن طاعة الله فكثر الضلال والظلم، فأرسل الله إليهم نوحًا -عليه السلام- على منهج آدم الذي خلق لعبادة الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33)﴾ سورة آل عمران. وقد جاء نوح -عليه السلام- في سياق الإسلام الذي عليه الأنبياء والرسل جميعًا منذ خلق آدم -عليه السلام-، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (71) فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (72) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (73) ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (74) ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (75)﴾ سورة يونس. وقد بذل نوح كثيرًا من الجهد لدعوة قومه إلى عبادة الله وترك المعاصي التي يرتكبونها، ولكنهم عصوا وتمردوا وأنكروا على نوح دعوته، وقد ورد في القرآن الكريم توصيفًا دقيقًا للحالة التي كان الناس عليها في زمن نوح -عليه السلام-، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (1) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (2) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (3) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (4) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (6) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (7) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (9) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10)﴾ سورة نوح. وبعد أن سئم نوح عليه السلام من دعوة قومه إلى عبادة الله وترك المعاصي، غضب منهم ودعا ربه أن يعاقبهم على عصيانهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (27)﴾ سورة نوح.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(8) دعوة نوح والطوفان العظيم

لقد استجاب الله لدعوة نوح، وأمره أن يستعد لما سوف يحل بقومه من عقاب، فكان الطوفان العظيم، قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (37) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (38) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (39) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (40) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (41) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (42) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (43) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (44) وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (45)﴾ سورة هود.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(9) الحضارات في شبة الجزيرة العربية

لم يعرف اسم الجزيرة العربية إلا في عصور متأخرة، غير أن هذه البقعة كانت مسرحًا لأحداث جسيمة شكلت التاريخ المرتبط بالحضارات التي تتالت عليها، فهناك حضارات قبل الطوفان وأخرى بعد الطوفان الذي كان سبب هدم الكعبة المشرفة، ولا تزال آثار الحضارات القديمة موجودة عبر الحفريات والآثار التي أصبحت مراكز سياحية مثل مدائن صالح في العلا، والفاو وغيرها من المواقع التي تكتشف بين الحين والآخر، كما أن العصور التي سبقت ظهور الإسلام شهدت الكثير من القصص والأحداث، وسجلها الشعراء قبل الإسلام، وخاصة الحروب والغارات التي كانت تحدث بين الممالك والإمارات والقبائل العربية وغير العربية. ومن أهمها غزو ابرهة الحبشي لمكة المكرمة وتوثيق القرآن الكريم لهذه المعركة.

كما أن من بين الحضارات حضارة سبأ وحمير وغيرها من الحضارات التي كانت لها لغاتها وطقوسها وأنظمتها الاجتماعية والسياسية والعسكرية وغيرها.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(10) الطوفان والبيت العتيق

يعد الطوفان العظيم واحدًا من أهم الحقب التاريخية التي مرت على البشرية، فقد أغرق الطوفان الأرض ومن عليها، إلا الذين كانوا مع نوح عليه السلام في السفينة، كما ورد في الكتب السماوية والدراسات التاريخية كثير من الروايات التي تتحدث عن الطوفان، وتأثيره البالغ على الناس وأماكن تواجدهم في تلك الحقبة التاريخية المتقدمة من وجود البشرية. وقد أدى الطوفان إلى هدم أول بيت وضع للناس (الكعبة) وطمره تحت الرمال والحجارة التي جرفتها السيول في وادي مكة. ما أدى إلى اختفاء معالمه ومكانه. وقد تحول الوادي إلى منطقة مهجورة خالية من أسباب الحياة، ولا يسكن فيه أحد. واستمر الحال حتى شاء الله تعالى أن يبعث إبراهيم عليه السلام في رحلته الأولى التي ترك فيها زوجته هاجر وابنه إسماعيل في الوادي المهجور، بين جبال مكة الشاهقة.

(11) صلة إبراهيم بنوح عليهما السلام والطوفان والبيت العتيق

لقد أكد القرآن الكريم على العلاقة التي تربط النبيين نوح وإبراهيم -عليهما السلام- ببعضهما، وعلى الصلة التاريخية المرتبطة بالطوفان العظيم، وهدم أول بيت وضع للناس. وقد جاء إبراهيم امتدادًا لرسالة نوح ودعوته، مثل ما هي رسالة الأنبياء والرسل كلهم، التي تدعو الناس إلى عبادة الله التي خلقوا من أجلها.

وبما أن الطوفان يعد سببًا رئيسًا في هدم أول بيت وضع للناس في مكة، فقد جاء إبراهيم بتكليف من الله تعالى لإعادة رفع البيت من القواعد التي كانت مطمورة تحت رمال وصخور الوادي، وهذا يعني أن البيت قبل الطوفان كان موجودًا، وأن الناس كانوا يحجون إليه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) ﴾ سورة الحج. ونظرًا لأهمية البيت (الكعبة) في عبادة الله، وأهميته لعودة الحج إليه، جاء إبراهيم بصفته امتدادًا لرسالة نوح كما ورد في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (79) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (80) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (81) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (82) وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (83)﴾ سورة الصّافّات.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(12) إبراهيم ومكة والزواج من هاجر

لقد جاء التوجيه الكريم من الله لإبراهيم عليه السلام للتوجه إلى مكة ترافقه زوجته سارة، وفي طريقه عبر مصر التقى بحاكمها، الذي زوجه بهاجر المصرية، ثم أكمل مسيرته، إلى أن وصل إلى وادي مكة، بجوار بيت الله الحرام، الذي كان مطمورًا تحت الرمال والصخور. وقد وردت في التاريخ والسير والسرديات اليهودية أن هاجر كانت جارية لسارة.

وهنا يجب الإيضاح أن هاجر من سلالة كريمة، بل إن الاعتقاد الغالب أن هاجر من أقارب زوجة فرعون، بحكم تدينها وما يروى عن أنها كانت عفيفة لم تعرف الرجال حتى تزوجها إبراهيم، وأنها مثل زوجة فرعون المؤمنة التي دعت الله أن يبني لها بيتًا في الجنة، وينجيها من فرعون وعمله، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (12)﴾سورة التحريم.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(13) هاجر وسارة وابناهما

لقد أورد عدد من المزورين للتاريخ، الذين عملوا على تشويه سمعة هاجر وترسيخ رواية مكذوبة تدعي أن هاجر خادمة عند سارة زوجة إبراهيم؛ لهذا استمر التشويه والتحريف من قبل الكثيرين دون بحث وتدقيق، والصحيح أن هاجر لم تكن جارية كما يصوّرها بعض الكتاب والمؤرخين من الذين توجههم القوى المؤثرة ليرفعوا من نسل سارة وابنها يعقوب، وليقلّلوا من نسل هاجر وابنها إسماعيل الذي ولد لهما في مكة. وتعود هذه السردية؛ لأن إسماعيل أول أولاد إبراهيم عليهما السلام، ولعل الغيرة والحسد من أتباع الديانات الأخرى كانا سببين آخرين في هذه السردية، لا سيما وأن هاجر ارتبط اسمها بالإسلام والسعي بين الصفا والمروة، وزمزم، وأن ابنها إسماعيل ارتبط بالكعبة والإسلام والمسلمين.

وللتأكيد لا يمكن أن تكون سارة ولا ابنها من بعدها وذريته هم من قاموا بهذه السردية، ولم تكن تقبل سارة بطبيعتها النسائية أن يتزوج إبراهيم من خادمتها لتسود عليها، ولكن بعض أتباع الديانات الأخرى بعد آلاف السنين افتعلوا هذه الرواية وعززوها بالكتابات المتنوعة، ولا سيما بعد ظهور الإسلام للتقليل من نسب محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، وأخذ النقلة ينقلون منهم ويستشهدون بهم . وهذه السرديات من بين الإسرائيليات والروايات المزورة في التاريخ اليهودي والمسيحي والإسلامي، والتي يستخدمها بعض الكتاب

وللتأكيد لا يمكن أن تكون سارة ولا ابنها من بعدها وذريته هم من قاموا بهذه السردية، ولم تكن تقبل سارة بطبيعتها النسائية أن يتزوج إبراهيم من خادمتها لتسود عليها، ولكن بعض أتباع الديانات الأخرى بعد آلاف السنين افتعلوا هذه الرواية وعززوها بالكتابات المتنوعة، ولا سيما بعد ظهور الإسلام للتقليل من نسب محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، وأخذ النقلة ينقلون منهم ويستشهدون بهم . وهذه السرديات من بين الإسرائيليات والروايات المزورة في التاريخ اليهودي والمسيحي والإسلامي،

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

الغربيين ويكررها كتاب العرب والمسلمون المناهضون والمخالفون للدين الإسلامي، نتيجة الانحراف الفكري الذي يجري لبعض المؤلفين بين الحين والآخر، لأسباب متنوعة، وعبر العصور الإسلامية المختلفة.

(14) إبراهيم وهاجر وابنهما في وادي مكة

وصل إبراهيم وزوجته هاجر إلى مكة، وبعد أن ولد ابنه إسماعيل، غادر إبراهيم وترك هاجر وابنه إسماعيل في واد غير ذي زرع، ثم ناجى ربَّه، قال تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37)﴾ سورة إبراهيم. ولما كان وادي مكة مهجورًا وليس فيه مياه أو آثار للحياة، فقد نزل العطش والظّمأ بإسماعيل وأمّه، فكانت تهرول بين صخرتي الصفا والمروة اللتين كانتا تشكلان سرابًا من شدة الحرارة، ظنًّا منها أنهما ماء، وكان ذلك لغاية ربّانيّة تتعلّق بمناسك الحج والعبادة، وقد نصّت على ذلك الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (158)﴾ سورة البقرة. لقد تعبت هاجر من البحث عن الماء، فكانت مشيئة الله تعالى أن تتدفّق مياه زمزم من بين قدمَي ابنها إسماعيل، ليستجيب الله دعوة إبراهيم. وبهذا أصبحت زمزم من معجزات الله التي جعلت من ذلك المكان أقدس بقعة في الأرض، وأصبحت الصفا والمروة وزمزم من أوّل المعالم التي تدل على موقع أوّل بيت وضع للناس.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(15) ظهور مياه زمزم وقدوم الرعاة إلى وادي مكة

لقد كان وادي مكة مقفرًا وغير مأهول بالسكان، وبعد ظهور ماء زمزم بدأ الناس يأتون إلى الوادي لطلب الماء، فآنسوا وحشة هاجر وابنها إسماعيل في ذلك المكان المهجور. وقد تحدث المؤرخون عن قبيلة جرهم بصفتها أول قبيلة وصلت إلى مكة بعد خروج مياه زمزم، وربما تكون هناك قبائل أخرى أيضًا قدمت إلى زمزم ولم يتحدث عنها المؤرخون. أو لم يتم الوصول إلى المرجع المناسب المتعلق بواقع الحياة في وادي مكة وما حوله قبل وصول إبراهيم عليه السلام وزوجته هاجر، وبعد ظهور مياه زمزم،

وعلى الرغم من وصول تلك القبائل من الرعاة إلى وادي مكة، فإن موضوع لغة تلك القبائل الراعية وعلاقتها باللغة العربية، ولغة إسماعيل وأمه هاجر، موضوع تساؤل، ويحتاج إلى دليل وبحث معمق؛ لأن قبيلة جرهم لم تكن وحدها التي استفادت من مياه زمزم، ولم يثبت أن لغتها هي اللغة التي تحدثها العرب لاحقًا والتي تشكلت من معظم اللغات بعد بناء الكعبة وقدوم الحجاج إليها، وغالبًا أن تلك القبائل متنقلة للبحث عن المراعي والكلأ والماء لمواشيهم، ولم يكن هناك استيطان واستقرار حقيقي إلا بعد إعادة بناء الكعبة، والأذان في الناس بالحج، الذي شكل حركة تجارية بين الشمال والجنوب والشرق والغرب متخذة من مكة منطلقًا لها.

وتعد مياه بئر زمزم من المعجزات الكونية، التي ارتبطت بالدين الإسلامي، لأنها حولت مكة إلى مركز للحياة، وذلك لقربها من أول بيت وضع للناس، وارتباطها بسقاية الحجيج، وعدم توقفها أو نضوب مياهها على الرغم من اختلاف العصور والأزمنة.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(16) واقع اللغة في وادي مكة قبل بناء الكعبة

أكد عدد من المؤرخين أن اللغات واللهجات التي كان يتحدثها سكان المناطق المجاورة لمكة متنوعة، وتدل على ذلك الحفريات والآثار والنقوش التي بدأت تظهر في الآونة الأخيرة في جزيرة العرب، وبحكم الجغرافيا وبعد المسافة بين تلك المجتمعات، كانت هناك ممالك وإمارات وقبائل ولها لغاتها أو لهجاتها المتقاربة، ومنها الآرامية والكنعانية والنبطية والسبئية والحميرية والمهرية والدادانية وغيرها، وبناءً على ماورد في الآيات القرآنية وفي التاريخ فلم يوجد ما يثبت أن في وادي مكة من يتحدث العربية بصيغتها المتكاملة عندما أسكن إبراهيم زوجته وابنه إسماعيل في واد غير ذي زرع عند بيت الله الحرام، فهاجر تتحدث بلغة، وإبراهيم بلغة أخرى، ولم يكن البيت قد أُعيد بناؤه بعد، وكان المكان خاليًا من مقومات الاستقرار والعيش، ولا يوجد فيه زرع، ومن ثم لا توجد فيه حياة، لعدم وجود الماء. ولكن بعد تدفق مياه زمزم، عادت الحياة إلى الوادي، وبدأت بعض القبائل من البدو الرحل تفد إلى الوادي طلبًا للماء. وهؤلاء البدو الرحل ليسوا أهل استقرار، فهم أيضًا يبحثون عن الزرع أو العشب لدوابهم ومواشيهم في المناطق الأخرى، ويعودون إلى مكة لأجل الماء. ولم يكن لتلك القبائل أي تأثير مباشر على واقع الحياة في مكة، إذ إن مكة اشتهرت وعرفت بعد إعادة بناء الكعبة، حيث أخذ يتدفق إليها الحجيج بلغات مختلفة، ولم تكن هناك لغة أو لهجة واحدة، ولكن كانت هناك لهجات ولغات متنوعة حسب كل قوم من الأقوام القادمين للحج من المناطق المجاورة أو البعيدة عن مكة المكرمة في ذلك العصر. وبما أن مقومات الحياة والبقاء لم تكن متوافرة في وادي مكة فقد دعا إبراهيم ربه، أن يجعل أفئدة من الناس تأتي إليهم وأن يرزقهم من الثمرات التي سوف تأتي مع القادمين إليهم من مناطق مختلفة بجوار مكة، قال تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37)﴾ سورة إبراهيم. لقد كان لإعادة بناء أول بيت وضع للناس في مكة أثر كبير في تشكيل حراك لغوي كبير، نتيجة وصول الحجاج والتجار والمتعاملين معهم الذين تفاعلو معًا بلغات وألسن مختلفة شكلت معًا لغة جديدة أراد الله أن تكون لغة القرآن ولغة الإسلام الذي سوف يكون آخر رسالة و آخر كتاب سماوي وآخر رسول عند أول بيت وضع للناس.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(17) عودة إبراهيم إلى مكة وإعادة بناء الكعبة

عادَ إبراهيمُ إلى مكة، وشرع في البحث عن مكان البيت، وقد هداه الله إلى المكان الذي توجد فيه القواعد، والأساس المتبقي من البيت بعد الطوفان، والتي كانت مطمورة تحت الأتربة والصخور والرمال في وادي مكة. وبعد أن تعرف إبراهيم على مكان البيت بعد أن أرشده الله إليه، أزال ما يحيط به من آثار الطوفان من صخور ورمال حتى وصل إلى القواعد، وبدأ يرفعها ليعيد بناء البيت إلى هيئته التي كان عليها قبل الطوفان، وقد ورد في القرآن أن الله تعالى هو من أرشد إبراهيم ودلّه على مكان البيت، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26) ﴾ سورة الحج. وقد شارك إسماعيل مع والده في بناء البيت ورفعه وإعلائه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127)﴾ سورة الحج.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(18) انتهاء بناء الكعبة وأذان إبراهيم في الناس بالحج

بعد أن أكمل إبراهيم بناء الكعبة، أمره الله أن يؤذن في الناس بالحج، ويدعوهم إلى عبادة الله، فقال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (29)﴾ سورة الحجّ.

هكذا تحولت مكة من مكان مهجور يأتي إليه الرعاة بحثًا عن المياه من بئر زمزم، إلى مكان مشهور بعد بناء البيت والحج إليه، حيث أصبح وجهة دينية، مرتبطة بالعبادة والدين والنبي إبراهيم وزوجته هاجر وابنه إسماعيل وذريتهما، ومن آمن برسالته واهتدى بهديه، وهكذا ارتبط البيت الحرام بالحج الذي شكل على مر التاريخ وجهة للمسلمين يقصدها الناس من مختلف المناطق والاتجاهات التي ترتبط بمكة، إضافة إلى غير المسلمين الذين يتاجرون مع المسلمين والعرب، وبقي الحال حتى جاء الإسلام وحرم دخول غير المسلمين إليها، بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم. أخذ الاستيطان والبناء والإعمار حول الكعبة يتوسع لتتحول مكة إلى مركز ديني وتجاري وثقافي واجتماعي نتيجة تدفق الناس إليها، وقد بينت الآيات القرآنية ارتباط المنافع وذكر الله ببعضهما، وأن ذلك من مزايا البيت العتيق الذي أصبح

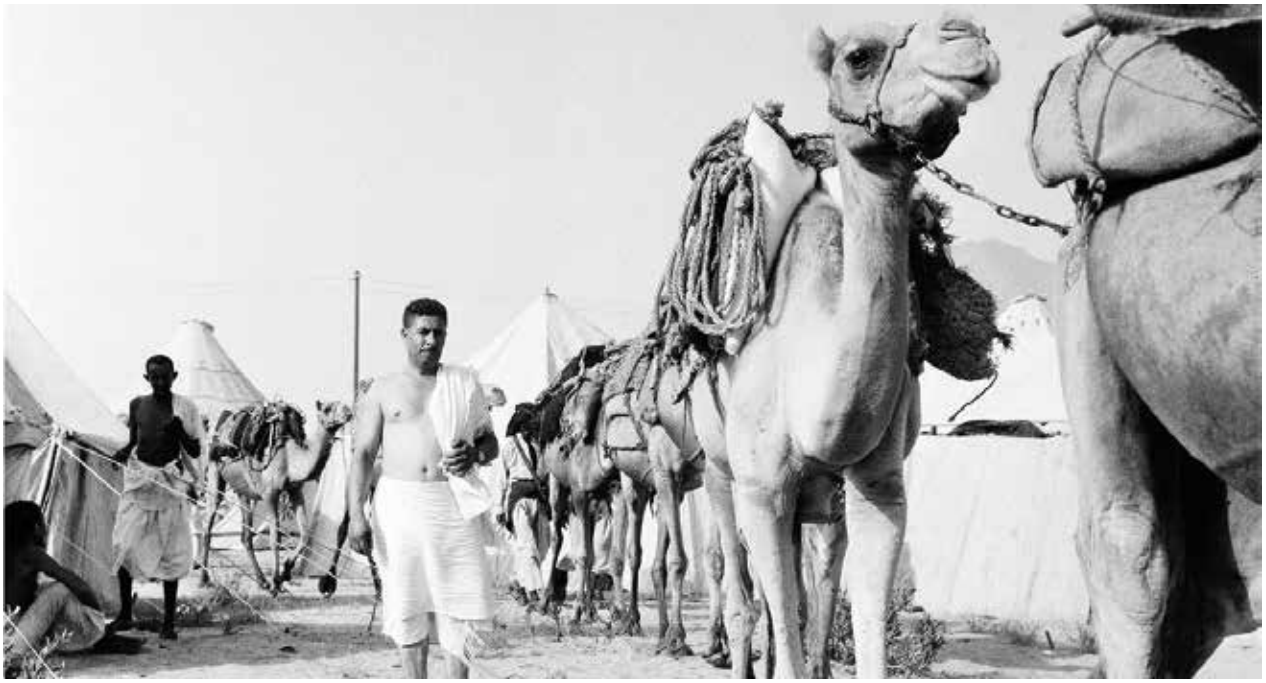

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

يشكل مصدر رزق للكثيرين، علاوة على كونه مكان عبادة يطوف حوله الناس، وهم يرجون ثواب الله ورضاه على ما رزقهم من إيمان ومن نعم، ويأتي في ذروة تلك النعم، نعمة الدين الإسلامي دين الأنبياء والرسل أجمعين، والذي كان سبب خلق الإنس ووجودهم في الأرض. عادت الكعبة إلى ما كانت عليه قبل الطوفان مقصدًا للعبادة، وأخذ الناس يشدون إليها الرحال ويأتون من كل فج عميق، ولم تكن المشقة وصعوبة السفر وبعد المسافات تمنع الناس من الحج، فكانوا يسافرون إليها أيامًا وأسابيع وشهورًا وأعوامًا، على الدواب ومشيًا على الأقدام.

(19) ارتباط مشاعر الحج بإبراهيم وهاجر وإسماعيل

لقد ارتبطت مشاعر الحج بإبراهيم وهاجر وإسماعيل، فالطوفان بالكعبة، ارتبط بإبراهيم وإسماعيل، والسعي بين الصفا والمروة ارتبط بهاجر، والجمرات ارتبطت برؤيا إبراهيم أن الله أمره أن يضحي بابنه إسماعيل، وكان الشيطان يظهر له ويحثه على أن يضحي بابنه، ومنى وعرفات ومزدلفة من مشاعر الحج، والأضاحي حين ضحى إبراهيم بكبش بدلًا من ذبح ابنه. وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤكد قضية الأضحية،

قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ (79) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (80) إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (81) ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ (82) وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ (83) إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ (84) إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ (85) أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ (86) فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (87) فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ (88) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ (89) فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ (90) فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ (91) مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ (92) فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ (93) فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ (94) قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ (95) وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ (96) قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ (97) فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ (98) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ (99) رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (100) فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ (102) فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ (103) وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ (104) قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (105) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ (106) وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ (107) وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ (108) سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ (109) كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (110) إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (111)﴾ سورة الصافات.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(20) إبراهيم والهوية الإسلامية، والتبشير بالرسول والكتاب

لقد ارتبطت الهوية الإسلامية، بعد إعادة بناء الكعبة، بدعوة إبراهيم -عليه السلام-، حين دعا ربه أن يجعله وابنه إسماعيل مسلمين له، ومن ذريتهما أمة مسلمة، وأن يبعث فيهم رسولًا منهم، يتلو عليهم آيات الله، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، هذا الدعاء الشامل الجامع أسس لظهور النبي محمد والدين الإسلامي ومهد لنزول كلام الله وشرعه (القرآن الكريم)، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)﴾ سورة البقرة.

وبمقارنة محاجة الملائكة عند خلق آدم، فقد حاجج أتباع اليهودية والنصرانية في مسألة إبراهيم عليه السلام، وكل يدعي أنه جزءًا من ديانتهم وفق رسلهم وكتبهم التي نزلت فيهم من بعده، ولكن القرآن وهو كلام اللّه جاء ليفصل في هذا المسألة نهائيًّا، إذ أكد القرآن على أن إبراهيم وإسماعيل وذريتهما مسلمين، ولهذا فقد كان الكتاب (القرآن الكريم) معلومًا منذ زمن إبراهيم كما كان الرسول مذكورًا. وهذه الآيات الكريمة أهم دليل للحسم في كثير من القضايا التي تتعلق بالدين الإسلامي وبداياته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126)﴾ سورة البقرة.

ويعد مقام إبراهيم عليه السلام من شعائر المسجد الحرام الذي يجاور الكعبة المشرفة، ويتخذ منه المسلمين مكانًا لصلاتهم أسوةً بإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

وعلاقة إبراهيم -عليه السلام- به، فقال تعالى مخاطبًا غير المسلمين من أهل الكتاب يهودًا ونصارى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65) هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (68)﴾ سورة آل عمران.

أن مصطلح الهوية الإسلامية للمسلمين ورد في القرآن الكريم مرتبطًا بآدم ونوح وإبراهيم ومن لحقهم من الأنبياء والرسل عليهم السلام، وفق الآيات الكريمة التي تعد المرجع الرباني الذي يؤكد على أن الإسلام كدين وعبادة انطلق مرة أخرى بعد آدم ونوح، من خلال إعادة بناء إبراهيم للكعبة، إذ قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (31) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (32) إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (34)﴾ سورة آل عمران. وقال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (71) فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (72)﴾ سورة يونس. قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (78) ﴾ سورة الحج.

أن مصطلح الهوية الإسلامية للمسلمين ورد في القرآن الكريم مرتبطًا بآدم ونوح وإبراهيم ومن لحقهم من الأنبياء والرسل عليهم السلام، وفق الآيات الكريمة التي تعد المرجع الرباني الذي يؤكد على أن الإسلام كدين وعبادة انطلق مرة أخرى بعد آدم ونوح، من خلال إعادة بناء إبراهيم للكعبة.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(21) النقوش واللغات في شبة الجزيرة

إن وجود أول بيت وضع للناس في الجزيرة العربية يؤكد لنا عمق الحضارة التي تتمتع بها الجزيرة، والتي شهدت الكثير من الأحداث والحضارات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم أو في كتابات المؤرخين، ومن أبرز ما وجد في الحفريات والآثار النقوش التي تدل على أنواع اللغات المختلفة التي عرفتها الممالك والقبائل التي عاشت في الجزيرة على مدى آلاف السنين، ولا يزال بعضها موجود حتى يومنا هذا، ومنها اللغة المهرية والحميرية التي يتحدث بها بعض السكان في جنوب الجزيرة العربية، ولها حروف قديمة تشبه حروف التيفيناغ. ولهذا وجبت دراسة هذه الحضارات ومعرفة علاقاتها بالحضارات واللغات الأخرى.

لقد تأخرت الدراسات والحفريات التاريخية المتعلقة بالحصارات القديمة التي ظهرت في الجزيرة العربية مقارنة بغيرها من المناطق والدول، وذلك لكثرة الحروب وعدم الاستقرار الذي تمر به دول المنطقة، وقد رافق ذلك وجود كتابات أجنبية لرحالة أجانب ولبعض العرب، ولكنها غير صحيحة وتحتاج للمراجعة والتدقيق.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(22) نشأة اللغة العربية وعلاقتها بالحج

كان وادي مكة مهجورًا، ولم يعرف وجود الناس أو الاستيطان والسكن فيه إلا بعد بناء الكعبة والأذان في الناس بالحج، عندها جاء الناس بلغات ولهجات وهويات وأعراق مختلفة، ولم تكن اللغة العربية معروفة في ذلك الوقت، ولكنها تشكلت من اللغات واللهجات الآرامية والكنعانية والحميرية والسبئية والنبطية والدادانية والمهرية وغيرها من اللغات، التي كان يتحدث بها الحجاج الذين استوطنوا مكة، وقد اضطر الناس للتفاعل بينهم من خلال لغاتهم التي تحولت واندمجت لتشكل عبر السنين لغة جديدة تجمعهم وتوحدهم وتؤاخي بينهم وتحقق مصالحهم وهم يعبرون بها عن مقاصدهم بوضوح يفهمه الجميع، وكانوا يعربون ويعبرون باللغة الجديدة التي سمحت لهم بالاندماج والتكامل، وصارت لغة بديلة للغاتهم، تمسكوا بها وطوروها حتى وصلت مع الوقت إلى درجة الكمال والفصاحة والبيان.

لقد تشكلت العربية من هذا الخليط اللغوي كلغة وسيطة مشتركة بين اللغات جميعها، وأخذ الناس يستخدمونها ويطورونها من خلال التعامل اليومي في البيع والشراء والتواصل والعمل، ثم من خلال الشعر والخطابة والفصاحة والبيان فتطورت تدريجيًّا، حتى أصبحت اللغة المعتمدة بين الناس، ولا سيما أنها ارتبطت بالكعبة المشرفة وبالحج، فكان سبب نشأتها الدين ممثلًا في الحج والعبادة عند البيت الحرام، والاستيطان والاستقرار والبناء في مكة.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

إضافة إلى المعاملات التجارية التي نشأت بين الشمال والجنوب والشرق والغرب عبر مكة، وأخذت تجمع الجميع وتوحدهم وتساوي بينهم، وتحقق لهم مصالحهم، ويعربون بها عن غاياتهم حتى أصبحت هوية جديدة لهم، وصار كل من يتقنها ويتحدث بها يسمي نفسه عربيًّا نسبة إلى اللغة التي أتقنوها، وبعدها أخذوا يتخلون عن لغاتهم الأصلية ويتمسكون بلغتهم الجديدة.

وقد دلت الآيات القرآنية على أن إبراهيم يعلم بقدوم رسول من نسله ونسل ابنه إسماعيل، فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)﴾ سورة البقرة.

لهذا ستكون مَهَمّة الرسول القادم، أن يتلوَ آيات الله، ويعلِّمَ الناس الكتابَ والحكمة ويزكيهم، وبما أن الكتاب معلوم، فلا بد أن اللغة كانت معلومة أيضًا، وهذا يعني أن العربيّة قديمة قدم القرآن الكريم، الذي تنص آياته على أنه موجود في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (22)﴾ سورة البروج. ويدل اسم السّورة على السّماوات، وهذا تأكيد على أنّ القرآن الكريم في اللّوح المحفوظ منذ زمن قديم لا يعلمه إلّا الله، وأنّه مكتوب بلسان عربي مبين. وإذا كان الرسول والكتاب معلومين عند الله، فإن لغة الدين أيضًا

لقد تشكلت العربية من هذا الخليط اللغوي كلغة وسيطة مشتركة بين اللغات جميعها، وأخذ الناس يستخدمونها ويطورونها من خلال التعامل اليومي في البيع والشراء والتواصل والعمل، ثم من خلال الشعر والخطابة والفصاحة والبيان فتطورت تدريجيًّا، حتى أصبحت اللغة المعتمدة بين الناس، ولا سيما أنها ارتبطت بالكعبة المشرفة وبالحج، فكان سبب نشأتها الدين ممثلًا في الحج والعبادة عند البيت الحرام، إضافة إلى المعاملات التجارية التي نشأت بين الشمال والجنوب والشرق والغرب عبر مكة، وأخذت تجمع الجميع وتوحدهم وتساوي بينهم،

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

معلومة عنده تعالى، وهي جزء من مشرع رباني عظيم، مرتبط بالكون، والعبادة لله وآخر الأنبياء والرسالات والكتب السماوية.

ومن هذا نستنتج أن بناء الكعبة جاء أولًا، لربط الناس بالحج وتوحيد العبادة لله، بعد ذلك تشكلت اللغة العربية التي وصلت إلى مرحلة الكمال بتوجيه من الله لارتباطها بالكعبة، وذلك من خلال كتابة الشعر وحفظه، والتنافس بين الشعراء والقبائل، وفي الأسواق التي اشتهرت بالشعر والأدب، ولم تشهد أي لغة مثل هذا، ثم تطور شأن اللغة وأهميتها حتى علقت المعلقات على أستار الكعبة، وفي الوقت ذاته أصبحت ملكة الحفظ عند الناس تتطور بصورة كبيرة، وأخذ الناس يتنافسون في حفظ الشعر، وفي الفصاحة والبيان عند التحدث بلغتهم العربية، وهكذا، أصبح الناس جاهزين لاستقبال الرسالة والرسول والقرآن، ولديهم القدرات والمهارات على فهم القرآن واستيعابه، والإيمان به وحفظه، والعمل به عند نزوله. وقد تميزت العربية عن غيرها من اللغات بصفتها لغة العرب قبل الإسلام، ولغة كلام الله، ولغة الإسلام والعبادة، وقد أوضح القرآن أنها لغة البيان والفصاحة، ووصف اللغات الأخرى بالأعجمية، التي جرت مقارنتها وذكرها في عدد من الآيات، وبرر القرآن أن سبب اختيارها لتكون لغة القرآن الكريم، ولغة الإسلام يعود إلى فصاحتها وبيانها ووضوحها وكمالها.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (44) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (45)﴾ سورة فصلت. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (195) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (196) أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (197) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (198) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (199)﴾ سورة الشعراء. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (103)﴾ سورة النحل. لهذا تُحارب اللغة العربية؛ لأنها لغة مختارة من بين اللغات لحمل آخر رسالة سماوية، بهدف محاربة الدين الذي تحمله.

(23) الهوية العربية والانتساب إلى العربية

لقد شكّل إعادة بناء البيت نقطة تحوّل تاريخيّة، إذ ارتبط به الإسلام واللغة العربية من البداية، فبعد أن أذّن إبراهيم في النّاس بالحجّ، جاء النّاس من كلّ فجٍّ عميق، بلغات ولهجات مختلفة، ليشهدوا منافع لهم، وليذكروا اسم الله في أيام معدودات، وبناء على ذلك، كان لا بدّ أن تتطوّر لغة جديدة توحّدهم وتجمعهم وتنظّم مقاصدهم وغاياتهم التي يحجّون من أجلها، لهذا تشكّلت اللّغة العربيّة من لغاتهم المختلفة، الآرامية والكنعانية والحِمْيريّة والسّبئيّة والنّبطيّة والدادانية، إضافة إلى المهريّة التي لا تزال يتحدث بها بعض السكان في مناطق مختلفة في جنوب شبه الجزيرة العربية، والتي تستخدم حروفًا تشبه التيفيناغ والدادنية والمسند الجنوبي وغيرها، كما تدلّ عليها الوثائق والحفريّات في سلطنة عُمان واليمن والسّعوديّة. وقد سمّيت اللغة الجديدة بالعربيّة؛ لأنّهم يستطيعون أن يعربوا فيها، أو يعبّروا

> **وقد سمّيت اللغة الجديدة بالعربيّة؛ لأنّهم يستطيعون أن يعربوا فيها، أو يعبّروا بها، وأن يفصحوا بها عن احتياجاتهم، والتواصل بها فيما بينهم بيسر وسهولة، ومع مرور الزّمن وتعاقب الأجيال أخذ النّاس يتركون لغاتهم الأصليّة، ويهتمّون باللّغة العربيّة التي لا تنتمي لأيّ عرق أو جنس أو قبيلة.**

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

بها، وأن يفصحوا بها عن احتياجاتهم، والتواصل بها فيما بينهم بيسر وسهولة، ومع مرور الزّمن وتعاقب الأجيال أخذ النّاس يتركون لغاتهم الأصليّة، ويهتمّون باللّغة العربيّة التي لا تنتمي لأيّ عرق أو جنس أو قبيلة، وصار من يتحدّث اللّغة العربيّة ويتقنها، يسمّى عربيًّا، وينسبون أنفسهم إليها بصفتها اللّغة التي تساوي وتؤاخي بينهم، وتحقق مصالحهم، وتوحّدهم، وتربطهم بدينهم وبحجهم إلى البيت العتيق. بل أصبح الإنسان والمكان ينسبان إلى العربيّة؛ لهذا سمّيت شبه الجزيرة العربيّة، أو بلاد العرب، نسبة إلى اللّغة التي يتحدثها سكان الجزيرة، وأصبحت اللّغة العربيّة من الهُويّات الكبرى التي لا تتعارض مع هُويّاتهم العِرقيّة والقبليّة، ولا تدعوهم إلى التّخلّي عنها، وبعد أن ساوت اللغة العربية بين الناس ووحدت ألسنتهم وجمعتهم، وآخت بينهم، ومنحتهم هويتها، جاء الإسلام ممثلًا في القرآن الكريم ليساوي بين الناس، ويجعلهم أخوة في الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11)﴾ سورة الحجرات.

الخطاط هوندا الياباني

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

بل إنه وحدهم في العبادة والإيمان والوجهة وعزز الأخوة الإسلامية بينهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (14) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (15) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (16) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (17) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18)﴾ سورة الحجرات. والهوية العربية هوية شاملة للطوائف والأديان جميعها في الجزيرة العربية وما يتصل بها، وقد شملت اليهود والنصارى، إضافة إلى الحنفيين الذين كانوا على دين إبراهيم والمشركين من أهل مكة وما جاورها.كما أن القرآن الكريم يؤكد على تعريف اللسان بالعربي، والعربي يعني الفصيح المبين الواضح، وعندما يوجه السؤال للشخص، يقال له أعرب لنا عن رأيك؟ أو عبر لنا عن مشاعرك؟ أو وضح لنا وجهة نظرك؟ أي وضح وفسر وأبِن وأفصح لنا عن الذي يدور في ذهنك؟ كما أن العربية ارتبطت بالعقل، بالتفكير، بالتدبر، والتأمل كما ورد في عدد من الآيات.

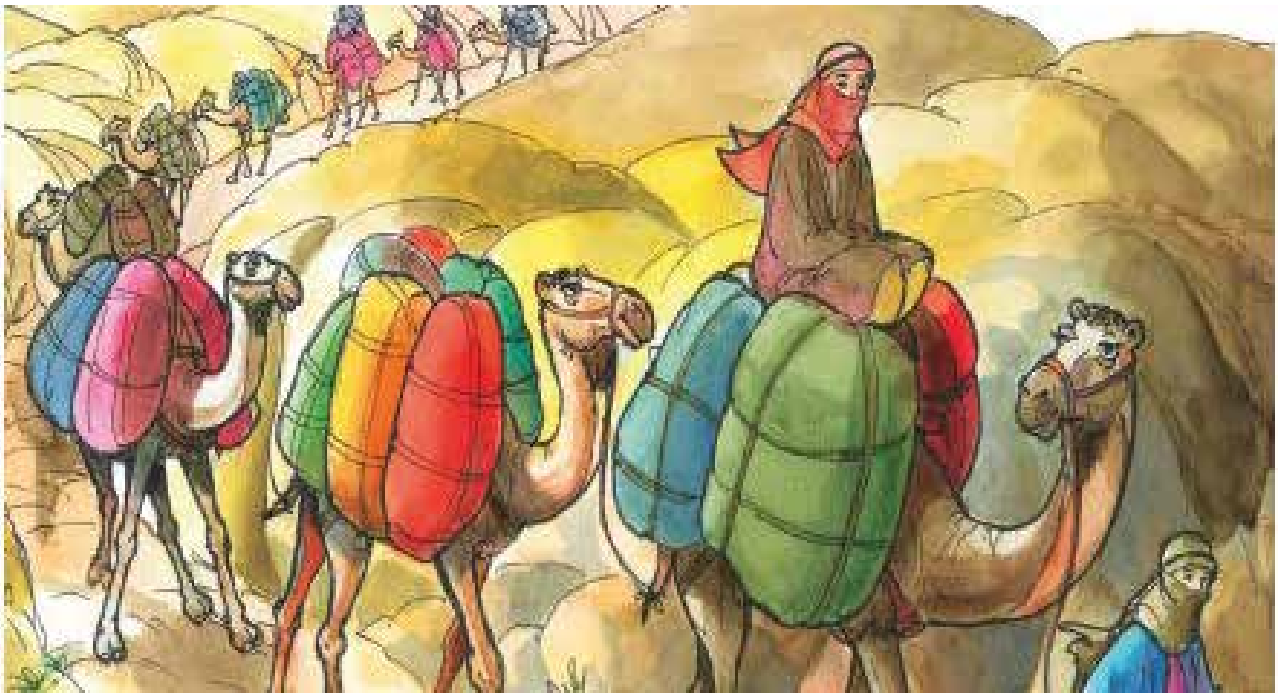

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(24) اللغة العربية لغة غير عرقية أو عنصرية

تتميز اللغة العربية بخصائص ومزايا خاصة مقارنة بغيرها من اللغات، إذ إنها لغة غير عرقية أو عنصرية، تشكلت من عدة لهجات ولغات، نتيجة اندماجها معًا، فساوت بين الناس ووحدت ألسنتهم، وآخت بينهم، ومنحتهم هويتها العربية، فصاروا عربًا، نسبة إليها، وقد ارتبطت العربية بالكعبة والحج، وبتطورها مقارنة باللهجات واللغات التي تشكلت منها؛ لهذا فاللغة العربية لغة جامعة وموحدة ومن الهويات الكبرى، وليست لغة عرقية، ولم يكن ليقبل أي قوم بالتنازل عن لغتهم لاتباع لغة قوم آخرين، وأن يسمحوا بتفوق لغة الآخرين على حساب لغاتهم، وهكذا شاء قدر الله أن تتطور اللغة العربية تدريجيًّا حول البيت من اللغات واللهجات جميعها، حتى وصلت مع الوقت إلى مكانة كبيرة، وعلى الرغم من وجود القبائل والإمارات والممالك في الجزيرة قبل الإسلام، والتي اشتهرت بلغاتها ولهجاتها وأنظمتها وتاريخها وحدودها، فإن اللغة العربية ارتبطت بمكة وبالبيت العتيق والحج إليه؛ لهذا اكتسبت مكانة كبيرة من خلال الحج والتجارة بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، والتي شكلت أساسًا للعلاقات بين الممالك والقبائل جميعها عبر آلاف السنين، ونتج عن تواصلها وارتباطها بالحج تشكل هوية جديدة مرتبطة باللغة العربية التي تجمع الجميع، ممثلة في الهوية العربية، على الرغم من اختلاف ألسنتهم وعرقياتهم وقبائلهم وممالكهم.

99

تتميز اللغة العربية بخصائص ومزايا خاصة مقارنة بغيرها من اللغات، إذ إنها لغة غير عرقية أو عنصرية، تشكلت من عدة لهجات ولغات، نتيجة اندماجها معًا، فساوت بين الناس ووحدت ألسنتهم، وآخت بينهم، ومنحتهم هويتها العربية، فصاروا عربًا، نسبة إليها، وقد ارتبطت العربية بالكعبة والحج، وبتطورها مقارنة باللهجات واللغات التي تشكلت منها؛ لهذا فاللغة العربية لغة جامعة وموحدة ومن الهويات الكبرى،

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

وأخذت العربية تستوطن في مناطق وأقاليم مختلفة بوساطة المتحدثين بها من الذين تعربوا فأصبحوا عربًا ومنحوا العروبة للأماكن التي يقطنون فيها، وهكذا اتسعت رقعة العربية ومساحتها الجغرافية والبشرية، وانتشرت بين الناس قبل ظهور الإسلام من جديد وبعده. ولم تكن هناك دول وحدود كما هو موجود اليوم؛ لهذا انتشرت العربية مع المتحدثين بها أينما وجدوا، حتى صارت تسمى بها أماكنهم التي يعيشون فيها.

وبالمقارنة نجد العكس في اللغات الأوروبية المعاصرة المرتبطة باللاتينية، إذ تشكلت تلك اللغات من لهجات الأعراق الأوروبية التي تحولت إلى قوميات سميت اللغات الأوروبية بأسمائها؛ لهذا تلتقي اللغات الأوروبية في جذورها وحروفها وفي كثير من مفرداتها المتغيرة في النطق، ولكنها جميعًا ترجع إلى الأصل اللاتيني. وربما أنها استوحت كتابة حروفها من العربية، ويدل على ذلك استخدامهم للتعريف بالأبجدية للغاتهم بألف بت (alphbet) ألف باء تاء، وفق ما أورده بعض الباحثين في اللغات الأجنبية، بل إن اللغة العبرية كُتِبَت بناءً على اللغة العربية، وفق المصادر اليهودية نفسها، وكادت أن تكتب بالحرف العربي لولا أنهم خشوا من تبعات ذلك على السريات اليهودية.

(25) تميز اللغة العربية بالأسواق

لم تحظَ لغة بمثل ما حظيت به اللغة العربية من مزايا، فمع مرور الزمن وتعاقب السنين، أصبح البيت الحرام والحج إليه أهم نقطة جذب للناس بمختلف لغاتهم وقبائلهم وأعراقهم، حيث تميزت مكة بالتجارة بين الشمال والجنوب (رحلة الشتاء والصيف) فكانت تأتي القوافل من الشام إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب مرورًا بمكة، وقد أحدث ذلك حراكًا تجاريًّا واقتصاديًّا ودينيًّا وثقافيًّا مهمًّا زاد من هيبة مكة ومكانتها، ثم ما لبثت أن استحدثت الأسواق التجارية والثقافية التي تطورت عبر سنين طويلة، حيث يجتمع الناس للتجارة والاستماع إلى الشعراء والخطباء، فكان لها أكبر الأثر في تطور اللغة العربية وازدهارها وجودتها، وذلك بفضل تلك الأسواق التي أسهمت في انتشارها لتشكل ما يشبه المنتديات والملتقيات الثقافية والأدبية الحديثة. وأدى ذلك إلى انتشار واشتهار العربية وسمو مكانتها الكبيرة، ووصولها إلى مرحلة متقدمة من الكمال والجمال والوضوح والبيان المذهل، ولم يكن ذلك ليحدث لولا أنّها حظيت

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

باهتمام كبير نتيجة لارتباطها بأوّل بيت وضع للنّاس وبالحج إليه، والذي أحدث تطوّرًا هائلًا في اللغة العربية لم تعرفه أيّ لغة أخرى، وذلك من خلال الشّعراء والخطباء الذين يعدّون أكثر النّاس فهمًا ومعرفةً باللّغة، علاوة على قدرتهم على استخدامها وتوظيفها في مجالات إبداعيّة عالية، حتى أصبح الشّعر العربيّ يمثّل حركة ثقافيّة وفكريّة وأدبيّة ولغويّة نشطة في شبه الجزيرة وما جاورها قبل أن يطلق عليها اسم شبه الجزيرة العربية، ونتج عن انشغال النّاس بالشعر أن انطلق التّنافس بينهم في الخطابة والفصاحة والبيان والشّعر، وارتفع سقف المنافسة في أسواق الشعر التي يجتمع فيها الشّعراء، إذ تُلقى فيها أجمل القصائد، ويتحدّث فيها الخطباء والفصحاء، وتنتشر الأخبار، ومن بين تلك الأسواق وأشهرها سوقُ عكاظ والمجاز والجندل والرّابية وهجر والمجنة وغيرها.

لقد انتشرت اللغة العربية والعروبة مع قوافل الحجاج والتجار، وأخذت العربية تستوطن في مناطق جغرافية مختلفة شمالًا وجنوبًا وشرقًا وغربًا، وأصبح الكثيرون يتحدثون اللغة العربية وينتسبون إليها على الرغم من دياناتهم المختلفة.

وبهذا شكلت العربية مرجعًا للكثيرين الذين وجدوا في العربية فرصة لقضاء مصالحهم وتسهيل طرق عيشهم، وانتشرت العروبة واستوطنت مناطق مختلفة بفضل أهلها الذين تبنوا العربية ووطنوها في مناطقهم فأصبحوا عربًا؛ لذا تعربت مناطق مختلفة مثل ما تعربت مكة وما جاورها على الرغم من وجود لغات مختلفة حولها اندثرت نتيجة الحج والتجارة، وأصبحت من مغانم الحجاج والتجار الذين يفدون إلى مكة على مدار العام، ويتعلمونها، ويعودون إلى أوطانهم وهم يحملون معهم المفردات والعبارات الجديدة التي شكلت ثقافة لغوية جديدة في مختلف المناطق التي كانت تتعامل مع مكة والبيت العتيق.

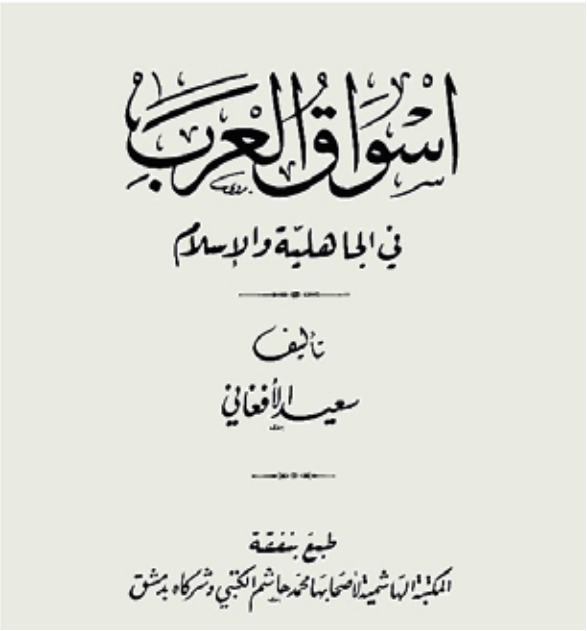

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(26) أول تكريم في تاريخ اللغة والشعر

لم تتوقّف المنافسة اللغوية والشّعر في الأسواق والمنتديات والمناسبات، فقد كان لا بدّ من رفع المستوى في الجودة والفصاحة والبلاغة، ما أدى إلى منافسة قوية بين الشّعراء، من هنا أتت فكرة تكريم أفضل الشّعر وأفصحه وأبلغه، ولما كان البيت العتيق أقدس ما عند العرب، وضعت الضوابط والشروط لاختيار أفضل القصائد وتعليقها على جدران الكعبة تكريمًا وتقديرًا واعترافًا بقيمتها ومكانتها وجودتها وتميزها. وعلى الرّغم من كثرة الشّعر والشّعراء وصعوبة المنافسة، فإنّ عدد المعلّقات التي وثقها التّاريخ لا تتجاوز سبع معلقات، ويقال عشر معلّقات، من هنا سجّل للعرب والعربيّة أوّل جائزة في تاريخ اللّغات والشّعر والأدب، وحينها صار "الشِّعر ديوان العرب" ومرجعه الذي يدون ويوثق الأحداث والمناسبات والقصص والروايات والتاريخ، ويعرف بالقيم والشيم والأخلاق العربية. وقد ارتبط التكريم بالكعبة لقدسيتها ومكانتها، وكان بالإمكان أن يكون التكريم بمنح عدد من الإبل أو الذهب أو المال أو غيرها من الأشياء ذات القيمة المادية عند الناس، ولكن رمزية الكعبة وارتباط اللغة بها يأتي في إطار تعزيز مكانة الكعبة، واللغة العربية وعلاقتهما ببعضهما، وهذا التطور اللغوي العالي، يحدث

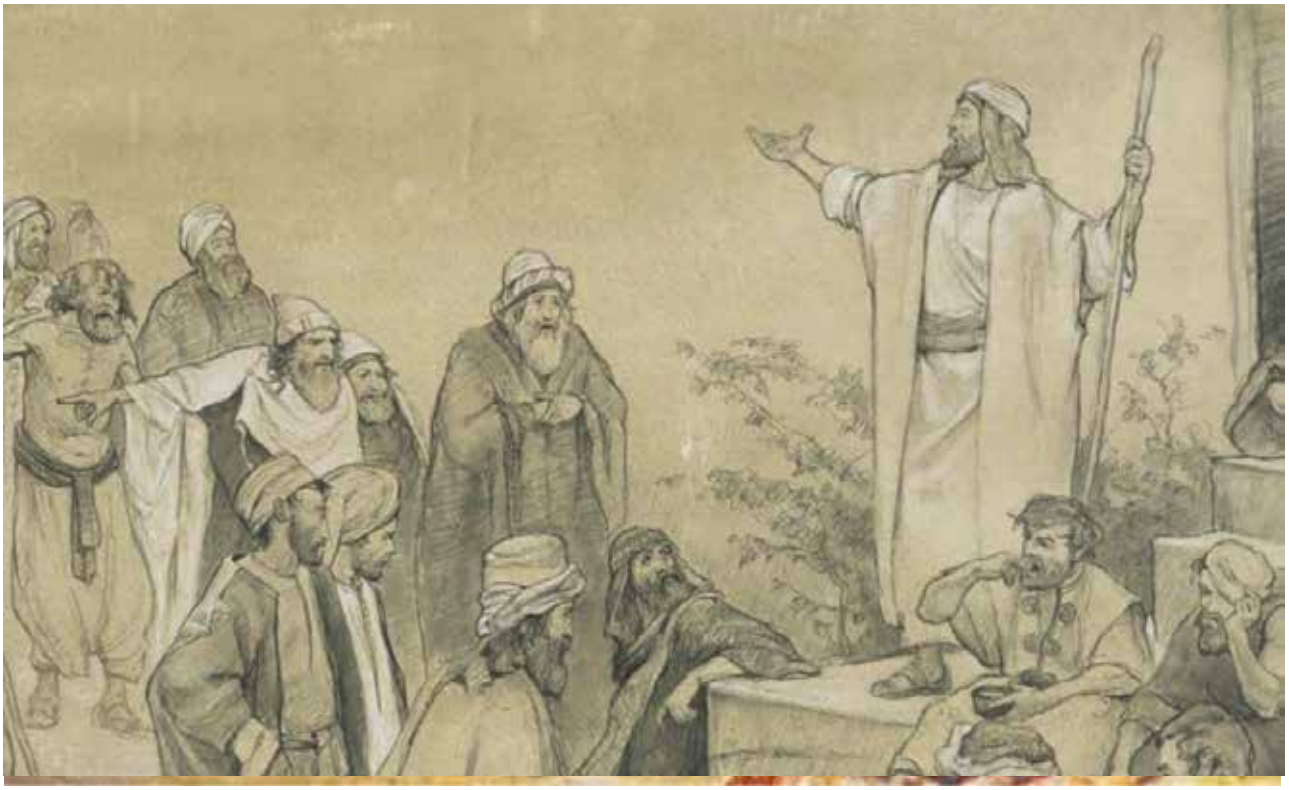

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

في سياق مشروع رباني يهيئ الله فيه الناس لاستقبال حدث عظيم سوف يغير الإنسان والمكان، ليس في مكة فحسب ولكن في الكون كله. وقد نال الشعراء مكانة عظيمة تضاهي مقام الفرسان والمحاربين الشجعان، بل إن الشعراء يتفوقون على الفرسان في السمعة والمكانة؛ لأنهم يدافعون عن قبائلهم ويوثقون تاريخها من خلال الشعر الذي خلد أسماءهم؛ لذلك أخذ التنافس بين الشعراء شكل الحروب والمعارك الشعرية، فكل يذود عن حياض قومه من خلال الشعر والقصائد التي تنتشر بين الناس، فيحفظونها ويرددونها في مجالسهم ومنتدياتهم وملتقياتهم وأسواقهم وفي سفرهم. وبناء على هذه الجهود المتنوعة حدث حراك لغوي كبير، حتى وصل الحال بتطور الشعر أن يتنافس الشعراء في بناء القصيدة الواحدة، بحيث يأتي الشاعر بصدر البيت ويأتي الآخر بعجزه. هذا الترف اللغوي تميز بالبلاغة والبيان والكفاءة اللغوية، والقدرات والملكات الفكرية العالية التي لم تتمتع بها أي لغة أخرى؛ لهذا تعصب العرب الأقحاح القدامى للشعر العربي حتى صار يقال "الشعر ديوان العرب" ومرجعهم، علاوة على اهتمامهم واعتزازهم بلغتهم العربية؛ لأنها كانت ولا تزال رمز نسبهم وشرفهم ومكانتهم وهويتهم وعزتهم بين الأمم.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(27) مكانة الشعراء وعلاقتهم باللغات

احتل الشعراء والشعر العربي مكانة عظيمة في التاريخ العربي، فكان من الشعراء المخلدين الفرسان الشجعان، بالإضافة إلى مكانتهم الشعرية، وخاضوا المعارك مع قبائلهم، وتنقلوا بين القبائل والممالك والأمصار، وأخذ الشعر والشعراء العرب مساحة كبيرة في الوجدان والثقافة العربية والإسلامية، ولكن اللغة العربية لم تنسب إلى الشعراء العرب، بل هم ينسبون أنفسهم إليها؛ لأنها هي التي تمثل هويتهم، وعلى العكس يعاد الفضل للشعراء في اللغات الأجنبية التي تميزت بكونها لغات عرقية، ولم يخض الشعراء المعارك، وكانوا مجرد متخصصين في الشعر وربما لديهم فلسفة يستمدونها من القومية العرقية التي ينتمون إليها، إذ يلاحظ أن اللغات الأوروبية تتنافس بينها في أهميتها وفي قواعدها وتاريخها؛ لأنها لغات عرقية وقومية، وذلك بعد انفصالها من الإمبراطورية الرومانية وتحولها إلى قوميات وشعوب في الدولة الحديثة، وقد شكل الشعراء والفلاسفة في كل لغة أوروبية مكانة مهمة في تطور اللغة القومية، وأصبحوا رموزًا لتطورها ونشأتها، نتيجة كتاباتهم التي شكلت مرجعًا للغة الوطنية، مثل اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية والروسية والإيطالية وغيرها. ومع هذا هناك تنافس كبير بين اللسانيين واللغويين في اللغات الأوروبية، وكل يرى أن لغته هي الأفضل، وقد فرضت لغاتهم في مجتمعاتهم بقوة القانون، واستخدمت القوة لفرضها على الشعوب والدول التي استعمروها؛ لذا لا يمكن مقارنة اللغة العربية باللغات الأوروبية في فصاحتها وقواعدها وتاريخها ونظامها اللغوي الذي ينطبق فيها المنطوق مع المكتوب عكس اللغات الأوروبية. لذلك تواجه العربية حروبًا مستمرة ومؤامرات متنوعة من الداخل والخارج.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(28) تطور ملكة الحفظ عند العرب ومحاربة العجمة واللحن

اشتدّت المنافسة الشعرية واللغوية بين العرب باختلاف أعراقهم وقبائلهم وألسنتهم، فأخذوا يعلّمون أبناءهم وبناتهم العربية ويحثونهم على حفظ الشّعر، ويلقّنونهم فنون الكلام والخطابة والإلقاء والتّحدّث ببلاغة، فتطوّرت ملكة الحفظ والقدرة على التّحدّث بلغة عربيّة فصيحة عالية، وبطلاقة وتلقائية وفطرة، جعلتهم يرتجلون الخطابة والشعر ويتحدثون بأريحية تامة، نتيجة المهارات والقدرات اللغوية والمفردات الكثيرة والمخزون اللغوي، الناتج عن حفظهم واستخدامهم للحكمة والشّعر والتّاريخ والرّوايات التي يفخر بها الشّعراء وقبائلهم في أحاديثهم وكلامهم. ووصل شغفهم وحبّهم للّغة إلى درجة أنّهم لا يقبلون اللّحن فيها، ولا يسمحون بالعجمة أن تدخل إليها، وينهرون من يُخطئ فيها، ويشككّون في هُويّته وعروبته وأصالته ونسبه، ويعدّونه أعجميًّا أو غريبًا أو دخيلًا على العربية والعرب الفصحاء والبلغاء. واشتهرت المساجلات الشعرية حتى تحول الشعر إلى ثقافة يومية في حياة العرب. وقد نبغ الأطفال في تقليد الشعراء الكبار، حتى إنهم كانوا يقومون بمساجلات شعرية ليثبتوا أنهم يملكون ملكة قوية لحفظ الشعر ومعرفة الشعراء، وتقليدهم في إعداد القصائد الشعرية. ونشأت أجيال تحب اللغة العربية وتعتز بها، وتتنافس بها في المناسبات واللقاءات جميعها وفي البيوت والتجمعات الاجتماعية المتنوعة، حتى اشتهر الأطفال ببلاغتهم وقدرتهم على حضور مجالس كبار العرب وحكامهم، والتحدث فيها عن شيم وأخلاق وصفات قومهم، وعن مطالبهم واحتياجاتهم، أو التعبير عن مواقفهم في المسائل المختلفة، وذلك قبل الإسلام وبعده.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(29) الوحدة اللغوية وتهيئة العرب للرسالة الخالدة

لقد كان لتطوّر اللّغة العربيّة ونهضتها قبل الإسلام أهمّيّة تاريخيّة ودينيّة؛ لأنها مرتبطة بالبيت العتيق وما حوله، ولمّا كان القرآنُ معلومًا نزوله، والرّسولُ معلومًا قدومه، فإنّ اللّغة التي تقوم عليها الرّسالة معلومة عند الله، وقد هيّأ الله لها الأسباب لتكون لغة الإسلام، مثلما هيّأ الله إبراهيم والبيت والكتاب والرّسول وكلّ ما يرتبط بالدّين.

وما كان الله لينزل قرآنه وشرعه ويرسل رسوله على أناس مفككّين لغويًّا ومتفرقين ومتعصبين للغاتهم وعرقيتهم وطوائفهم، أو أن تكون لغتهم ضعيفة، لا يفهمون بها ولا يعقلون ولا يستوعبون ولا يطبقون؛ لهذا جرت تهيئة أهل مكّة وما حولها لغويًّا، حتّى يسهل عليهم استيعاب ذلك القرآن العظيم وتصديقه والعمل به.

(30) انتشار اللغة العربية وتأثيرها على اللغات واللهجات

لقد تطورت اللغة العربية في مكة وما جاورها بشكل كبير، ثم انتشرت في العالم، نتيجة الحج ورحلة التجارة بين الشمال والجنوب والشرق والغرب انطلاقًا من مكة، علاوة على الهجرات البشرية من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام والعراق وفارس وما وراء النهرين حتى وصلت الصين والهند وما جاورها شرقًا، وإلى شرق وغرب أوروبا وشمال وعمق إفريقيا.

لهذا أثرت العربية في اللغات المختلفة، وأصبحت العربية تسافر وتستوطن مع المتحدثين بها في المجتمعات المتنوعة، وكلما ابتعدت المجتمعات والحواضر والمدن والممالك والقبائل عن مكة وما جاورها، دخلت فيها اللكنة أو اللهجة أو استبدال حروف مكان حروف. ولا سيما اللهجات العربية البعيدة جغرافيًّا عن موطن اللغة العربية.

ولا تزال تعاني بعض المجتمعات من التغيرات في مفرداتها وفي نطقها العربية بصورة سليمة؛ لذا ضعفت العربية نتيجة سقوط الحكم العربي العباسي والأندلسي، وخضوع العرب والمسلمين لقوى أجنبية، أدت إلى ضعف اللغة العربية والفصاحة ودخول العجمة، ولا سيما في ظل تأثير الاستعمار الذي فرض لغته بالقوة على المجتمعات العربية والإسلامية مثل غيرها من المجتمعات المستعمرة في العالم.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(31) اشتهار مكة والبيت العتيق وغزوهما من قبل أبرهة الحبشي

شكل التّطوّر اللّغويّ في مكة وما جاورها حركة ثقافية أتت في سياق تاريخيّ مرتبط بأوّل بيت وضع للنّاس، وذلك بعد أن اشتهرت مكّة وتحوّلت إلى مركز قوة تجاريّة ودينيّة وثقافيّة ولغويّة، وكان للرحلات القادمة والخارجة من مكة، أثر تجاري واقتصادي وديني وثقافي ولغوي، حيث كانت القوافل تأتي إليها وتخرج منها، وقد تسبّبت هذه الشهرة والقوة لمكة في إثارة غضب القوى المجاورة، التي فقدت مكانتها ودورها نتيجة اشتهار مكّة وتطوّرها؛ لذا قرّرت بعض تلك القوى غزو مكّة وتدمير البيت العتيق، فبدأت بالاعتداء على القوافل الذاهبة إلى مكة والخارجة منها؛ لذلك كان التجار يستخدمون حُرّاسًا لقوافلهم لحمايتها ورد الاعتداءات التي كانت تتعرض لها القوافل التجارية، وتطور الوضع فدخلت القوى المؤثرة في ذلك العصر في حالة من الحرب مع مكة وما جاورها، فكان من أشهر تلك الاعتداءات غزوة أبرهة الحبشيّ الذي توجه إليها على رأس جيش عظيم تتقدّمه الفيلة، وعندما اقترب منها خرج أهل مكّة منها، لعدم قدرتهم على مواجهة أبرهة، وحماية الكعبة، وكانت كلمة عبد المطّلب جدّ رسول الله محمّد، حين قال: "أنا ربُّ إِبِلي وللبيتِ رَبٌّ يَحميه" عندها سخّر الله طيرًا (أبابيلَ) قضت على جيش أبرهة، ووثّقت هذه المعركة في تاريخ البيت العتيق، بآيات قرآنيّة.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (5)﴾ سورة الفيل. وتعد هزيمة أبرهة بداية تحول في التاريخ، فقد عاد أهل مكّة يزاولون عبادتهم وشعرهم وأدبهم وثقافتهم وتجارتهم ويهتمّون بالحجيج، ولكنهم سيشهدون حدثًا جديدًا يغير مكة وما جاورها إلى الأبد.

ذلك التغيير لم يكن ليغير مكارم الأخلاق الحميدة التي كان عليها العرب، وإنما جاء الإسلام ليحافظ عليها ويعززها، فلقد اشتهر العرب قبل وبعد الإسلام بخصال حميدة، وأخلاق فضيلة، ومنها الكرم، وإغاثة الملهوف، والاعتماد على الشورى في كثير من قضاياهم الخاصة والعامة. واحترام الكبير، وتقدير الصغير، وبر الوالدين، والشجاعة، والمحافظة على القيم النبيلة التي تجمع الناس على الفضائل، على الرغم من وجود الشرك، وما رافقه من بعض التصرفات والممارسات الخاطئة التي جاء الإسلام لتصحيحها، والشعر العربي ينضح بكثير من تلك القيم السامية؛ لهذا يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- : "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"،

وجاء القرآن ليعزز بعض القيم والأعراف والأخلاق الحميدة التي كان عليها العرب قبل الإسلام، يقول تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (199)﴾ سورة الأعراف، ويقول الشاعر أحمد شوقي:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هُمُو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقد تحدث بعض المؤرخين في كتاباتهم عن الطريق الذي سلكه أبرهة حتى وصل إلى مشارف مكه المكرمة حيث تم القضاء عليه.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(32) الشرك وعبادة الأصنام

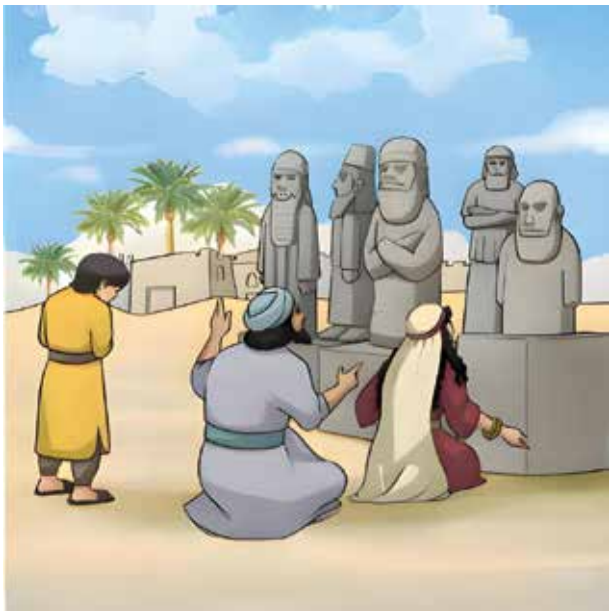

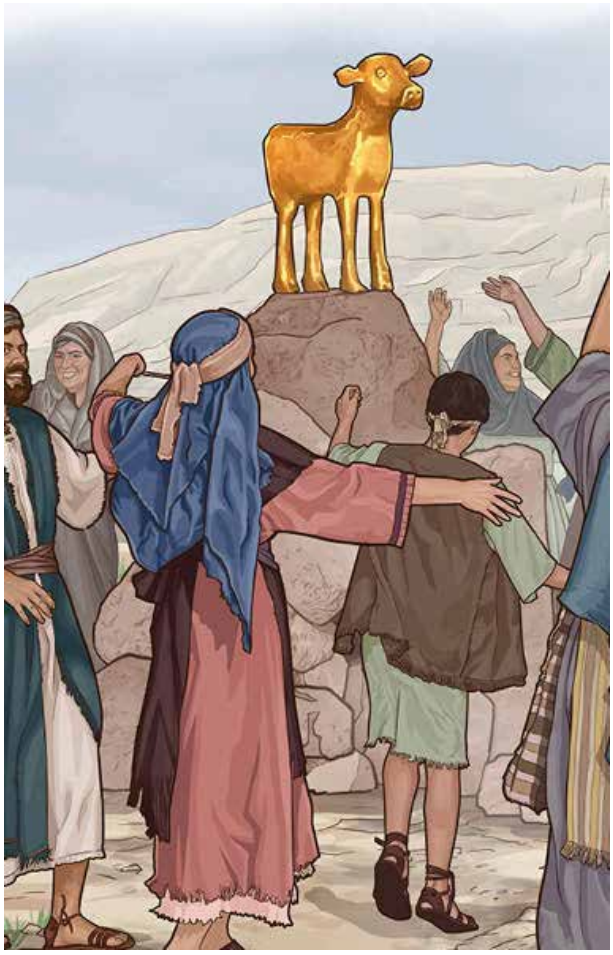

مع مرور آلاف السنين وتغير الأحوال، بقيت مكة، تحافظ على مكانتها وأهميتها، واستمر الناس يحجون إليها، ويتجهون إليها لأجل التجارة والحج، فبعد إبراهيم -عليه السلام- ظهر عدد من الأنبياء والرسل، ولا سيما الذين أتوا إلى اليهود، بعد أن حرفوا التوراة، واستحدثوا في دينهم كثيرًا من المستحدثات؛ لهذا جاء عيسى -عليه السلام- ليصحح تلك الأخطاء التي حصلت على التوراة التي يسمونها العهد القديم، بينما يسمى الإنجيل العهد الجديد؛ لهذا تآمر اليهود على عيسى، مثل غيره من الأنبياء والرسل الذين أرسلوا فيهم بنص القرآن الكريم. ونتيجة لطول الزمن وكثرة الوافدين إلى مكة والخارجين منها، تأثر أهل مكة بغيرهم من الأمم والشعوب، فانتشرت عبادة الأصنام، والخرافات، والطبقية، والعبودية، وغيرها من المخالفات. إلا أنهم كانوا يؤمنون بالله، ويشركون معه عبادة أصنامهم التي يعدونها آلهة ويعبدونها. ولكن الحركة الثقافية والشعرية والأدبية والتجارية والحضارية وصلت إلى أوجها قبل ظهور الإسلام ثانية، نتيجة الإقبال الكثيف على مكة لأغراض مختلفة. هنا كان لابد من أن تعود مكة إلى دورها الذي أراده الله لها، قبلة للإسلام والمسلمين.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(33) ولادة محمد بن عبد الله ونزول الوحي عليه

لقد كانت مكّة على موعد جديد، ومهمّة كونيّة، مرتبطة برسالة سماويّة، استكمالًا لدعوة إبراهيم -عليه السّلام-. ففي عام الفيل ولد محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب، من نسل إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام-، وبهذا تحققت دعوة إبراهيم -عليه السلام- أن يبعث الله فيهم رسولًا منهم، فكان محمد بن عبد الله الذي عرف بالصّدق والأمانة. وقد عاش يتيمًا بعد وفاة والديه، وتربى في كنف جده عبد المطلب ثم عمه أبي طالب. وقد خرج محمد مع عمّه في رحلة تجاريّة إلى الشّام، وعندما وصل إلى مدينة (بصرى - جنوب سوريا) تعرف عليه الرّاهب بحيرى، ورأى فيه علامات تدلّ على أنّه سيكون له شأن عظيم، فقال الراهب لعمّه ارجع به قبل أن يقتل أو يتعرض لأذى، وعاد محمّد بن عبد الله إلى مكّة يزاول التّجارة مع خديجة بنت خويلد التي تزوّجها، فكانت أوّل من آمن به من النّساء.

مدينة بصرى جنوب سوريا التي زارها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ضمن القافلة التجارية بين مكة والشام

لقد عرف محمد بن عبدالله بمعارضته للشرك وعبادة الأصنام، وكان يعرف بالأمين، ولعل من أشهر المواقف التي سجلها التاريخ لمحمد بن عبدالله قبل أن يصبح رسولًا، قصة وضع الحجر الأسود، حين كانت قبائل مكة تعيد بناء الكعبة، واختلفوا على من يكون له شرف وضع الحجر

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

حين كانت قبائل مكة تعيد بناء الكعبة، واختلفوا على من يكون له شرف وضع الحجر الأسود في مكانه، وقد اتفقوا على أن يحكم بينهم أول رجل يظهر عليهم، فكان محمد بن عبدالله، ولما عرضوا عليه الأمر، وضع إزاره، وطلب من كل قبيلة أن تمسك بزاوية من زوايا الإزار، ثم وضع الحجر الأسود بيديه في الإزار، وطلب منهم أن يحملوه، ثم أخذ هو الحجر من الإزار ووضعه في مكانه في ركن الكعبة.

ويعد محمد بن عبد الله من نسل إبراهيم الذي ورد في دعوة إبراهيم لربه، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)﴾ سورة البقرة.

هذه الدعوة الإبراهيمية تحققت بولادة الرسول محمد بن عبدالله -صلى الله عليه وسلم- الذي بدأ يدعو الناس إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام والأوثان، في الوقت الذي كان يقوم فيه بالتّأمّل والتّدبّر في خلق الله في أثناء لجوئه إلى غار حراء وغار ثور في جبال مكّة، عندها نزل عليه جبريل، وبدأ يتنزّل عليه الوحي، فكان أوّل أمر بتوجيه وتشريع ربّانيّ لرسوله والمسلمين قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (6) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (7) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (8)﴾ سورة العلق. مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا (38) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (39) مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (40) سورة الأحزاب.

لقد أكد القرآن الكريم بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو آخر الأنبياء والرسل، ولهذا فإن رسالته عالمية وكونية لأنها آخر الرسالات، وهي موجهة إلى الناس كافة ولهذا وجب على أتباع الإسلام التعريف به بشكل صحيح من خلال المؤسسات الرسمية الحكومية والأهلية المعتمدة.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(34) لماذا القرآن الكريم؟

كيف يمكن للإنسان أن يتعرف على من خلقه، إذا لم يكن هناك ما يدل على الخالق الذي يعرف المخلوق وقدراته وإمكاناته، ووظيفته التي خلق من أجلها، لا سيما وأن هذا المخلوق يعرف أنه زائل لا محالة، بعد أن يقضي الوقت المحدد له في هذه الحياة؟ لذلك كان لابد من وجود دليل أو كتاب يحدد مواصفات هذا المخلوق وغيره من المخلوقات وعلاقته بها، ولا سيما أنه قد خلق وفق مواصفات تسمح له بالتعلم والتعليم ومعرفة الأسماء التي علمها الله له حين خلقه، مقارنة بغيره من المخلوقات ومنها الملائكة.

وبما أن هذه آخر الرسالات فلا بد من أن يكون ذلك الكتاب شاملًا لكل ما يتعلق بحياة ذلك المخلوق المسمى الإنسان، سواء كان مسلمًا أم غير مسلم، والحكمة الربانية تستدعي أن يتعرف الإنسان على نفسه ليعرف ربه، والقرآن أهم مرجع لمعرفة الإنسان لنفسه، ولموقعه بين المخلوقات جميعها التي خلقها الله.

كما أنه يحث الناس ويطالبهم بقراءته والتدبر والتفكر في كل ما ورد فيه. بل أوجب عليهم دراسته، وهذه أهم مسؤولية يجب على الإنسان مسلمًا أو غير مسلم أن يقوم بها، وهي دراسة القرآن الكريم، وليس حفظًا فقط كما يفعل بعض المسلمين، فالحفظ لا يفيد إلا صاحبه فقط، ولكن الدراسة للقرآن تفتح الآفاق المختلفة، وتعرف الإنسان بالحكمة التي تقف خلف مخلوقات الله المختلفة، علاوة على معرفة الأحكام والحدود والواجبات والمسؤوليات التي كلف الله بها الإنسان، مهما كان مسلمًا أو غير مسلم. بل إن قراءة القرآن ودارسته والتدبر والتفكر في ما جاء فيه، سوف يطلعنا على علوم ومعارف وقضايا ومصالح لم نكتشفها بعد. واليوم نجد كثيرًا من المكتشفات لعلماء ومراكز أبحاث متقدمة غربية تقارن الآيات القرآنية العلمية في القرآن بما توصلوا إليه من مكتشفات ومخترعات، ومن يبحث يجدها متوافرة في مواقع مختلفة. لهذا يحث الله الناس على قراءة القرآن، قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (37) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (38) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (39) سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ (40) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (41) يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42)﴾ سورة القلم.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

ولقد حذر الله الناس من هجران القرآن الكريم، واتباع المضلين والضالين والمغضوب عليهم، إذ في كل صلاة يقرأ المسلم سورة الفاتحة في بداية كل ركعة، وهو يطلب الله أن يهديه صراط الذين أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (26) وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا (29) وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (30) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (31) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (32)﴾ سورة الفرقان.

لقد أكدت أولى الآيات التي نزلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهي موجهة للعالمين مسلمين وغير مسلمين، أن القرآن للقراءة من المسلمين وغير المسلمين واجبة لأنه للناس كافة، وليس لمن أسلم فقط. فكان أمر الله للنبي بالقراءة والكتابة من خلال القلم، لتذكيره أن معرفة الإنسان للخالق والخلق ولنفسه لا تكون إلا بالعلم، فنزل القرآن ليفرض على الإنسان القراءة والكتابة وطلب العلم الذي علمه الله للإنسان، وتعد تلك الآيات الأولى هي الأساس الذي بنيت عليها الحضارة العربية والإسلامية، التي أنتجت العلوم والمعارف، وأقامت الأخلاق والشرائع التي جاء بها القرآن الكريم، وفق توجيه رباني كريم. بل إن هذه الآيات تؤكد على الإيمان والإسلام والعبادة لله، يجب أن تبنى وتؤسس على أسس علمية ومعرفية وبحثية واستقصائية، إضافة للتدبر والتفكر،

الجزء السادس عشر — سورة طه

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم
مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طٰهٰ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً
لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾
ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ
فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ
ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا
فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ
أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

٣١٢

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

لمعرفة الإنسان لنفسه أولًا، ولدوره ووظيفته في الحياة ثانيًا، كما أنها تمثل سياسة وخارطة طريق، (نظرية) ومنهجًا ربانيًّا كونيًّا ارتبط بخلق الإنسان وتكوينه، وأهمية التعليم والتعلم في حياته، الذي به يستطيع الإنسان إعمار الأرض، ويعرف دوره في الحياة وعلاقته بالكون وما فيه من مكونات، ويعرف من خلاله الحقوق والواجبات، ويستوعب أسباب وجوده، وكيفية علاقته بالله وبخلقه، وأنه محاسب على أفعاله وأقواله، وعلى ماله وحياته وعلمه ومعرفته بعد موته، وسُمّي القرآن قرآنًا؛ لأنه المصدر التشريعي للمسلم الصادق الذي يخاف الله ويتقيه، وهذا الدليل والمرجع للمسلم حتى يقرأه ويتدبر معانيه ويعمل بموجبه. ولم يرد في القرآن ما يمنع الناس من الأخذ بمقومات الحضارة كلها، والتقدم والتطور والصناعة والنهضة والتجارة والحكم الرشيد والعدل وغيرها من معطيات الحياة الحديثة، ولابد أنه لا يقبل القرآن ولا يبيح أي شيء يتنافى مع كرامة الإنسان والمحافظة على الأخلاق والقيم الحميدة وغيرها من القيم العالية التي تحتاجها الإنسانية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (70) يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (71) وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا (72) وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (73)﴾ سورة الإسراء.

والقرآن الكريم كان هو الدستور ونظام الحكم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعهد الخلفاء الراشدين من بعده، فهو نظام دولة متكامل، ونظام حياة. وخضع للتجريب والتطبيق، كما كان مرجعًا للخلفاء في العصرين الأموي والعباسي والدول الإسلامية التي تلت الحكم العربي الإسلامي. وليس هناك مجال للشك في عظمة هذا القرآن وعلاقته بالدولة وشؤونها. بعد هذه التجارب الهائلة، واستمراره كأول مصدر للتشريع في الدول العربية الإسلامية.

(35) خاتم الرسالات وخاتم المرسلين

اشتهر أهل مكة بالشرك وعبادة الأصنام قبل الإسلام، حتى كان لهم أسواق لبيع الرقيق، وشرب الخمور، وساء الوضع فيها، ليصل إلى حالة تتعارض مع مكانة مكة وقدسيتها، وكان لكل قبيلة أو أسرة عريقة صنم، يوضع في الكعبة، حتى يتوسلوا إليه ليقربهم إلى الله، وقد عارضهم

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

محمد بن عبد الله قبل الإسلام ونهاهم عن ذلك، ولم يعبد الأصنام، وقد وصف الإسلام كفار مكة ومشركيها بالشرك بالله، مع أنهم يعبدون الله، ولكنهم يعتمدون على الأصنام لتكون لهم وساطة إلى الله، وهذه هي قصة إبراهيم نفسه حين دعا الناس إلى ترك عبادة الأصنام وتوحيد العبادة لله، ولما كسّرها، حاجهم أنها لا تنطق، وجرت محاكمته، قال تعالى: ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (64)﴾ سورة الأنبياء.

لقد أرسل الله الرسول محمدًا انطلاقًا من الرسالة الخالدة التي خلق من أجلها الإنس والجن وهي توحيد العبادة لله، وامتدادًا للرسل والأنبياء وللكتب السماوية التي أتت قبله، ثم إن محمدًا صلى الله عليه وسلم جاء كما ورد في دعوة إبراهيم عليه السلام، وكما بُشِّرَ به في الكتب المقدسة؛ ولأنه آخر الأنبياء والرسل، والقرآن الكريم آخر الكتب السماوية، فقد جاء الرسول محمد للناس جميعًا، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (28)﴾ سورة سبأ. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (107) قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (108)﴾ سورة الأنبياء.

99

اشتهر أهل مكة بالشرك وعبادة الأصنام قبل الإسلام، حتى كان لهم أسواق لبيع الرقيق، وشرب الخمور، وساء الوضع فيها، ليصل إلى حالة تتعارض مع مكانة مكة وقدسيتها، وكان لكل قبيلةأو أسرة عريقة صنم، يوضع في الكعبة، حتى يتوسلوا إليه ليقربهم إلى الله، وقد عارضهم محمد بن عبد الله قبل الإسلام ونهاهم عن ذلك، ولم يعبد الأصنام، وقد وصف الإسلام كفار مكة ومشركيها بالشرك بالله، مع أنهم يعبدون الله، ولكنهم يعتمدون على الأصنام لتكون لهم وساطة إلى الله

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(36) نزول الوحي (القرآن الكريم) باللسان العربي

جاء الوحي من الله عبر جبريل بلسان عربي مبين جاعلًا العربية جزءًا أساسيًّا من القرآن الكريم، فهي التي بها نزل القرآن بأمر الله سبحانه وتعالى، وهي حروفه وكلماته ومعانيه، وقد اختصها الله تعالى بهذه المسؤولية العظيمة، وميزها عن غيرها من اللغات، وأكدت الآيات الكريمة أن اختيار اللغة العربية جاء بأمر الله، لتميزها وكمالها ووضوحها وفصاحتها وبيانها وقدرتها على استيعاب أحكام الله وقوانينه وشرعه وحكمه؛ ولأنها لغة ثابتة في معاني مفرداتها وسلامة قواعدها ونحوها وكتابتها، ولم تتغير على الرغم من مرور آلاف السنين، وذلك عكس غيرها من اللغات الأخرى، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (195)﴾ سورة الشعراء. فاللغة العربية جزء أساسي من الوحي والتنزيل الكريم، ولا يمكن الفصل بينهما، إلا من مُعادٍ لله ولكتابه ولرسوله وللإسلام والمسلمين، حتى وإن كان ذلك العدو من المسلمين نسبًا لا دينًا.

والقرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي حافظ على لغته الأصلية منذ نزوله بأمر الله الذي وعد بحفظه، وبما أن القرآن الكريم كلام الله تعالى، وهو دستور المسلمين الذي يستمدون منه شعائرهم وعباداتهم وطاعاتهم وولائهم لله، وإليه يحتكمون في أمور دنياهم وآخرتهم. فإن تقديس اللغة العربية مشروع وواجب وفريضة بصفتها لغة كلام الله القرآن الكريم. ولا يمكن

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

أن يكون القرآن قرآنًا بغير اللغة العربية، فبغيرها يعد ترجمة واجتهادًا بشريًّا لتفسير معاني ومفردات القرآن الكريم، ولا يمكن أن تتم الصلاة والعبادة بالترجمة؛ لأنها من عمل الإنسان، ولا ترقى إلى مستوى النص القرآني العربي الأصلي الذي هو كلام الله تعالى. وبمقارنة القرآن مع الكتب السماوية الأخرى التي ترجمت وحرفت وأصبحت في نظرهم أناجيل أو أسفارًا بلغات مختلفة؛ لذلك فقدت أصالتها؛ لأنها ترجمات وقد تغيرت نتيجة لاجتهادات المترجمين والمفسرين وتنوعهم، وأدخلت عليها نصوصًا ومفردات لشرح معاني المفردات والنصوص الأصلية للكتب المقدسة؛ لأنها لم تعد مكتوبة بلغتها الأصلية التي نزلت بها؛ لهذا فإن القرآن الكريم يحارب من قبل أعداء الإسلام، وأعداء الدين من الذين ينتسبون للإسلام، من خلال محاربة اللغة العربية وإضعافها في مجالات الحياة كلها وفي المؤسسات الحكومية والأهلية في المجتمعات الإسلامية، حتى لا يستطيع المسلم والمسلمة معرفة القرآن وفهمه واستيعابه والعمل بما جاء فيه. هذا الكتاب السماوي هو المرجع للمسلم ليعرف واجباته وحقوقه ومسؤولياته وولاءه وانتماءه، وهو الكتاب الوحيد الذي يدل المسلم على الفضائل والأخلاق والقيم، ويعلمه الحدود والمحرمات التي حرمها الله، والحقوق والواجبات التي هي من مكارم الأخلاق التي خلق الله الإنسان عليها. ولا يمكن أن ترقى التشريعات البشرية التي يضعها البشر إلى مستوى القرآن؛ لأن الخالق وحده تعالى هو من يعرف المخلوق، ويحدد له وظائفه ومسؤولياته؛ لهذا فإن الأنظمة البشرية تسمح للبشر أن يحتكروا بعضهم البعض، أو يملي فيها القوي على الضعيف قوانينه وتشريعاته التي يتسلط فيها على الآخرين، ويحدد بها نمط عيشهم وحياتهم وتفكيرهم، ويستحوذ بها على أملاكهم ومكتسباتهم. وقد سمي القرآن قرآنًا لأنه للقراءة، وللتدبر والتفكر والدراسة والفهم والاستيعاب، وليس للزينة أو الاقتناء، وعلى الرغم من هجر بعض المسلمين للقرآن وقراءته وتعليمه وتعلمه وتدبر معانيه، وتطبيقه في شؤون حياتهم المختلفة، فإن هناك عددًا كبيرًا من المجتمعات الإسلامية ممن يجتهد على حفظه وخدمته والعمل بما جاء فيه في حياتهم اليومية، وسيبقى القرآن من مرجعيات وثوابت وتشريعات وأنظمة العرب والمسلمين، من أفراد ومؤسسات حكومية وأهلية مدى الحياة. هذا القرآن مصدر تشريع رباني، وجزء أساسي في حياة المسلم في كل لحظة من لحظات عمره. وقد أوجب الله على المسلمين قراءة القرآن الكريم وتدبر تشريعاته ومعانيه وما ورد فيه من أحكام

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

وأخبار تسهم في فهم المسلم للخالق وللكون ولعلاقته بكل شيء في الحياة. ولا يمكن الفصل بين القرآن واللغة العربية، ومن يحاول فعل ذلك من أعداء الإسلام، أو من المسلمين المنحرفين عن الدين، والمنافقين الذين يعادون الإسلام ويحاربونه، ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فهم يحاربون الله ورسوله بنص القرآن الكريم. وكل من يعمل على خدمة لغة القرآن الكريم، ويحافظ عليها، ويشجع على تعلمها وتعليمها، ويسهم في انتشارها والعمل بها، فهو يمتثل لكلام الله وشرعه كما أمر الله تعالى. ويستحق من الله الثواب والأجر، كما أن من يحارب اللغة العربية يستحق العقاب والإثم؛ لأن محاربة اللغة العربية هي محاربة لله وللرسول والقرآن الكريم ولولي الأمر من المسلمين الذي يلتزم بطاعة الله ورسوله. وهنا نورد الآيات الكريمة التي تحدثت عن اللغة العربية، وجعلتها جزءًا من القرآن الكريم، بصفتها لغة الإسلام، ولغة العبادة والصلاة والدعاء والتقرب إلى الله، والتي اختارها الله تعالى لنا، مثل ما اختار لنا آباءنا وأمهاتنا، والذين لم يكن لنا الخيار في اختيارهم، كما أننا لم نخير في حياتنا وفي مماتنا، ولا صورنا وأشكالنا، ولا في علتنا ولا صحتنا، ولا في أرزاقنا وأعمالنا وإنما هذا كله بإرادة الله تعالى القائل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2)﴾ سورة يوسف. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113)﴾ سورة طه. قال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (28)﴾ سورة الزمر. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (44)﴾

وقد سمي القرآن قرآنًا لأنه للقراءة، وللتدبر والتفكر والدراسة والفهم والاستيعاب، وليس للزينة أو الاقتناء، وعلى الرغم من هجر بعض المسلمين للقرآن وقراءته وتعليمه وتعلمه وتدبر معانيه، وتطبيقه في شؤون حياتهم المختلفة، فإن هناك عددًا كبيرًا من المجتمعات الإسلامية ممن يجتهد على حفظه وخدمته والعمل بما جاء فيه في حياتهم اليومية، وسيبقى القرآن من مرجعيات وثوابت وتشريعات وأنظمة العرب والمسلمين، من أفراد ومؤسسات حكومية وأهلية مدى الحياة.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

سورة فصلت. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (7)﴾ سورة الشورى. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (103)﴾ سورة النحل. وقال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ (12)﴾ سورة الأحقاف.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (195)﴾ سورة الشعراء. وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3)﴾ سورة فصلت. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (37)﴾ سورة الرعد.

وإذا كان مصدر الكتب السماوية واحدًا، وهو اللّه، والمستهدف منها هو الإنسان، والغاية واحدة وهي عبادة اللّه، فقد أنزلت لأهداف معينة، وعلى قوم معينين، في أوقات معينة؛ لذلك جاء القرآن الكريم خاتمًا لما سبقه من الكتب السماوية، ويعالج ما تعرضت له تلك الكتب من تحريف وتزوير نتيجة التدخل البشري فيها عبر آلاف السنين، وبناءً على هذا، فإن الله تعالى من خلال القرآن الكريم، وضح مجالات التحريف والتزوير وعالجها، كما أنه أكد على أن القرآن هو المرجع الصحيح والأخير للبشر كافة، بمن فيهم اليهود والنصارى، وهذا سبب معاداة بعض أتباع السماوية للإسلام والقرآن والرسول محمد صلى الله عليه وسلم والعرب والمسلمين، ويرى هؤلاء المعادون أن الله ميزهم وخلقهم وحدهم لعبادته، ونسوا أن من خلقهم خلق غيرهم، وميز غيرهم عليهم بآخر الرسالات وآخر الرسل.

ولعل من أهم الأعمال السينمائية التي تم إنجازها للتعريف بالرسالة الإسلامية وفق التقنية العصرية التي تعتمد على الإعلام والإعلان (فيلم الرسالة)، والذي حظي بدعم كبير مكن القائمين عليه من تحقيق إنجاز فني كبير، ليكون شاهدًا على الإسلام الذي يتعرض للكثير من الأعمال السينمائية التي تسيء للإسلام والمسلمين وفق منهجية غربية تهدف إلى تزوير الحقائق والمعلومات والتاريخ للشعوب العربية والإسلامية.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبداللّه موسى

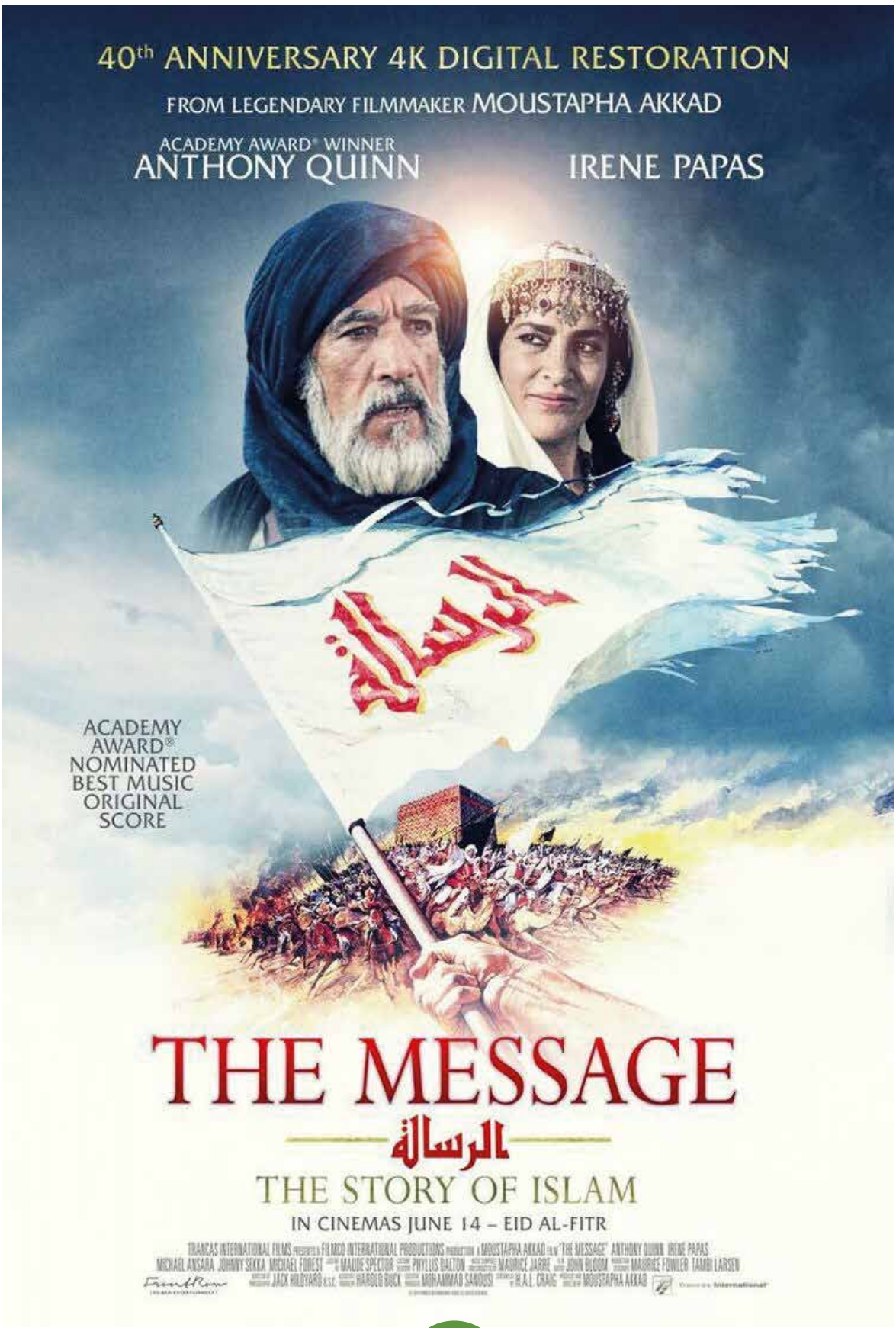

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(37) وجوب تعلم العربية وتعليمها للمسلمين شرعًا

كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- أميًّا، لا يقرأ ولا يكتب، وتلك من حكمة الله، حتى لا يتأثر بما يكتب أو يقرأ، فيقال إنه من كتب القرآن، وهذه من المعجزات التي اختص الله بها رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- فقد نزل القرآن الكريم عليه باللغة العربية في مكة المكرمة، بجوار الكعبة المشرفة، ليرسله ويأمره بالقراءة، فكان هذا أول توجيه من الله للرسول خاصة، وللمسلمين عامة، إذ أكد هذا التنزيل على أهمية فهم واستيعاب كيف خلق الله الإنسان، وعلّمه ما لم يكن يعلم، وبيّن أنّ القراءة والكتابة والقلم، هي الأدوات الرئيسة لمعرفة العلم، ومعرفة خالق الكون تعالى الذي إليه يرجع الخلق، وبيده مفاتيح الكون وعلمه؛ لهذا أوجب الله على المسلم أن يتعلّم القراءة والكتابة، ويتعرف على أسباب وجوده وخلقه، ومسؤولياته ودوره في الحياة، ويطلع على الحقوق والواجبات، ويبحث في أسرار هذا الكون، ويعمل على البناء والإعمار والاستفادة من الخيرات الكثيرة التي جعلها الله للناس، بنص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)﴾ سورة العلق.

ويُعَدُ هذا التّنزيل أمرًا مفروضًا على المسلمين يطالبهم بتعلم القراءة والكتابة للحصول على المعرفة والأخذ بأسباب القوّة والمنعة، وأولها تعلم لغة وقراءة القرآن الكريم، وأداء الواجبات الدينية والعبادة. والتفكر في أسرار الكون والخلق من خلال التعلم والتدبر والتفكر والاستنباط والتحليل والمقارنة والتصنيع والاكتشاف وخدمة البشر وتسهيل طرق عيشهم وحياتهم، وفهم العلاقة بين الكائنات المختلفة، ونشر العدل والإنصاف بين الناس، وتعليمهم عبادة الله، واحترام حقوق البشر باختلاف ألسنتهم ومعتقداتهم وألوانهم وأجناسهم، حتى إن الله حث الإنس والجن على البحث في أسرار الكون خارج الأرض وفي باطنها وفي البحار وغيرها، فقال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33)﴾ سورة الرحمن. ولأن اللّغة العربيّة هي لغة الإسلام، ولغة القرآن، ولغة العبادة، بل ولغة النظام والحياة، ولغة الدولة والحكم، فهي واجبة شرعًا على كلّ مسلم ومسلمة، وتعدّ من مسؤوليّات المسلمين الأولى التي يجب عليهم أن يتعلّموها ليعرفوا دينهم، وليعبدوا الله على بصيرة وعلم، وليعرفوا القرآن الكريم ويفهموا مقاصده وشرعه

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

ويعملوا بما أمرهم الله به. ولا يمكن فصل اللّغة العربيّة عن الإسلام والقرآن والعبادة وشؤون الحياة جميعها؛ لأنّها جزء من الدّين، ولا تصح العبادة والصّلاة إلّا بها؛ ولأن الإسلام دين ودولة، دنيا وآخرة، فإن اللغة الرسمية للدولة المسلمة يجب أن تكون لغة الإسلام، إلى جانب اللغة الوطنية، أو اللغة الأجنبية، ولا يمكن أن يكون الإسلام في أي دولة مسلمة إلا بلغته التي أنزلها الله مقرونة بكتابه الكريم، أخذًا بما تنصّ عليه القاعدة الشّرعيّة التي تؤكد على أنّ "ما لا يتمّ الواجب إلّا به فهو واجب". فإذا كانت الصلاة والعبادة والدعاء وقراءة القرآن وتدبره واجبة، فإن الوجوب يقتضي حتمًا تعلم لغة الإسلام والقرآن وتعليمها للمسلم، حتى يتمكن من العبادة والقراءة السليمة، التي تسمح له بالفهم والاستيعاب لما يقول، وما يقرأ في كتاب الله، وإلا كيف يفهم الدين ويعمل به وهو لا يعرف لغة الدين؛ لذا لا يكون الإسلام مكتملًا في حياة المسلم، إلا بمعرفة لغة الإسلام، التي أنزلها الله كجزء من الوحي، حين نزل القرآن الكريم؛ لذلك فإن اللغة العربية واجبة شرعًا وعقلًا وقانونًا على المسلمين والمسلمات، وهي حق من حقوقهم الدينية والمدنية والقانونية والدستورية والنظامية والتشريعية، وجزء من عبادتهم وهويتهم التي لا تتعارض مع هوياتهم الأخرى، ويجب على ولي الأمر من الوالدين والمسؤولين والحكام في الدول الإسلامية تمكين المسلمين من القيام بهذا الواجب الشرعي،

فإن اللغة الرسمية للدولة المسلمة يجب أن تكون لغة الإسلام، إلى جانب اللغة الوطنية، أو اللغة الأجنبية، ولا يمكن أن يكون الإسلام في أي دولة مسلمة إلا بلغته التي أنزلها الله مقرونة بكتابه الكريم، أخذًا بما تنصّ عليه القاعدة الشّرعيّة التي تؤكد على أنّ "ما لا يتمّ الواجب إلّا به فهو واجب". فإذا كانت الصلاة والعبادة والدعاء وقراءة القرآن وتدبره واجبة، فإن الوجوب يقتضي حتمًا تعلم لغة الإسلام والقرآن وتعليمها للمسلم، حتى يتمكن من العبادة والقراءة السليمة، التي تسمح له بالفهم والاستيعاب لما يقول، وما يقرأ في كتاب الله

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

الذي يمكنهم من تعلم دينهم والقيام به كما أمر الله تعالى. وقد ارتبطت طاعة ولي الأمر بطاعة الله ورسوله، لأن الحاكم المسلم الذي يحرص على طاعة الناس لله والرسول، فقد أوجب الله على المسلمين السمع والطاعة له؛ لأن طاعته مقرونة بطاعة الله ورسوله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59)﴾ سورة النساء. ويعد تعلم المسلم للغة العربية من أولوياته الدينية، وهو محاسب عليها؛ لأنها أساس هويته الإسلامية التي تأسس عليها الإسلام، ويجب على المسلم تعلم وتعليم اللغة العربية؛ لأنها لغة الإسلام والقرآن الكريم، وتعد من متطلبات العبادة وأداء الواجبات الدينية على خير وجه، كما أن عدم اهتمام المسلم بتعلم اللغة العربية، يعد تهاونًا في الدين، وإثمًا يعاقب عليه المسلم، ولا سيما من لديهم القدرة والاستطاعة لتعلمها، ثم لا يقومون بواجباتهم اللغوية وتعلم لغة الإسلام. وإذا كان المسلم حريصًا على تعلم اللغات الأجنبية من أجل الوظيفة وسوق العمل، فهو مطالب شرعًا بتعلم اللغة العربية لأداء واجباته الدينية وفق ما أمره اللّه به في القرآن الكريم. وتعد قانونًا ملزمًا للمسلمين والمسلمات، وهي حق من حقوقهم الدينية والمدنية والقانونية والدستورية والنظامية والتشريعية،

99

ويعد تعلم المسلم للغة العربية من أولوياته الدينية، وهو محاسب عليها؛ لأنها أساس هويته الإسلامية التي تأسس عليها الإسلام، ويجب على المسلم تعلم وتعليم اللغة العربية؛ لأنها لغة الإسلام والقرآن الكريم، وتعد من متطلبات العبادة وأداء الواجبات الدينية على خير وجه، كما أن عدم اهتمام المسلم بتعلم اللغة العربية، يعد تهاونًا في الدين، وإثمًا يعاقب عليه المسلم، ولا سيما من لديهم القدرة والاستطاعة لتعلمها، ثم لا يقومون بواجباتهم اللغوية وتعلم لغة الإسلام. وإذا كان المسلم حريصًا على تعلم اللغات الأجنبية من أجل الوظيفة وسوق العمل، فهو مطالب شرعًا بتعلم اللغة العربية لأداء واجباته الدينية وفق ما أمره الله به في القرآن الكريم

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

وجزء من عبادتهم وهويتهم التي لا تتعارض مع هوياتهم الأخرى، ويجب على ولي الأمر من الوالدين والمسؤولين والحكام في الدول الإسلامية تمكين المسلمين من القيام بهذا الواجب الشرعي الذي يمكنهم من تعلم دينهم والقيام به كما أمر الله تعالى. وقد ارتبطت طاعة ولي الأمر بطاعة الله ورسوله؛ لأن الحاكم المسلم الذي يحرص على طاعة الناس لله والرسول، فقد أوجب الله على المسلمين السمع والطاعة له؛ لأن طاعته مقرونة بطاعة الله ورسوله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59)﴾ سورة النساء.

ويعد تعلم المسلم للغة العربية من أولوياته الدينية والطنية والإسلامية، وهو محاسب عليها، لأنها أساس هويته الإسلامية التي تأسس عليها الإسلام، ويجب على المسلم تعلم وتعليم اللغة العربية؛ لأنها لغة الإسلام والقرآن الكريم، وتعد من متطلبات العبادة وأداء الواجبات الدينية على خير وجه، كما أن عدم اهتمام المسلم بتعلم اللغة العربية، يعد تهاونًا في الدين، وإثمًا يعاقب عليه المسلم، ولا سيما من لديهم القدرة والاستطاعة لتعلمها، ثم لا يقومون بواجباتهم اللغوية وتعلم لغة الإسلام. وإذا كان المسلم حريصًا على تعلم اللغات الأجنبية من أجل الوظيفة وسوق العمل، فهو مطالب شرعًا بتعلم اللغة العربية لأداء واجباته الدينية وفق ما أمره الله به في القرآن الكريم.

(38) هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة

بعد أن دخل عدد من أهل مكة في الإسلام، تعرضوا للتعذيب والتنكيل من أهل قريش الذين حاربوهم، وقسوا عليهم، وخشية عليهم من شدة معاداة الناس لهم، أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة، التي كان يوجد فيها حاكم عادل، لا يظلم عنده أحد، وقد سألهم عن دينهم، وبعد أن سمع منهم، قال والله إنه ما عندنا في النصرانية، وقد جاء بعض أهل مكة لاستعادتهم، ولكن ملك الحبشة رفض أن يعودوا، وبعد هجرة الرسول محمد وقيام دولة الإسلام في المدينة المنورة، التحقوا بالرسول وبدولة الإسلام، وقد تحدث التاريخ عن قصص التعذيب والتنكيل التي تعرض لها مَن هُم مِن المسلمين الأوائل.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

الهجرة الأولى إلى ملك الحبشة

(39) معارضة أهل مكة وغيرهم للرسول والقرآن

لقد تميزت مكة بنظام حكم خاص يجمع القوى المتنفذة فيها، فكان لسادة مكة مقر قيادة، يسمى "دار الندوة" يتخذ منها قادة قريش مقرًّا لاجتماعاتهم واتخاذ قراراتهم المختلفة، بشكل تشاوري، وقد أسسها قصي بن كلاب جد الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم، وكانت عضويتها لكل من يبلغ الثلاثين من عمره. ولم يتوقع أهل مكة وسادتها أن يأتيها التغيير من داخلها بعد أن كان الخوف يأتيهم من خارجها. فلم تمضي المدة الطويلة على حادثة غزو الكعبة من قبل أبرهة، حتى ولد محمد بن عبد الله، بعد أن كانت مكة يُجرى تحضيرها لتستقبل حدثًا عظيمًا؛ لهذا فإن إعادة بناء الكعبة والحج إليها، وتطور اللغة العربية، واشتهار مكة بالتجارة، وارتفاع مستوى الوعي اللغوي والشعري والثقافي فيها، وتطور ملكة الحفظ للشعر والخطابة عند الناس، مهّد لتغيير جذري في واقع مكة وما حولها. بعد أن أسهم انتصار مكة على عدوها الحبشي في زيادة مكانتها وعلو شأنها، وإقبال الناس إليها. لقد أنكر محمد بن عبد الله على أهل مكة عبادة الأصنام والأوثان قبل نزول الوحي، وعندما أنزل عليه القرآن، وكلف بتبليغ الرسالة، دعا أهل مكة إلى توحيد العبادة لله ونبذ الشرك وعبادة الأصنام؛ لهذا

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

نزول الوحي على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وبداية دعوته إلى الله صدمة لأهل مكة، وهو يحمل معه التغيير الجذري في حياة أهل مكة وما حولها، الذين لم يقتنعوا بالتخلي عن امتيازاتهم، ومكانتهم التي بنوها على مدار قرون ويتبعونه. وقد ثار نقاش وحوار بين أهل مكّة وما جاورها، وحتّى مع الأمم والشّعوب والأديان الأخرى، حول الرّسول والقرآن العظيم، وبلاغة ذلك الكتاب عندما سمعوه، فقالوا إنه شعر، أو سحر، وبذلوا جهودًا كبيرة لمواجهة ذلك الرسول، وذلك القرآن العظيم الذي جاء ليغيّر الإنسان والمكان، ويذكر بالماضي ويعرف بالحاضر ويتحدث عن المستقبل. وبعد أن ثار أهل مكة على الرسول وحاربوه، وشككوا فيه وآذوه، وقالوا إنه يتعامل بالسحر أو يقول الشعر، أو مسه الجن، وقدحوا فيه، ثم حاصروه هو وأسرة بني هاشم في شعب أبي طالب لمدة ثلاث سنوات، ومنعوا البيع والشراء والزواج منهم والتعامل معهم، وعلقت صحيفة في الكعبة تنص على حصارهم، بهدف ثني الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عن دعوته إلى الإسلام، فقد خيروه في المناصب والملك عليهم، ولكنه قال مقولته المشهورة: **"والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته"**. وما أن فك أهل مكة الحصار عن بني هاشم استمر الرسول في دعوته، ولكن عداوتهم له استمرت، حتى من أقرب الناس له، من أبي الحكم الذي سُمي بأبي جهل، ثم ما لبث أهل مكة أن اجتمعوا في "دار الندوة"، وأجمعوا على قتله، وانتدب من كل قبيلة مجموعة من الفرسان حتى لا يعرف من قتله ويتفرق دمه بين القبائل، وبعدها هاجر الرسول سرًّا إلى المدينة المنورة، واستقبله أهلها، وعقد معهم معاهدة على نصرته.

لقد كان القرآن يتحدى العرب بلغتهم التي يفاخرون بها، فنزل بلغة عربية أبلغ من شعرهم، ومن خطبهم؛ لأنه كلام الله الذي لا تليق به إلا لغة جديرة بذلك الشرف العظيم؛ لهذا جاء القرآن بلغة عربية تفوق لغة الشعراء العرب، الذين افتتنوا ببعضهم، ومن هنا كان التنزيل الرباني يؤكد على مكانة وأهمية اللغة العربية وعدّها جزءًا من تنزيل القرآن الكريم.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

كما جاء واضحًا من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (195) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (196) أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (197) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (198) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (199)﴾ سورة الشعراء.

وقد كونت لغة القرآن الكريم المعجزة اللغوية والتحدي لسادة مكة وحكمائها وشعرائها، أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا. وفي هذا قال الوليد بن المغيرة: "والله لقد سمعت من محمد آنفًا كلامًا ما هو من كلام الأنس، ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى عليه". الوليد بن المغيرة (ويكيبيديا) الموسوعة الحرة. وقد شكلت اللّغة العربيّة مدخلًا مهمًّا عندما اصطفاها الله لكلامه ودينه وشرعه، وميزها باختيار الله لها؛ لأنّها لغة غير عرقيّة، ومرتبطة برسالة سماويّة، وهي جزء من الهُويّات الكبرى الموحِّدة والجامعة التي تحقّق المساواة والعدالة وتكافؤ الفرص بين النّاس، وتسمح لهم بفهم كتاب الله والعبادة، والحقوق والواجبات؛ لهذا انشغل أهل مكة بهذه المعجزة اللغوية، وأجبروا على أن يعترفوا ببلاغة القرآن وفصاحته، ومصداقيته، وأخذ الناس يسلمون جهرًا وسرًا. وبعضهم هاجر ولحق بالرسول محمد في المدينة بعد الهجرة. وبدأ الناس يعبرون عن هويتهم الإسلامية، ويواجهون بعضهم البعض بحقيقة الإسلام، وصار فخرهم عظيمًا بعد أن أصبحت اللغة العربية من الهويات المرتبطة بالدين بصفتها لغة الإسلام، ومن أجاد العربية وتكلم بها فهو عربي اللسان، مثل ما هو مسلم الهوية والديانة، وفي الأثر "**إن الرّب واحد، والأب واحد. وليست العربيّة بأحدكم من أب ولا أمّ، وإنّما هي لسان، فمن تكلّم العربيّة فهو عربيّ**". لقد اتجه كثير من الناس إلى الإسلام، وبقي بعضهم على شركهم وضلالهم وعنادهم، ولم يكن أمامهم إلا الدخول في الإسلام بعد أن دخل فيه سادة مكة وكبراؤها طواعية.

(40) الهجرة الثانية ودولة الإسلام في المدينة المنورة

لقد تعرض الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه للأذى والتعذيب مما اضطره أن يرسل أصحابه إلى الحبشة لحمايتهم، وفي الوقت ذاته عمل على الدعوة ومواصلة المبايعة مع

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

الذين آمنوا به، وفي مقدمتهم أهل يثرب من الأوس والخزرج الذين بايعوه على السمع والطاعة في المنشط والمكره، والدفاع عنه وعن الدين والدولة، وكانت يثرب تترقب بشغف كبير قدوم الرسول صلى الله عليه وسلم إليها، وقد علمت قريش بذلك فقررت قتله، ولكنه خرج مع صاحبه أبو بكر الصديق متخفيًا يسلك طرقًا غير الطرق المعتمدة للقوافل والمسافرين بين مكة ويثرب، وبالرغم من محاولات قريش وفرسانها اللحاق بهم، ولكن الرسول كانت في حماية الله. وصل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب واستقبله أهلها بالترحاب وبالنشيد الخالد، الذي يشكل أجمل المعاني والكلمات في وصف المشاعر التي كان يحملها أهل يثرب وهم يستقبلون رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلين:

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع

جئت شرفت المدينة ... مرحبًا يا خير داع

وصل الرسول إلى يثرب ثم سماها المدينة المنورة، وتأسس أول مسجد في الإسلام، وهو مسجد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وقامت دولة الإسلام، فكان لها حاكمها ودستورها وشرعها، وجيشها ورجالها ونساؤها، واستمر الوحي ينزل على رسول الله حتى استكمل الدين كما أراده الله تعالى للمسلمين. وقد شكل تأسيس دولة الإسلام منعطفًا تاريخيًا في مستقبل الجزيرة العربية وأهلها الذين خصهم الله بأن يكونوا أمناء على نشر الإسلام والتعريف به، وحمايته ومناصرته، حتى بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وشمالها وجنوبها. وقد تغلبت دولة الإسلام على جميع القوى التي كانت في ذلك العصر فسقطت فارس وغلبت الروم، بوعد من الله تعالى، كما جاء في القرآن الكريم.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(41) علاقة اللغة العربية والدين بالحكم والولاء والطاعة

لقد جاء الإسلام ليؤكّد على الولاء والطّاعة لله ورسوله وأولي الأمر؛ لهذا اقترنت طاعة وليّ الأمر بطاعة الله ورسوله، وهذا يوجب على الحاكم والمحكوم الطّاعة لله والرسول أولًا، بصفتهما مخلوقين من عباد الله، وأنهما محاسبان على أعمالهما وأقوالهما وتصرفاتهما، والحاكم ملزم شرعًا بما أنزله الله على رسوله، وبما جاء في القرآن الكريم من تشريعات وعبادات ومعاملات وغيرها، ومنها تعليم النّاس الدّين واللّغة، لضمان طاعة النّاس وولائهم لله ورسوله وأولي الأمر منهم، وفق ما أنزل الله في كتابه الكريم،

وقد نصّ القرآن على العودة إلى الله ورسوله إذا اختلّت العلاقة بين الحاكم والمحكوم في شؤون الحياة جميعها، ومنها تعليم الحاكم الناس للدّين، وتعليم لغة الإسلام العربية المرتبطة بعبادة الله التي خلق الله الإنسان من أجلها. وقد أوجب الله على الحاكم الاهتمام بتعليم الإسلام ولغته العربية شرعًا؛ لأنها أداة الطاعة لله وللرسول وأولي الأمر، وبها تتحقق العدالة والمساواة ومعرفة المسلمين لحقوقهم وواجباتهم ولدينهم من مصادره الأولية، حتى لا يستغل جهلهم بلغة القرآن من قبل أعداء الدين، فيضلّون الناس عن دينهم، ويتيحون الفرصة للطوائف المنحرفة عن طاعة الله والرسول وأولي الأمر باستغلالهم في مشاريعها الضالة، ويصبح الدين وسيلة لتأسيس جماعات ضالة ومضلة، نتيجة عدم فهم المسلمين للحقوق والواجبات وفق

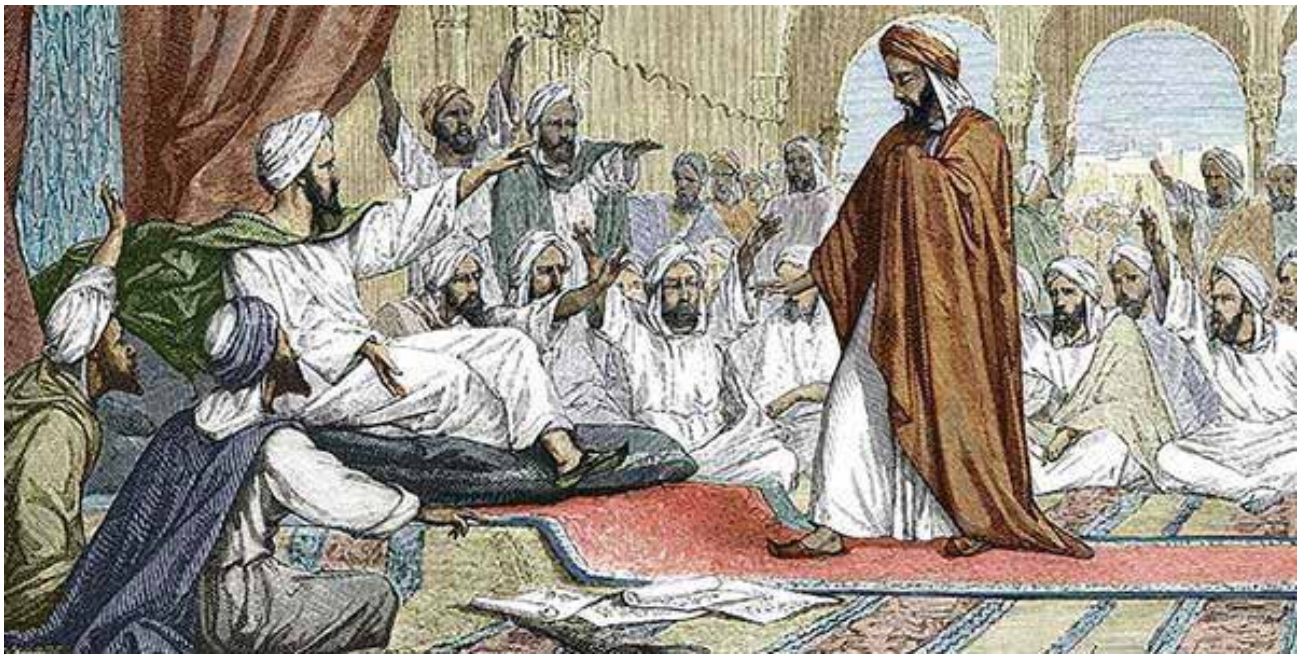

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

ما أمر الله به من مصادره الأولية القرآن والرسول. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59)﴾ سورة النّساء.

كما أن من أسباب عدم اهتمام الحاكم بتعليم الإسلام ولغته، أن ينفصل الناس عن ثوابتهم ومرجعياتهم ويرتبطون بمرجعيات ومؤثرات خارجية تؤثر على هويتهم وولائهم وانتمائهم، وقد أكد الإسلام على طاعة الله والرسول، وربط طاعة ولي الأمر بمدى اجتهاد الحاكم في تعليم المسلمين أمور دينهم، وحثهم على طاعة الله ورسوله. وقد جاء في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم- قوله "لا طاعةَ لِمَخْلوقٍ في مَعصيةِ الخالق"، وإنَّما الطَّاعةُ للحاكم تكونُ في كل شيء إلا معصية اللهِ تَعالى ورسولِهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ويعد جهل المسلم بالدين الصحيح وبلغة الدين من المخالفات الدينية التي تتناقض مع الإسلام وتعاليمه، وتشجع على تهميشه، والحاكم المسلم مطالب بالحفاظ على الدين الإسلامي ولغته، وبتعليم الناس أمور دينهم كافة ولغته التي بها يتعبدون الله، كما جاء في الآيات التي تتحدث عن لغة القرآن الكريم. وللتأكيد على هذه الطاعة لله والرسول وعلاقتها بطاعة ولي الأمر ولا سيما الحاكم ومن بيده الأمر

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

والنهي، فقد كان أول من طبق هذا التوجيه الرباني الخليفة أبو بكر الصديق حين تولى الخلافة وخطب في المسلمين قائلًا: (يا أيُّها الناس، قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حقٍّ فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسدِّدوني. أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، فإذا عصيتُه فلا طاعة لي عليكم. ألا إنَّ أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحقَّ له، وأضعفكم عندي القويُّ حتى آخذ الحقَّ منه. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم). طارق محمد (وضوع) 27 أبريل 2022م. كما أن ولي الأمر سواء الأبوين أم الحاكم والمسؤول وكل صاحب سلطة وقرار يتحملون مسؤولية ولايتهم للأمر، ومسؤوليتهم عن الناس بتمكين أبنائهم وبناتهم ومجتمعاتهم وموظفيهم والعاملين تحت سلطتهم من الدين الإسلامي واللغة العربية التي هي جزء لا يتجزأ من الدين. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته؛ فكلكم راع ومسؤول عن رعيته) متفق عليه. وذلك لأن بأيديهم مسألة الحل والعقد واتخاذ القرارات التي تتعلق بحياة الناس ومستقبلهم. وفي الحديث عن أبي هريرة أنه قال سمعت النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقول: "ما مِن مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ، كما تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِن جَدْعَاءَ"، ثم يستشهد أبو هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عنْه- بقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا (30)﴾ سورة الروم. لذا؛ فإن الأسرة تملك الولاية الأصيلة والحق في تربية الأبناء والبنات وتنشئتهم تنشئة إسلامية صحيحة، كما أن لها تأثيرًا كبيرًا على مستقبل وحياة الأبناء والبنات؛ لذلك تتحمل الأسرة المسؤولية كاملة، فهي المعنية بتعليم الدين الصحيح لأبنائها وبناتها، وهي المسؤولة عن تعليمهم لغة الإسلام العربية، بصفتها جزءًا من معرفة الدين وفهمه واستيعابه والعمل بما جاء فيه؛ ولأن الآباء والأمهات مكلفون قانونًا وشرعًا بتنشئة الأبناء والبنات وتوجيههم، وجب على الدولة أن تلزم الأسرة بتعليم أبنائها وبناتها الدين الإسلامي واللغة العربية، كون ذلك جزءًا من طاعة الله والرسول، والعمل بكتاب الله القرآن الكريم، وجزءًا من وجوب الطاعة لولي الأمر الذي يحكم بما أمره الله، في الدولة المسلمة التي تحكم المسلمين وتدير شؤونهم.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(42) كونية اللغة العربية وعالميتها

لقد حَوَّلَ القرآن الكريم والإسلام اللغة العربية من إقليمية منتشرة في القارات ومركزها مكة، إلى لغة كونية مرتبطة بالله سبحانه وتعالى، وكلامه القرآن الكريم، وبجبريل، والرسول، وبالكعبة المشرفة، وبالمسلمين عامة، وغيرهم من الأمم والشعوب الذين تربطهم علاقة بالإسلام والمسلمين، أو من العرب غير المسلمين، حتى الجن الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم؛ ولأن الرسالة الإسلامية هي آخر الرسالات، والقرآن آخر الكتب السماوية، والرسول آخر الرسل والأنبياء، فهي رسالة للناس كافة بلسان عربي مبين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (107)﴾ سورة الأنبياء. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (28)﴾ سورة سبأ.

وإذا كان جبريل والملائكة يعرفون كلام الله وقرآنه، فقد استمع الجن إلى القرآن الكريم بلغته العربية، وآمنوا به لأنه كلام الله، فقال تعالى: ﴿ قُل أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَر مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعنَا قُرءَانًا عَجَبا يهدي إلى الرشد فآمنا به(1)﴾ سورة الجن. لأجل ذلك، تعد اللغة العربية لغة كونية وعالمية، وهي لغة جامعة وموحدة ومرتبطة بحياة المسلم وآخرته، وليست لغة عرقية أو قومية أو استعمارية أو لغة احتلال وتسلط وهيمنة واستعباد، بل هي للناس أجمعين، حتى لغير المسلمين من النصارى واليهود العرب وغيرهم، الذين يجدون في تعلمها قضاءً لحوائجهم واستقرارًا في حياتهم، وسبيلًا في تطورهم وتقدمهم.

ولقد أسهم كثير من علماء المسلمين والعرب في خدمة اللغة العربية ووضع قواعدها، والإبداع بها وخدمتها من خلال التخصصات والمجالات العلمية المختلفة، حتى تحولت العربية إلى هوية انتسب إليها أهل مكة وما جاورها، إضافة إلى غيرهم من المرتبطين باللسان العربي والهوية العربية، وكان ذلك بعد أن تشكلت العربية من لغاتهم المختلفة، وأصبحت نسبًا لهم، حتى جاء في الأثر "العربية لسان، من تحدث العربية فهو عربي". ومع انتشار الإسلام أصبحت العربية لغة للمسلمين على اختلاف لغاتهم وأعراقهم وطوائفهم، وكتبوا لغاتهم بحروفها، وأبدعوا بها في التخصصات جميعها. وتعد العربية من الهويات الكبرى التي يشترك فيها الناس جميعًا مثلها مثل الدين، فالدين والقرآن والرسول للمسلمين كلهم، ولغة الإسلام العربية

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

وارتباطها بالدين والعبادة والقرآن الكريم كلام الله، وحصلت على عالميتها من المسلمين باختلاف أعراقهم ولغاتهم وتوجهاتهم وأشكالهم وجنسياتهم ودولهم وأماكنهم، علاوة على أنها يتعبد بها أكثر من ملياري مسلم، وهي لغة وطنية في الدول العربية، ولغة رسمية ضمن اللغات الأساسية في المنظمات والهيئات الدولية المختلفة.

يُذكر أن العهد النبوي شهد شخصيات غير عربية ولكن اللغة العربية عربتهم ودمجتهم ومنحتهم الهوية العربية، **فقد كان من أصحاب الرسول سلمان الفارسي من آسيا، وبلال بن رباح من إفريقيا، وصهيب الرومي من أوروبا، وهؤلاء من الصحابة الذي ورد ذكرهم في كثير من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان يصفهم الرسول بـ"أنهم منا آل البيت".** واستخدم كلمة منا (نحن) للتقريب والقرابة، ولم يقل من آل البيت؛ لهذا فإن اللغة العربية هوية لكل من يتقن التحدث بها، ويرغب في نسب نفسه إليها والانتماء لها، مثلها مثل انتسابه وهويته الإسلامية.

تأسست دولة الإسلام بقيادة الرسول محمد بن عبدالله -صلى الله عليه وسلم-، وشهدت الدولة تحديات كثيرة عند نشأتها ولكنها صمدت، وقد تأسست بقوة بعد هجرة الرسول وأصحابه إلى المدينة المنورة في ضيافة الأنصار من الأوس والخزرج الذين كان لهم الدور الرئيس في قيام الدولة وحمايتها، وكان الناس يأتون إلى المدينة لمبايعة الرسول.

واشتهرت الكتابة والرسائل الرسمية للملوك والحكام في الإمبراطوريات الكبرى، والممالك والقبائل المجاورة، التي كان يدعوهم فيها الرسول إلى الإسلام، وقامت دولة الإسلام متكاملة الأركان لها دستورها، وحاكمها ورجالها وجيشها وعلاقاتها الخارجية، وعقدت المعاهدات، وخاضت الحروب والغزوات، ودافعت عن نفسها في المعارك كلها التي كانت تخوضها في الدفاع عن الإسلام والمسلمين، وواجهت المؤامرات التي تحاك ضدها بحكمة وعزيمة وصبر. وكانت اللغة العربية لغة الوحي من الله، ولغة الإسلام والحكم والدين والتواصل والإدارة والسياسة والتجارة والتعليم والمفاوضات والمعاهدات، وقد تحولت اللغة العربية في العهد النبوي من كونها لغة إقليمية إلى لغة عالمية كونية.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(43) اللغة العربية في عهد النبوة (622 – 632م)

لقد كانت كتابة الوحي من أهم المهام التي أوكلها الله لأصحاب الرسول -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يكن للوحي كاتب، بل كتيبة من الكتاب الذين استعان بهم الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- في كتابة الوحي وحفظ القرآن على مدى ثلاثة وعشرين عامًا، وكان سهلًا على المسلمين حفظ القرآن وكتابته والعمل به، وقد كان الكتاب يوثقون الآيات عند نزولها ويحفظونها، وكان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يراجع معهم الآيات، حتى اكتمل القرآن الكريم. وفي الوقت ذاته كان الرسول يأمر بتعلم القراءة والكتابة، ويحثهم على حفظ القرآن، حتى إنه كان يطلب من الأسرى تعليم المسلمين الكتابة والقراءة مقابل الإفراج عنهم. وبهذه الطريقة انتشر تعليم اللغة العربية ولا سيما في مجالات القراءة والكتابة، وفي حفظ وتلاوة القرآن الكريم، والذي أدى إلى كثرة الحفاظ للقرآن في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وكانوا يسألونه عن بعض معانيه، فيوصيهم بالبحث عن معاني تلك الكلمات عند بعض القبائل العربية المجاورة لمكة ليدلوهم عليها.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(44) اللغة العربية في عهد الخلفاء الراشدين الأربعة (632م – 661م)

في خطبة الوداع خاطب الرسول المسلمين وحثهم على اللحمة والوحدة والتمسك بما جاء به الله ورسوله، واتباع الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، ولا سيما بعد اكتمال نزول القرآن، وقيام دولة الإسلام وتوسعها. وبعد وفاة الرسول توقف الوحي والتشريع، وأصبح كل شيء عبارة عن مسؤولية عامة من المسؤوليات السياسية والإدارية والتنظيمية والعسكرية للدولة، وقد ترك الرسول أمر السياسة وإدارة الدولة من بعده للمسلمين يتشاورون فيه بينهم بما يخدم مصلحة الإسلام ودولته، لا سيما وأن التشاور من شيم وقيم وعادات أهل مكة، كما كان مألوفًا لديهم في "دار الندوة". لقد اهتم الخلفاء الراشدون باللغة العربية وشجعوا على تعلمها، ونشرها بين المسلمين في الثغور والبلدان والأقاليم التي كانوا يفتحونها، وجرى بناء الكتاتيب وحلقات الدراسة في المساجد لتعليم الناس القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم. وعُرِّبت الدواوين، وبدأ الاهتمام بعلوم اللغة وتدوين الأحاديث والسير والتاريخ والشعر وفتحت الكتاتيب لتعليم اللغة العربية وحفظ القرآن. وقد بدأ يظهر اللحن في اللغة نتيجة توسع الدولة الإسلامية؛ لهذا روي أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كان يزجر من يلحن، كما روي عن علي -رضي الله عنه- أنه كلف بعض الصحابة بوضع نظام للغة العربية، بعد انتشار اللحن في اللغة العربية وبعد دخول غير العرب في الإسلام.

الرسول والخلفاء	مدة الخلافة	الحياة
الرسول محمد	1 هـ - 11 هـ	53 ق هـ - 11 هـ
أبو بكر الصديق	11 هـ - 13 هـ	50 ق هـ - 13 هـ
عمر بن الخطاب	13 هـ - 23 هـ	40 ق هـ - 23 هـ
عثمان بن عفان	23 هـ - 35 هـ	47 ق هـ - 35 هـ
علي بن أبي طالب	35 هـ - 40 هـ	23 ق هـ - 40 هـ

(45) الهوية واللغة العربية لليهود والنصارى العرب

لقد كان اليهود والنصارى العرب قبل الإسلام وبعده، (والنصرانية تنسب إلى مدينة الناصرة

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

وإلى أنصار المسيح التي ولد فيها عيسى ابن مريم في فلسطين، ولم تستخدم كلمة مسيحيين أو مسيحية في القرآن نسبة إلى المسيح كما هو مذكور اليوم في المجتمعات الغربية التي جاء منها مصطلح المسيحيين)، لقد تمتع اليهود والنصارى بالهوية اللغوية العربية التي كانت لغة الدين ولغة الحياة ضمن المجتمعات العربية ما قبل الإسلام، وما بعده،

وقد شارك العرب اليهود والنصارى في كثير من شؤون الحياة في الحضارة الإسلامية، وهم يحملون الهوية العربية التي يعتزون بها حتى يومنا هذا. وقد اشتهر فيهم كثير من العلماء والشخصيات المؤثرة، وعاشوا متعايشين مع المسلمين في سلام ووئام، (وفق التشريع الإسلامي الذي يضمن لهم حقوقهم)، ويمارسون شعائرهم الدينية بيسر وسهولة، ويحتكمون في شؤونهم الخاصة إلى أديانهم ومعتقداتهم وفق كتابيهما المقدّسين التوراة والإنجيل. ولهم إسهامات لغوية كثيرة كشعراء وأدباء وعلماء وتجار وشركاء في الأوطان والأقاليم الإسلامية التي يعيشون فيها في مختلف الأقاليم الجغرافية.

وقد خص الإسلام النصارى وأبرزهم، وذلك نتيجة العلاقات المميزة بينهم وبين الإسلام في كثير من المحطات الإسلامية؛ ولأن كثيرًا من الرموز الدينية النصرانية جزء من القرآن والدين الإسلامي مثل سورة مريم، كما أن عيسى يرد في القرآن الكريم كثيرًا. إضافة إلى موسى وهارون وغيرهم من الأنبياء والكتب السماوية بصفتها كتبًا سماوية مثل القرآن الكريم. وقد حظي النصارى بالذكر في كثير من الآيات الكريمة ومنها قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83)﴾ سورة المائدة. وقد جمع القرآن الكريم بين عداوة المشركين واليهود العرب وغير العرب، للمسلمين والإسلام، وأثنى على النصارى، ونذكر بأن الإسلام يركز على محبة المسلمين لمريم وعيسى عليهما السلام، ولهما مكانة كبيرة في القرآن الكريم، ومن لا يؤمن بهما فلا إسلام له.

والقرآن الكريم يتحدث عن أهل الكتاب في مواقع كثيرة، ويصفهم بأوصاف كريمة، كما أن القرآن يصحح بعض ما ورد في كتبهم، بعد أن تعرضت للتحريف نتيجة التدخل البشري فيها، وابتعادها عن الأصل الذي كانت عليه عندما بعث عيسى وموسى وهارون عليهم السلام.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(46) انتشار اللغة العربية وتنوع العلوم في الأقطار الإسلامية

لقد ضعفت الأسواق الثقافية، وتوقف رفع المعلقات على الكعبة، وتراجع الشعر عن الذي كان عليه قبل ظهور الإسلام، والتحق كثير من العرب وشعرائهم بالإسلام، وفي المقابل انتشرت اللغة العربية في عهد النبوة وعهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والأندلسيين؛ لأنها لغة الدين الإسلامي التي أمر الله بتعلمها، ولغة الحكم والدولة الإسلامية، وقد جعلها الله واجبة شرعًا على كل مسلم ومسلمة؛ لأنها أساس لمعرفة الدين وفهمه والعمل به. وبهذا تحول اللسان العربي من لسان إقليمي مرتبط بمكة وما ارتبط بها من أقاليم نتيجة الحج والتجارة، إلى لسان كوني عالمي مرتبط بكلام الله القرآن الكريم وبدين الله الإسلام.

ومع دخول الناس في الإسلام والعمل به، انطلق التغيير العالمي فكان التحول الهائل في العالم في بضع سنين، حتى تفوق الإسلام على الفرس وغلبت الروم، وكانت حضارة الإسلام حضارة عالمية وكونية مبنية على أسس دينية وأخلاقية ودنيوية وأخروية، وتراعي الحقوق الخاصة والعامة، وتحترم الإنسان بصرف النظر عن دينه وعرقه وجنسه، وتهتم بمكونات الطبيعة النباتية والحيوانية والمائية وغيرها، وفق ما ورد في كتاب الله تعالى من توجيهات وتنبيهات وممنوعات ومحرمات ومحذورات. ومنها عدم العبث بالكون،

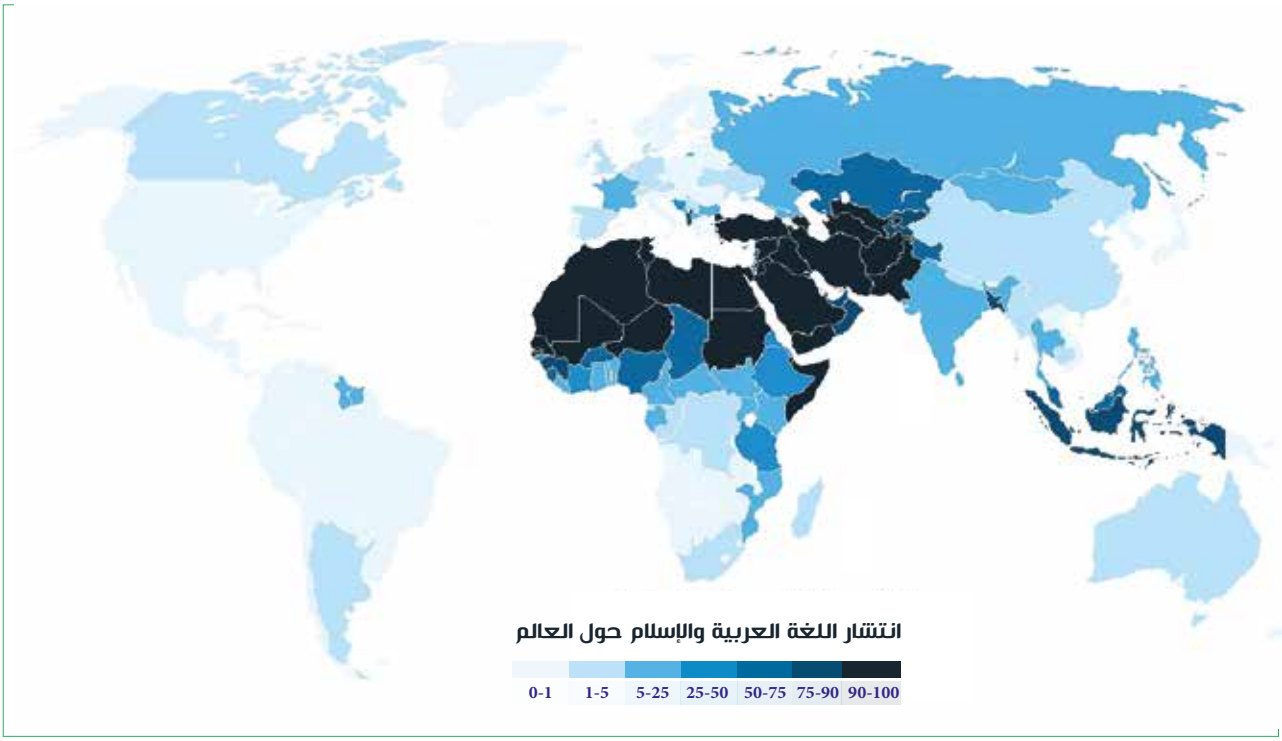

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

قال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (11) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (12) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (13) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ (15) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (16) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (18)﴾ سورة الرحمن. لقد بادرت الكثير من الشعوب الإسلامية إلى تبني الحرف العربي، واعتماده للغاتها تيمنًا بلغة القرآن الكريم، وقد سهل ذلك على تلك الشعوب قراءة القرآن بيسر وسهولة، ولكن بقي جانب التحدث بالعربية، وهو أمر سهل للغاية. فالقراءة والكتابة بالحرف العربي تعد 70% من معرفة اللغة العربية، ويعد هذا إنجازًا كبيرًا للمسلمين في الدول التي تكتب لغاتها بالحرف العربي، ويبقى 30% من العربية يتعلق بالتحدث بالعربية، ويسهل على من يقرأ ويكتب بالحروف العربية أن يتحدث بالعربية في أسرع وقت، بيسر وسهولة، مقارنة بمن لغاتهم مكتوبة بالحرف اللاتيني أو بحروف أخرى. وهذا ما جعل الكثير من المسلمين يجيدون قراءة القرآن وحفظه، وتبقى مسألة الفهم للمعاني والتحدث بالعربية مسألة بسيطة جدًا. لقد كان لتعلم لغة الإسلام والتمكن منها وإجادتها، أثر كبير على معرفة المسلمين للإسلام وفهمه والعمل به، مما أدى إلى انبعاث الحضارة العربية والإسلامية وتوسعها وانتشارها في الكون، ونتج عن ذلك تأسيس كثير من العلوم والمعارف باللغة العربية، مثل الحساب والجبر والهندسة والطب والفلك والتاريخ والجغرافيا والعمارة والصناعات وغيرها من المجالات مثل التجارة وصناعة الأسلحة الحربية التي أسست للعلوم الحديثة في الغرب؛ لهذا كتب الكثيرون من علماء الغرب عن تاريخ الحضارة العربية الإسلامية وعلاقتها بالحضارة الغربية الحديثة. تلك الحضارة الإسلامية لم تنتج من الفراغ ولكن القرآن بصفته المرجع الأول للإسلام يحث المسلمين على التدبر والتفكر والتأمل والإبداع والصناعة والاختراع والبحث والتقصي والمقارنة والاستنتاج والتجريب والتطبيق وغيرها من الأسس العلمية والبحثية، بل إنه أمر الناس بالنظر في أنفسهم، وفي كيفية خلقهم وكيف تعمل أجسادهم وما فيها من مكونات تجعلهم يتمتعون بالحياة، فقال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)﴾ سورة الذاريات. كما أن الله أمر عباده

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

بالتدبر والتفكر في الكون وناداهم إلى القيام بالاكتشافات داخل الأرض وخارجها، قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (23)﴾ سورة الرحمن. لهذا ازدهرت العلوم والمعارف والابتكارات التي لم يسبق لها مثيل في تلك العصور، وشكلت قوة عظيمة نتيجة فهم المسلمين للقرآن بلغته العربية، وتفسير آياته ومعرفة معانيها وتحويلها إلى مشاريع ومخترعات وابتكارات وممارسات ومؤسسات؛ لهذا أسسوا الكتاتيب والمدارس والجامعات والمستشفيات، واشتهروا بصناعة الكتب وفتح المكتبات والاشتغال بالترجمات حتى أُسِّس بيت الحكمة أول مركز للعلم والمعرفة في تاريخ الحضارة الإسلامية. وقد أمر الله المسلمين بالأخذ بأسباب القوة والمنعة كلها التي تحميهم وتمكنهم وتعينهم على حماية الأوطان والإنسان وإعمار الأرض ورعاية الحقوق والممتلكات العامة والخاصة، وعبادة الله. وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (58) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (59) وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60) وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (61)﴾ سورة الأنفال. والإرهاب الوارد في الآية الكريمة، ليس الاعتداء كما يحصل من قوى الجور والظلم والاستعمار والقهر وسرقة الأراضي والآثار، واغتصاب حقوق الناس، ونهب الثروات وتدمير الحضارات، والاعتداء على المقدسات والمجتمعات والثقافات، واستغلال النفوذ، والتآمر وإسقاط الدول، ولكن الإرهاب هنا بمعنى الحذر والحيطة والردع والحماية، ومنع الاعتداء، ومواجهة الخونة، والعملاء والأعداء المتربصين بالإسلام والمسلمين، والإسلام يحرم الاعتداء، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190)﴾ سورة البقرة. ومن أسباب القوة التي طالب بها الإسلام الاهتمام بالعلم والمعرفة، فقد كان من أول مراكز العلم والمعرفة التي عرفت في العصور الإسلامية دار الحكمة متعددة التخصصات التي كانت تهتم بالترجمة في بغداد، وتأسيس جامعة القرويين بصفتها أول مؤسسة جامعية في التاريخ أسستها فاطمة الفاسي الفهرية العربية المكية في فاس في المغرب قبل مئات السنين، وقد تعددت وكثرت مؤسسات التعليم في مختلف الحواضر والمدن والأقاليم الإسلامية.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

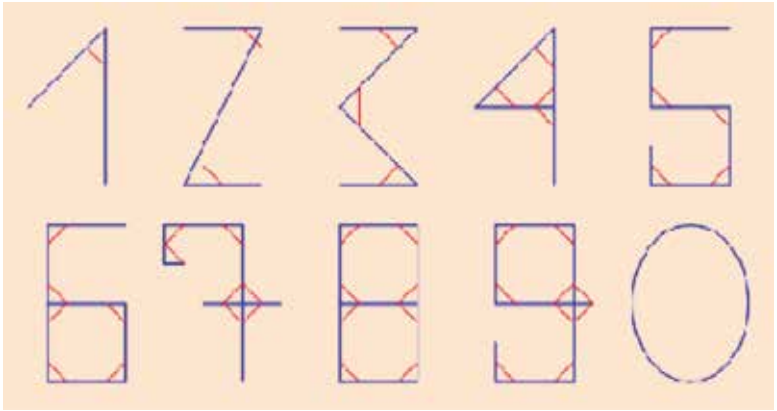

لهذا ازدهرت العلوم والمعارف والابتكارات التي لم يسبق لها مثيل في تلك العصور، وشكلت قوة عظيمة نتيجة فهم المسلمين للقرآن بلغته العربية، وتفسير آياته ومعرفة معانيها وتحويلها إلى مشاريع ومخترعات وابتكارات وممارسات ومؤسسات؛ لهذا أسسوا الكتاتيب والمدارس والجامعات والمستشفيات، واشتهروا بصناعة الكتب وفتح المكتبات والاشتغال بالترجمات حتى أُسِّس بيت الحكمة أول مركز للعلم والمعرفة في تاريخ الحضارة الإسلامية.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(47) انتشار اللغة العربية في العصرين الأموي والعباسي

يعد العصر الأموي الذي استمر من عام(661م حتى 750م)، أهم عصر حدثت فيه الفتوحات الإسلامية حتى وصلت الصين شرقًا والأندلس وجنوب فرنسا غربًا. وشهدت اللغة العربية في ذلك العهد تطورًا كبيرًا، وأخذت المجتمعات المسلمة تتعلم اللغة العربية، وتكتب حروف لغاتها بالحرف العربي، وأقبل الناس على تعلم اللغة العربية، وأسست المدن الجديدة، ودخلت اللغة العربية في مؤسسات الدولة ودواوينها جميعها، وصارت المساجد والكتاتيب تنتشر في كل مكان في دولة الخلافة الأموية. وتُرجِمت العلوم والمعارف من ثقافات مختلفة، وتأسست علوم كثيرة، وتطورت معارف مختلفة في التخصصات والمهن جميعها، بدعم كبير من الحكام والمسؤولين في الدولة الأموية التي مكنت الحكم الإسلامي العربي في مختلف دول العالم التي دخلها الإسلام. وفتحت المؤسسات التعليمية المختلفة فكثرت المؤلفات والابتكارات وأسست مراكز للعلوم المتخصصة في الدين واللغة العربية بصفتهما أهم مقومات الهوية الإسلامية للمسلمين. وفي العصر العباسي الذي استمر خلال الفترة (750م – 1258م)، تطورت العلوم والمعارف وانتشرت المدارس والمؤسسات التعليمية، وجرى الاهتمام بالترجمة والاختراعات والاكتشافات، وبرع المسلمون في علم الفلك والبحار وفي الطب والهندسة والرياضيات والجبر، وصار للترجمة مكانة عظيمة، فكان الخليفة يعطي من يترجم كتابًا وزنه ذهبًا. هذا التحول العلمي المعرفي الحضاري كان له أكبر الأثر في نهضة العالم وتطوره.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(48) اللغة العربية في الأندلس وانتقال العلوم للأوروبيين (756م – 1492م)

لقد سقطت الخلافة الأموية على أيدي العباسيين، وتكونت دولة أموية في الأندلس في الوقت نفسه، وعملت على نشر الإسلام واللغة العربيّة في جنوب أوروبا. وقد شكلت الدولة والممالك الإسلامية في الأندلس مركزًا حضاريًّا، ربط الحضارات، وأنتج العلوم والمعارف المختلفة، وكانت اللغة العربية حاضرة بقوة في المجالات جميعها. وبينما كانت أوروبا تعيش في عصور الظّلمات، كان العرب والمسلمون في أوج تقدمهم وحضارتهم، وقد أدى ذلك إلى تأثيرهم على الغرب، ما دفع بالغربيين إلى نقل علوم العرب وترجمتها والتعلم في مؤسساتهم؛ ونتيجة لذلك التطور والتأثير العربي على الغرب، نهض الغرب، وحدثت فيه تحولات كبرى، ولولا ذلك التواصل العربي الإسلامي مع الغرب، لبقي الغرب في ظلماتهم حتّى يومنا هذا. فالعرب والمسلمون حققوا للغرب أهم التحولات التاريخية: الأولى، نقل العلوم والمعارف من الحضارات القديمة والعربية والإسلامية إليهم، والثانية، إخراجهم من أوروبا في أثناء ملاحقتهم للمسلمين الهاربين من الأندلس ليكتشفوا العالم، وعندما خرجوا من أوروبا وعرفوا العالم كثفوا غزواتهم واحتلّوه واستعمروه، ونشروا النصرانية (المسيحية الغربية) الأوروبية، فكانت أمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا ونيوزيلندا وغيرها من نتائج ذلك الخروج الذي تسبب فيه العرب والمسلمون بعد سقوط الأندلس، ثم بعد ذلك وصول الاستعمار إلى شرق

99

فالعرب والمسلمون حققوا للغرب أهم التحولات التاريخية: الأولى، نقل العلوم والمعارف من الحضارات القديمة والعربية والإسلامية إليهم، والثانية، إخراجهم من أوروبا في أثناء ملاحقتهم للمسلمين الهاربين من الأندلس ليكتشفوا العالم، وعندما خرجوا من أوروبا وعرفوا العالم كثفوا غزواتهم واحتلّوه واستعمروه، ونشروا النصرانية (المسيحية الغربية) الأوروبية، فكانت أمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا ونيوزيلندا وغيرها من نتائج ذلك الخروج الذي تسبب فيه العرب والمسلمون بعد سقوط الأندلس، ثم بعد ذلك وصول الاستعمار إلى شرق آسيا وأعماق إفريقيا، حتى احتل معظم العالم الإسلامي، ولم تسلم منه إلا مكة والمدينة وما جاورهما داخل الجزيرة العربية.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

آسيا وأعماق إفريقيا، حتى احتل معظم العالم الإسلامي، ولم تسلم منه إلا مكة والمدينة وما جاورهما داخل الجزيرة العربية.

وتؤكد كثير من الدراسات والشهادات على التأثير العربي الإسلامي على الحضارة الغربية، التي من بينها شهادة الملك تشارلز ملك بريطانيا في محاضراته في جامعة أكسفورد، وشهادة المستشرقة الألمانيّة زيغريد هونكه، صاحبة كتاب "شمس العرب تشرق على الغرب". وهناك أبحاث ودراسات كثيرة من قبل الغربيين أنفسهم تؤكد أن الجامعات الأوروبية كانت تدرس العلوم الدينية المسيحية في القرون الوسطى، وتعلم العلوم والطب والحساب والفلك والهندسة وغيرها من العلوم العربية الإسلامية، في تلك الفترات باللغة العربية، بعد أن أسست أقسامًا لتعليم اللغة العربية، ثم بدأت حملات مناهضة للغة العربية والعلوم العربية والإسلامية في تلك الجامعات، ونتج عن تلك العداوة أن أُلغي تعليم اللغة العربية والعلوم العربية الإسلامية، ورُبِطت العلوم بالإغريق واليونان وعلمائهم الجدد، متجاوزين العصور العربية الإسلامية، كما تؤكده كثير من الدراسات، ومنها:

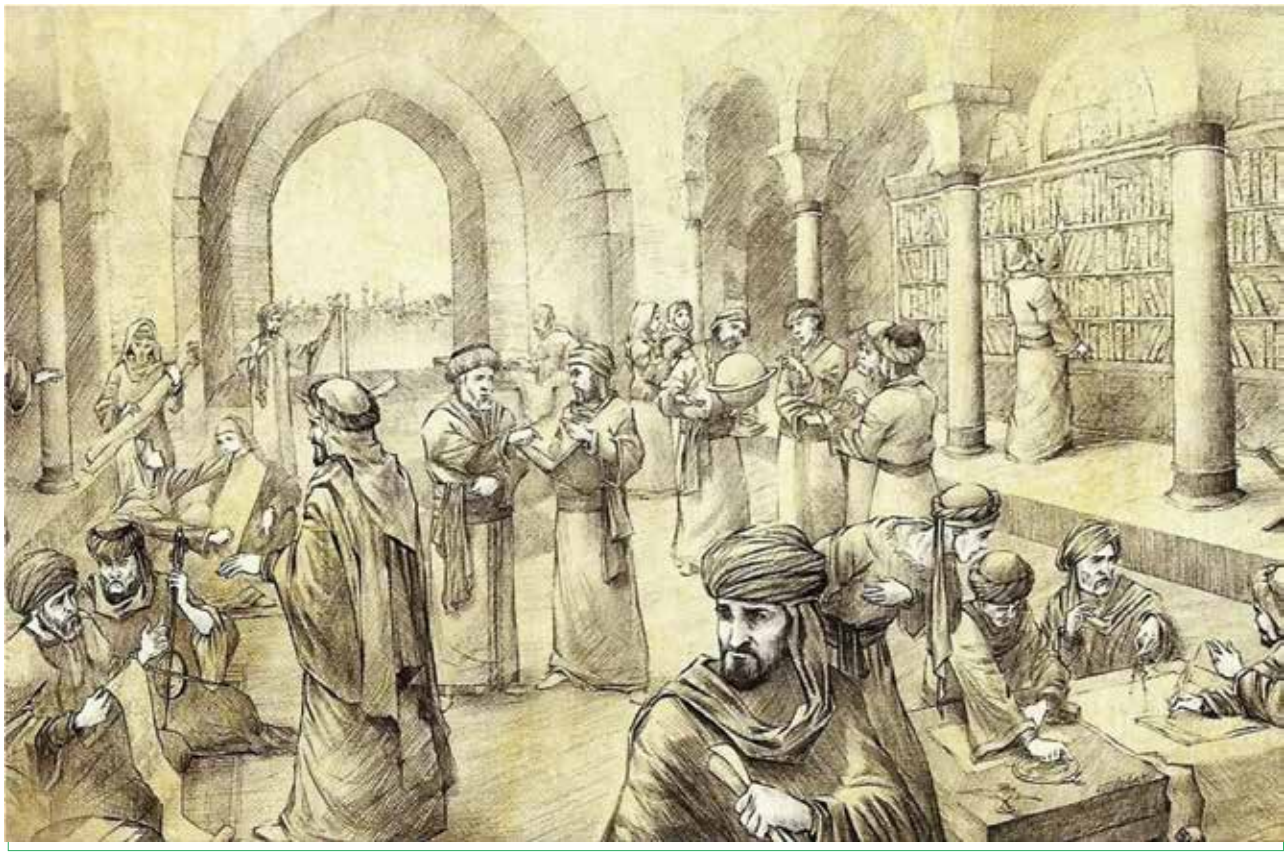

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

How Europe Came to Forget its Arabic Heritage

Encounters with the Orient in Early Modern European Scholarship (EOS)

Early Arabic Studies in Europe and the Middle East

وهنا نورد شهادة أحد قادة الكنيسة في زمن الحكم العربي الإسلامي للأندلس، وهو ينقل واقع اللغة العربية في الأندلس واهتمام المسيحيين بها في ذلك العصر مقارنة بإهتمامهم بلغاتهم، فيقول البارو (Alabaro) القرطبي:

"إن أخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم، ويدرسون مذاهب الفقهاء والفلاسفة المسلمين في عمق، لا ليردوا عليها ولينقضوها، وإنما ليكتسبوا من ذلك أسلوبًا عربيًّا جميلًا صحيحًا، وأين تجد الآن واحدًا، من غير رجال الدين، يقرأ الشروح اللاتينية التي كتبت على الأناجيل المقدسة، ومن سوى رجال الدين يعكف على دراسة كتابات الحواريين وآثار الأنبياء والرسل. يا للحسرة.. إن الموهوبين كلهم من شباب النصارى لا يعرفون اليوم إلا لغة العرب وآدابها، ويؤمنون بها، ويقبلون عليها في نهم، وهم ينفقون أموالًا طائلة في جمع كتبها، ويصرحون في كل مكان أن هذه الآداب حقيقة بالإعجاب، فإذا حدثتهم عن كتب النصرانية أجابوك في ازدراء أنها غير جديرة أن يصرفوا إليها انتباههم، يا للألم.. لقد نسي النصارى حتى لغتهم، فلا تكاد تجد واحدًا منهم بين الألف يستطيع أن يكتب إلى صاحب له كتابًا سليمًا من الخطأ. فأما عن الكتابة في اللغة العربية فإنك تجد فيهم عددًا عظيمًا يجيدونها في أسلوب منمق، بل هم ينظمون الشعر ما يفوق شعر بعض العرب أنفسهم فنًّا وجمالًا.". (كتاب الحضارة العربية في إسبانيا ص 110)

وهذا هو حال النخب العربية والإسلامية اليوم التي تأثرت باللغة الأجنبية، وآثرتها على اللغة العربية في شؤون الحياة جميعها، ظنًّا منها أنها غير معنية بدينها وبشأن لغة حضارتها التي تتعبد الله بها، علاوة على كونها لغة عالمية لها تاريخها ومجدها وحضارتها ومستقبلها، وهي رمز هويتها وسيادتها واستقلال أوطانها ومواطنيها، وكما قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- : "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغير الإسلام أذلنا الله".

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(49) آراء علماء الغرب في علوم العرب ولغتهم

يجب أن نعترف أن بعض علماء الغرب المستقلين أكثر مصداقية وموضوعية وعلمية من بعض المسؤولين عن الثقافة والتعليم العربي والإسلامي، وغيرهم من صناع القرار والعلماء العرب والمسلمين الذين تعلموا خارج وداخل العالم الإسلامي، ويعملون في المؤسسات التعليمية اليوم، ويحاربون اللغة العربية، ويعملون على إقصائها وتهميشها، وينعتونها بالتخلف وعدم مواكبة العصر، وهم من تخلف عن الركب، فلا هم يجيدون لغتهم العربية، ولا هم يجيدون لغة المستعمر الغربي، سوى قلة نادرة جدًّا مقارنة بالكم الهائل من ملايين الخريجين؛ لهذا قال علماء الغرب المنصفون كثيرًا من الحق، بل أبدوا اعتزازهم باللغة العربية والحضارة العربية والإسلامية ودورها التاريخي، على الرغم من الاتهامات التي وجهت إليهم من قبل أعداء

العرب والإسلام، الذين شوهوا تاريخ العرب والمسلمين ضمن حملة الحروب على العالم الإسلامي، على الرغم من الشواهد والأصول التاريخية للحضارة الإسلامية في الأندلس التي كانت سببًا لنهضتهم وحضارتهم كما يراه بعض علمائهم ونذكر من بين هؤلاء العلماء الغربيين المنصفين الذين درسوا بعناية الوضع العربي الإسلامي، وفق ما ورد في عدد من المواقع الرقمية الرسمية، كل من:

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

إرنست رينان – فرنسا (1823 – 1892)

"من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية، وتصل إلى الكمال وسط الصحارى، عند أمة من الرحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها، ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها، ولم يعرف لها في كل أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة".

بوهان فك – ألمانيا (1894 – 1974)

"لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد، على أنه أقوى من كل محاولة، يقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر، وإذا صدقت البوادر، ولم تخطئ الدلائل، فستحتفظ العربية بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية".

أناتول فرانس – فرنسا (1844- 1924)

"أسوأ يوم في التاريخ هو يوم معركة (بواتييه) عندما تراجع العلم والفن والحضارة العربية أمام بربرية الفرنجة، ألا ليت شارل مارتل قطعت يده ولم ينتصر على القائد الإسلامي عبد الرحمن الغافقي".

جوستاف جرونبوم – النمسا (1909 -1972)

"ما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها، فهي الوسيلة التي اختيرت لتحمل رسالة الله النهائية، وليست منزلتها الروحية هي وحدها من تسمو بها على ما أودع الله في سائر اللغات من قوة وبيان، أما السعة فالأمر فيها واضح، ومن يتبع جميع اللغات لا يجد فيها على ما سمعته لغة تضاهي اللغة العربية، ويضاف جمال الصوت إلى ثروتها المدهشة في المترادفات".

غوستاف لوبون – فرنسا (1841 – 1931)

"إن حضارة العرب المسلمين قد أدخلت الأمم الأوروبية الوحشية في عالم الإنسانية، فلقد كان العرب أساتذتنا.. وجامعات الغرب لم تعرف موردًا علميًّا سوى مؤلفات العرب، فهم الذين مدنوا أوروبا مادةً وعقلًا وأخلاقًا، والتاريخ لا يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه.. إن أوروبا مَدينة للعرب بحضارتها.. وإن العرب هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين.. فهم الذين علموا الشعوب النصرانية، وإن شئت فقل: حاولوا أن يعلموها التسامح الذي هو أثمن صفات الإنسان.. ولقد كانت أخلاق المسلمين في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيرًا من أخلاق أمم الأرض قاطبةً..".

جورج سارتون - بلجيكا (1884- 1956)

لقد سبق للعرب أن قادوا العالم في مرحلتين طويلتين، ظلت الأولى نحو ألفي عام قبل

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

اليونان، وعاشت الثانية طوال أربعة قرون خلال العصور الوسطى، وليس ثمة ما يمنع هذه الشعوب من أن تقود العالم مرة أخرى في المستقبل القريب أو البعيد. لا أقصد من ذلك تباهيًا بالماضي، أو أن أردد أقوال المستشرقين بل القصد من ذلك، لفت أنظار المسلمين والعرب إلى حقيقة حضارتهم التي أذهلت العالم كله، وكان لها فضل على أوروبا وتطورها في شتى مجالات الحياة، وأهمها الجانب الإنساني.

جورج سارتون - بلجيكا (1884- 1956)

"إن اللغة العربية أسهل لغات العالم وأوضحها، فمن العبث إجهاد النفس في ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل وتوضيح الواضح، فإذا فتحت أي خطاب فلن تجد صعوبة في قراءة أردأ خط به، وهذه هي طبيعة الكتابة العربية التي تتسم بالسهولة والوضوح".

زيغريد هونكه – ألمانيا (1913 – 1999)

في كتابها شمس العرب تشرق على الغرب قالت الكثير ومنه:

" إن هذه القفزة السريعة المدهشة في سلم الحضارة التي قفزها أبناء الصحراء، والتي بدأت من اللاشيء لهي جديرة بالاعتبار في تاريخ الفكر الإنساني... وإن انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم سادة للشعوب المتحضرة الفريدة من نوعها، لدرجة تجعلها أعظم من أن تُقارَن بغيرها، وتدعونا أن نقف متأملين: كيف حدث هذا؟ إنه الإسلام الذي جعل من القبائل المتفككة شعبًا عظيمًا، آخت بينه العقيدة، وبهذا الروح القوي الفتي شق العرب طريقهم بعزيمة قوية تحت قيادة حكيمة وضع أساسها الرسول بنفسه ... أو ليس في هذا الإيمان تفسير لذلك البعث الجديد؟

لويس ماسينيون فرنسا :"(1883 – 1962م)

"لقد تذوقت تلك النكهة السامية، في اللغة قبل كل شيء آخر. هذه اللغة العربية الصلدة كالصوان وكالصوان تقدح شرراً، حكمية أكثر منها فلسفية، مكثّفة، بعيدة عن التورية، حيث ثبات جذورها الثلاثية الأصل يسمح باستعمال كلمات نادرة مقتضبة، بينما سيولة الألفاظ الآرية تلزمنا بابتكار تعابير مركبة متراكمة. لقد وجدت أن تلك اللغة السامية الأكثر نقاء، هي الوحيدة التي حافظت على صفاء الرسالة الثقافية السامية" "أمر غريب... إن اللغة العربية آخر اللغات التي انبثقت عن اللهجات السامية المحكية، هي الأكثر

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

نقاءً، والأقل استهلاكاً، فقد احتفظت بديناميتها البنيوية الأكثر سلامةً، وقواعدها الأكثر تشخصناً والأقوى تماسكاً. الجملة العربية تقنع وتؤثر بلاغتها، بانعكاسات بسيطة تصبح الفكرة بديهة. وهذه مميزات سامية على الأخص، ففي الشرق الأدنى، تنحو الفلسفة نحو .... وتدّعي بدئياً الحكمة. إنها لا تحفل بالشرح، بل ... بالكشف عبر إيحاءات سريعة".

(50) تزوير التاريخ وصناعة الكراهية

هناك حاجة إلى أمن فكري ومعرفي وعلمي وبحثي وإعلامي وثقافي، وذلك لوجود سياسات وجهود حثيثة يقوم بها سياسيون وإعلاميون وباحثون ومراكز أبحاث متخصصة في تزوير التاريخ وصناعة الكراهية ضد العرب والإسلام وفلسطين أولاً، ثم في الدول العربية والإسلامية ثانيًا، وفي الدول الغربية وغير الغربية ثالثًا، وذلك بهدف زعزعة الأمن والاستقرار العربي والإسلامي، وتحقيق سياسات غربية استعمارية لإقناع الأجيال القادمة بتاريخ غير تاريخهم، وقيم وأخلاق غير أخلاقهم، وأنظمة غير أنظمتهم، واليوم من يتصفح المواقع الإلكترونية يجدها مليئة بمقالات كتبها بعض الباحثين الغربيين من الكارهين للعرب والمسلمين، ولا يوجد في المقابل كتابات عربية أو إسلامية وحتى غربية كافية من العلماء المنصفين الذين لديهم معرفة كبيرة بتاريخ العرب والمسلمين في الماضي والحاضر، ولهذا ننبه ونحذر من هذه المواقع ومن تلك الكتب والمقالات، التي أصبح عدد من الكتاب العرب والمسلمين يتبنون أفكارها ويعيدون طرحها في المدارس والجامعات والإعلام وفي كتبهم ومقالاتهم، هناك خطر داهم علمي ومعرفي ومعلوماتي وتقني وثقافي لطمس التاريخ الحقيقي للمجتمعات العربية والإسلامية، والعمل على خلق الفتن داخل الدولة الواحدة والمجتمع الواحد. ولعل من بين تلك الكتابات والكتب والمواقف المعادية والمزورة ما يتعلق باللغة العربية ووصفها بأنها لغة استعمارية، ونعتها بالتخلف وعدم مناسبتها للعصر، بهدف تضليل العرب والمسلمين وإبعادهم عن ثوابتهم ومرجعياتهم وأوطانهم وأخلاقهم وقيمهم، وأيضًا التشويه لمفهوم الهويتين العربية والإسلامية، وذلك بهدف زرع الكراهية وإبعاد الناس عن الدين الإسلامي، والظواهر موجودة اليوم في أوساط الجيل الحالي الذين يتابعون مواقع ومنتجات غربية إعلامية وترفيهية وثقافية معادية للعرب وللدين الإسلامي والأخلاق والقيم. ويجب على الحكومات العربية والإسلامية مراجعة المحتوى الذي يتم نشره في دولهم من جهات متنوعة،

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

ومن بعض الدول والمؤسسات والشركات والمجموعات الثقافية والفكرية والسياسات المعادية. ويجب نشر الوعي وسن القوانين ومراجعة كل ما يكتب والرد عليه من قبل متخصصين وطنيين وعرب ومسلمين، وحتى من غير العرب المنصفين والمستقلين عن السياسات الاستعمارية والليبرالية الفكرية والثقافية التوسعية. كما ننصح بتعليم التاريخ الحقيقي للأجيال الحالية والقادمة حتى لا تكون مرجعياتها التاريخية مرجعيات أجنبية، وتنفصل عن الماضي والحاضر وتذوب في مشاريع خارجية في المستقبل.

(51) مراجعات تاريخية في ومضات

اسم العهد	الميلادي
الفرس	614م - 628م
البيزنطيون	628م - 637م
مكة والمدينة العهد النبوي والخلفاء الراشدون	622م - 636م
الكوفة (علي بن أبي طالب)	656م - 661م
دمشق (الخلافة الأموية)	661م - 750م
الأندلس (الأمويون)	711م - 1492م
بغداد (العباسيون)	750م - 1258م
القاهرة (الفاطميون)	909م - 1171م
القاهرة (الأيوبيون)	1174م - 1250م
القاهرة (المماليك)	1250م - 1517م
فارس (الصفويون)	1501م - 1736م
القسطنطينية (العثمانيون)	1299م - 1517م
غرناطة (سقوط الأندلس)	1492م
القاهرة (سقوط المماليك)	1517م
اسلامبول (الخلافة العثمانية)	1517م - 1923م
الاستعمار الغربي	1492م - 1945م
القدس (الاحتلال البريطاني)	1920م - 1948م

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(أ)- القدس الفرس 614م – 628م والبيزنطيين 628م - 637م

كان الساسيون الفرس قد استولوا على القدس خلال الفترة 614م - 628م، ووصل نفوذهم إلى فلسطين ومصر وأواسط الإمبراطورية البيزنطية. وقد واجه هرقل ملك بيزنطة الفرس فتراجعت قوتهم حتى أصبحت عاصمتهم مهددة بالاحتلال، فسارع الفرس إلى التصالح مع هرقل، الذي تمكن بمساعدة الفرس من احتلال القدس خلال الفترة 628م - 637م.

(ب)- مكة والمدينة (العهد النبوي والخلفاء الراشدين الثلاثة) 622م – 656م

في الوقت الذي احتل فيه هرقل القدس، كان الإسلام في مرحلة تكوين في الجزيرة العربية، حيث توفي الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عام 630م بعد احتلال هرقل للقدس بعام. وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أمر الخليفة، أمر أبو بكر الصديق رضي الله عنه الجيوش الإسلامية بمواجهة الفرس والبيزنطيين، ففتحوا العراق ثم بلاد الشام وفلسطين، وبعد وفاة أبو بكر الصديق تولى عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما الخلافة، واستمرت الفتوح الإسلامية، حيث فتحت فارس عام 636م، ثم دخل عمر ابن الخطاب القدس عام 637م، وبعدها قتل عمر الخليفة عمر ابن الخطاب، وتمت مبايعة الخليفة عثمان ابن عفان خلفًا له، وواصل الفتوحات حتى قتل على أيدي بعض المتمردين والخارجين على الخلافة.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(ت)- الكوفة (خلافة علي بن أبي طالب وابنه الحسن) 656م – 661م

بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان، حدث فراغ سياسي، مما أدى إلى مطالبة الصحابة للخليفة علي بن أبي طالب بتولي الخلافة، ونظرًا لفتنة قتل عثمان انقسم المسلمون، بين من يؤيد مبايعة علي بن أبي طالب، وبين من رفض مبايعته حتى يتم الاقتصاص من قتلة عثمان، ونظرًا لهذا الانقسام فقد اضطر الخليفة علي بن أبي طالب بنقل الخلافة إلى الكوفة بدعوة من مؤيديه، ولمواجهة معاوية بن أبي سفيان في دمشق الذي امتنع عن مبايعة علي حتى يتم الاقتصاص من قتلة عثمان، ونتج عن ذلك مواجهة عسكرية بينهما، ونتج عن ذلك الصراع مقتل علي بن أبي طالب، وابنه الحسن الذي تنازل عن الخلافة لمعاوية لحقن دماء المسلمين، ومن هنا بدأت الدولة الأموية وعاصمتها دمشق. ولما توفي معاوية بن أبي سفيان، تولى يزيد بن معاوية للخلافة، خرج الحسين ابن علي بن أبي طالب يطالب بحقه في الخلافة، ولكنه قتل بعد أن خذله أنصاره، وبهذا انقسم المسلمون وأصبح أتباع علي والحسين يطالبون بالقصاص من قتلتهم. ونتج عن هذا صراع مذهبي شكل طابعًا سياسيًا، قسم يؤيد آل هاشم وقسم آخر يناصر بني أمية، وهما أسرتان من أعرق أسر قريش، والصراع بينهما لم يكن على الدين ولكن على السلطة، فالدين والتشريع انتهى بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن تم إدخال الدين في السياسة وصار من يناصر علي بن أبي طالب والحسن والحسين يعتبرون شيعة لأهل البيت، بينما يعتبر من يناصر معاوية ويزيد ضد أهل البيت ولا علاقة للسنة بمن يؤيد يزيد على قتل الحسين، ولعل أهم ما يجب قوله هنا، أن الخلاف خلاف سياسي، وليس له علاقة بالدين. وهو من الماضي الذي لا علاقة للمسلمين في الوقت السابق ولا الحاضر ولا المستقبل به، وكل نفس بما كسبت رهينة، مع شعور المسلمين جميعًا بالغضب وعدم الرضى عن الذين قتلوا عمر وعثمان وعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين.

(ث)- دمشق (الخلافة الأموية) 661م – 750م

بعد الصلح الذي تم بين الحسن ابن علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وتنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لحقن دماء المسلمين، من أهم الأسس التي مكنت معاوية من تثبيت حكمه وتأسيس الحكم الأموي، وقد يكون خالف معاوية الاتفاق،

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

ولكن ليس للمسلمين أي ذنب في ذلك الصراع بين آل هاشم وبني أمية، ويجب على المسلم العاقل عدم إشغال نفسه بهذه القضايا التي هي من الماضي، ولم يكن لأي مسلم الرأي فيها، وبالتالي على المسلم أن يشغل نفسه بمتطلبات دينه التي كانت قبل الصراع السياسي بين الخليفتين، وفق ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمن فيهم علي ومعاوية رضي الله عنهما. ثم إن العاقل يجب أن يعي بأن الصراع السياسي قد انتهى باستلام العباسيين للخلافة، والتي دامت لأكثر من خمسمئة سنة، وبانتهاء الخلافة العباسية التي قضى عليها المغول تكون مسألة الصراع بين أنصار الحسين ويزيد قد انتهت سياسيًا ودينيًا وتاريخيًا، والفتنة نائمة ...

ويعد استهلاك واجترار تلك النزاعات واستحضارها نقصًا في العقل والدين، وتضييع للعمر والعقل والفكر والدين السليم، وإشغالاً للمسلمين، وعبثًا بحياة الناس وحاضرهم ومستقبلهم، وتضييعًا للفرص التي تمكن المسلمين من استئناف حضاراتهم ورسالتهم الكونية بصفتهم يتشرفون بأنهم أتباع آخر رسول وآخر كتاب سماوي وآخر رسالة سماوية، كما يجب التذكير بأهمية ومكانة القدس في العصر الأموي، الذي دام من العام 661م حتى 750م. وقد توسعت الدولة الإسلامية، وكثرت الفتوحات في عهد الأمويين حتى وصلت إلى الصين شرقًا وجنوب فرنسا غربًا. وازدهرت العلوم والمعارف المختلفة وانتشرت اللغة العربية بشكل كبير.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(ج)- الأندلس (الأمويون) 711م – 1492م

لقد وصل الحكم الأموي إلى الأندلس، وبالتحديد من العام 711م حتى سقوط الأندلس عام 1492م. وقد تشكلت حضارة عظيمة في الأندلس كان لها أكبر التأثير على مستقبل أوروبا والعالم. وقد نتج عن الحضارة العربية والإسلامية التي قامت في الأنداس تحولات ضخمة في أوروبا أخرجتها من عصور الظلمات، إلى النور والعلم والمعرفة كما سبق ذكره في بعض الشهادات للكتاب الغربيين. وأيضًا تسبب العرب والمسلمون في خروج الأوروبيين من أوروبا، وملاحقة المسلمين للقضاء عليهم، ونتج عن ذلك احتلالهم للعالم الذي لم يعرفوه من قبل فغزوه واستعمروه وقتل السكان الأصليين في الأرضاي التي احتلوها، وسرقوا ثروات الأمم والشعوب ولا يزالون يقومون بتلك السياسات الاستعمارية حتى يومنا هذا. وبعد سقوط حضارة الأندلس الأموية، تم تجريف وتدمير معظم ما يمثل الحضارة العربية والإسلامية وأولها الإنسان وفرض عليهم التنصر والتهجير وموورست ضدهم أقسى وسائل القمع والتعذيب. وتشهد عليها متاحفهم التي يتفاخرون بها اليوم.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(ح)- بغداد (العباسيون) 750م – 1258م

ارتبطت خلافة علي بن أبي طالب، وابنه الحسن رضي الله عنهما بالعراق، فبعد حكم دام حوالي أربع سنوات للخليفة علي بن أبي طالب واجه فيها الكثير من الصراعات السياسية والعسكرية، والتمرد والخروج عليه من قبل بعض أتباعه، ثم انتهت فترة حكمه بتولي معاوية بن أبي سفيان للخلافة، بعد تنازل الحسن ابن علي، وفق اتفاق بينهما، وقد نتج عن هذا تأسيس الخلافة الأموية التي استمرت في الأسرة الأموية. ولكن الصراع بين أتباع بني هاشم وبني أمية لم يتوقف، وظل الصراع على مدى عقود حتى تمكن العباسيون من بني هاشم من استعادة الحكم الذي اعتبروه استكمالاً لحكم الخليفة الرابع علي بن أبي طالب وابنه الحسن من بعده. وعادت الخلافة لبغداد عام 750م. وقد استمر الحكم العباسي قرابة 500 خمسمئة عام، من العام 750م حتى العام 1258م، وقد تحقق الكثير من الإنجازات الحضارية في العصر العباسي، ولكن كانت هناك الكثير من التحديات الداخلية والخارجية، ضد الحكم العباسي، ولكن أخطرها كان دخول هولاكو المغولي إلى بغداد وقتل الخليفة المستعصم بالله، وتخريب المدينة وسفك الدماء، وكان ذلك بتاريخ 1258م. ولهذا يجب التذكير بأن الصراع السني الشيعي المبني على الجهل والتخلف والتعصب الأعمى، يجب أن ينتهي في رؤوس الكثيرين من الطرفين، لسببين، الأول، أن بني العباس الهاشميين استعادوا الحكم وحكموا 500 عام، وانتهى دور الأمويين بوصول العباسيين إلى الحكم، ولم يعد هناك ما يوجب اجترار واستحضار خلافات الأسرتين الهاشمية والأموية على السلطة، وثانيًا، يتحمل المغول سقوط حكم الأسرة الهاشمية، ولم يعد هناك أي مبرر للصراعات الدينية التي يستحضرها البعض لأسباب سياسية، دون تدبر وتفكر، وقد أتت بعد ذلك صراعات أخرى غيرت التاريخ والوقائع، ومن مصلحة أعداء المسلمين استمرار هذه الخلافات السياسية، التي تم ربطها بالدين لأخذ شرعية لاستمرار النزاع بين أناس ليس لهم علاقة بالماضي ولا بأطراف النزاع من الأسرتين القرشيتين، ولم ينته الأمر عند هذا الحد، فقد تعرضت بغداد العباسية لطوائف من طيفها السياسي، حيث ظهر الفاطميون نسبة إلى فاطمة بنت رسول الله عليهما السلام. وهذا يؤكد أن الصراع على السلطة وليس صراعًا دينيًا كما يصوره الكثير من أتباع المذاهب الإسلامية الغارقين في مسرحيات سياسية مهلكة للجميع.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

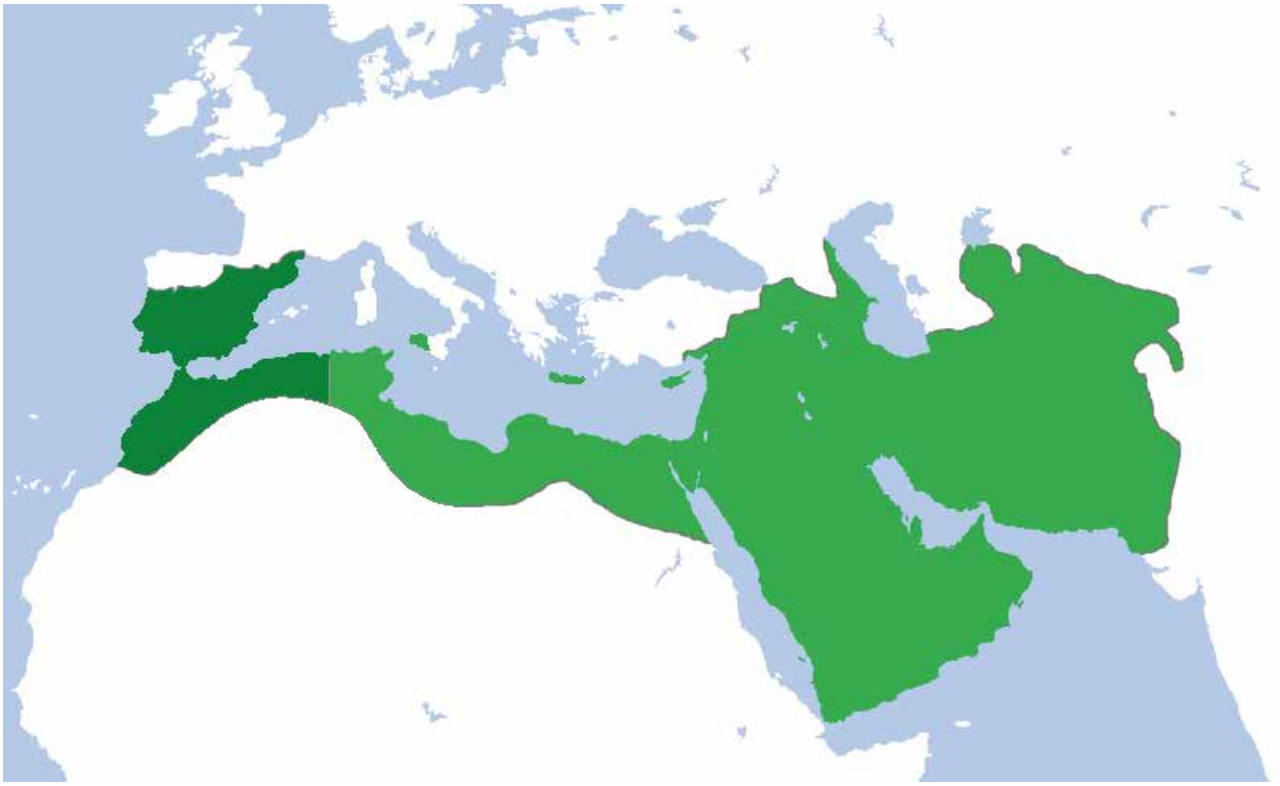

(ح)- القاهرة (الفاطميون) 909م – 1171م

من أهم المشكلات التي واجهتها الدولة العباسية هو ظهور حكم الفاطميين الشيعة الذين أتوا من المغرب ثم استقروا في مصر وحكموا بلاد الشام والحجاز وقاموا باستفزازات وأعتداءات على الكنائس في فلسطين، وخاصة كنيسة القيامة، أدت إلى بداية الحروب الصليبية، فكانت الحملة الأولى التي أدت إلى احتلال الجيوش الغربية لبلاد الشام وإقامة إمارات صليبية فيها، مما أدى إلى احتلال القدس عام 1099م. وعلى الرغم من الصراعات والتحديات الداخلية بين الحكام والقادة العسكريين والمتنفذين، في الدولة الفاطمية، فإنها استمرت لمدة طويلة وقدمت إنجازات حضارية متنوعة في مصر بالذات لا تزال آثارها حتى يومنا هذا. وقد كانت نهاية الحكم الفاطمي بعد صراعات مع الصليبيين الذين كثفوا الحملات على مصر والدولة الفاطمية وكادوا أن يدخلوا القاهرة. عندها توفي آخر حاكم فاطمي مما سهل للقائد صلاح الدين الأيوبي الوصول إلى السلطة وتغيير الدولة وذلك في العام 1171م. وكان هذا بداية حقبة تاريخية جديدة.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

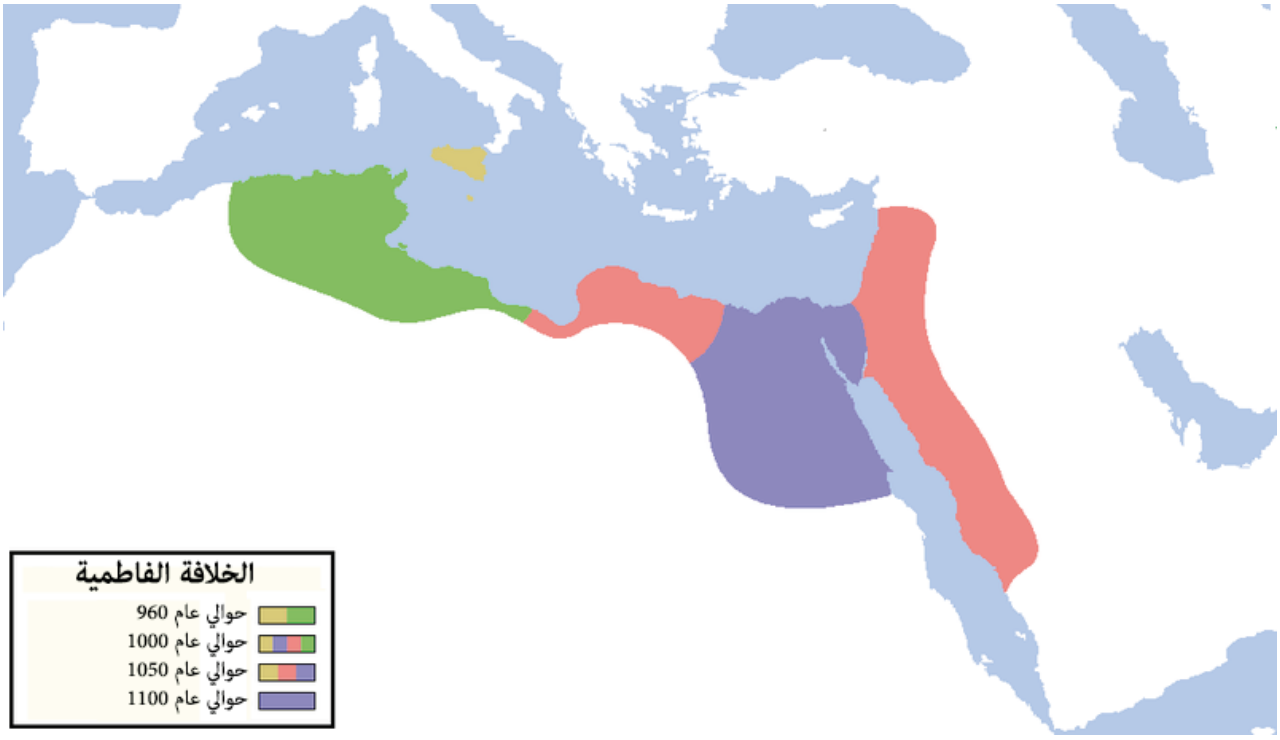

(خ)- القاهرة (الأيوبيون) 1174م – 1250م

نتيجة الاضطرابات في آخر فترة حكم الدولة الفاطمية تمكن القائد صلاح الدين الأيوبي من استلام الحكم من الفاطميين وإقامة الدولة الأيوبية التي حكمت خلال الفترة 1174م – 1250 م. لقد سجل القائد صلاح الدين تاريخًا ناصعًا، ففي الوقت الذي كانت الإمارات الصليبية التي أرهقت الفاطميين تستعد لمهاجمة مكة والمدينة، كان صلاح الدين الأيوبي يعد العدة لمواجهة الصليبيين، وتوجه إلى فلسطين، وكانت معركة حطين التي هزمت فيها الجيوش الصليبية وتمت استعادة القدس في 2 أكتوبر 1187م. واستمرت الحملات الصليبية على البلاد الإسلامية حيث استولى الصليبيين على عكا وحيفا بعد الصلح مع صلاح الدين وذلك في عام 1192م. واستمرت الدعوات الصليبية لغزو مصر التي كانت مقرًا للحكم الأيوبي.

وفي عام 1215 انعقد التجمع اللاتيني والذي أيد تحرك الجيوش الغربية إلى مصر وبعد الوصول إلى عكا واصلت المسير إلى دمياط في مصر واستولوا عليها عام 1219م ثم واصلوا المسير إلى المنصورة، وقد بدأت فيضانات النيل، فقام المصريون بفتح السد على النهر وقطعوا

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

الطريق على الصليبيين وحاصروهم فغرق الصليبيون وتم الصلح في 30 أغسطس 1221م. وبعدها غادروا دمياط إلى أوروبا. ثم استمرت الحملات الصليبية واحدة تلو الأخرى، حيث تمكن الإمبراطور فردرك الثاني الألماني من غزو القدس في عام 1229م والصلح مع السلطان الكامل الأيوبي على أن يتنازل السلطان عن القدس لمدة عشر سنوات.

ثم كانت الحملة الصليبية التي قادها لويس التاسع ملك فرنسا على مصر عام 1249م في عهد السلطان الصالح نجم أيوب الذي توفي في أثناء احتلال الصليبيين لدمياط شمال مصر، وقد انتهى حكم الدولة الأيوبية بعد وفاة السلطان الصالح نجم الدين أيوب.

(د)- القاهرة (المماليك) 1250م -1517م

قامت زوجة السلطان الصالح نجم الدين أيوب المسماة شجرة الدر، وكانت جارية اشتراها ثم أعتقها وتزوجها، وخلفت له ابنه خليل، وهي من أصول أرمنية أو تركية. وقد أخفت زوجته خبر وفاته واستمرت في قيادة الحرب ضد الصليبيين بالتعاون مع قادة الجيش، وعندما عرف الصليبيون بوفاة السلطان، توجهوا إلى المنصورة وكانت تسمى بجزيرة الورد، فثار الناس ثورة

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

واحدة وواجهوا الصليبيين وقتلوهم شر قتلة، ثم أسروا الملك الفرنسي لويس التاسع، وبقي في الأسر حتى تمت فديته من قبل زوجته، وأطلق سراحه. وبهذا بدأ حكم المماليك، وقد سماهم المؤرخون بهذا الاسم، وهم يعتبرون أنفسهم منقذين للخلافة العربية الإسلامية. وتعد هذه المرحلة التاريخية من أشد المراحل صعوبة في التاريخ الإسلامي، فقد كان المغول يتقدمون في أماكن مختلفة في الأراضي الإسلامية، حتى احتلوا بغداد في يناير عام 1258م، بقيادة هولاكو. وقد نهبوا وأحرقوا المدينة ورموا بالكتب في نهر دجلة، وقتلوا الخليفة المستعصم بالله وصلبوه، وأخذ المغول يتقدمون للاستيلاء على الشام والقدس، فأرسل السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس، القائد سيف الدين قطز على رأس جيش كبير والتقى بجيش المغول في غزة، في معركة عين جالوت، في 3 سبتمبر 1260م، وتم القضاء على جميع جيش المغول، ولما عاد سيف الدين قطز تم قتله خشية أن يكون له تأثير على الحكم، واستمر المماليك يمارسون دور الحماية عن البلاد الإسلامية حتى قضوا على جميع الممالك والإمارات الصليبية في بلاد المسلمين

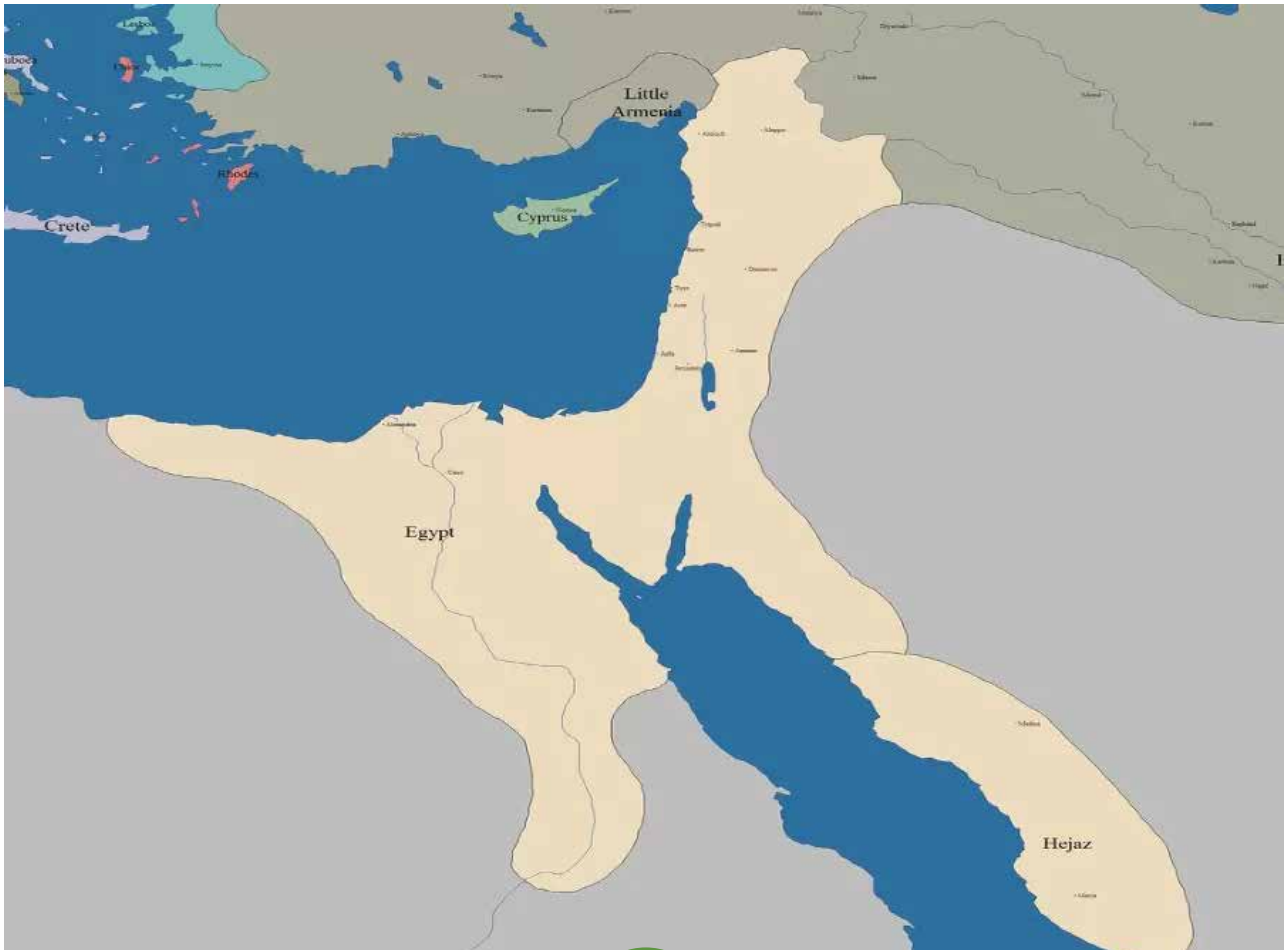

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

وخاصة في بلاد الشام. وقد حاول المماليك التزام الحياد في الصراع القائم بين الفرس والعثمانيين، بهدف الحفاظ على وضعهم السياسي، وعدم الدخول في أي صراع مع أي طرف منهم. وقد نشب صراع كبير بين الفرس والعثمانيين دفع ضريبته المماليك نتيجة حيادهم.

(ذ)- فارس (الصفويون) 1501 – 1736م.

لم تعرف فارس وما جاورها التشيع إلا بعد أن ظهرت القوة الصفوية في بلاد فارس، والتي أسسها صفي الدين الأردبيلي من أسرة تعود جذورها إلى أذربيجان، وتبنت المذهب الشيعي، وأقامت علاقات مع التركمان والجورجيين والشركس واليونان وغيرهم، وتمت سيطرتهم على مناطق مختلفة، وعملوا على نشر المذهب الشيعي بالقوة في إيران وما جاورها، وذلك للتصدي للعثمانيين السنة، وقد دام حكم الصفويين الشيعة في إيران خلال الفترة 1501 – 1736م. لقد استمرت الدولة الصفوية في التوسع، حتى وسلت أعماق الأناضول، وأصبحت في مواجهة عنيفة مع العثمانيين الذين بدأت قوتهم في الصعود والتوسع.

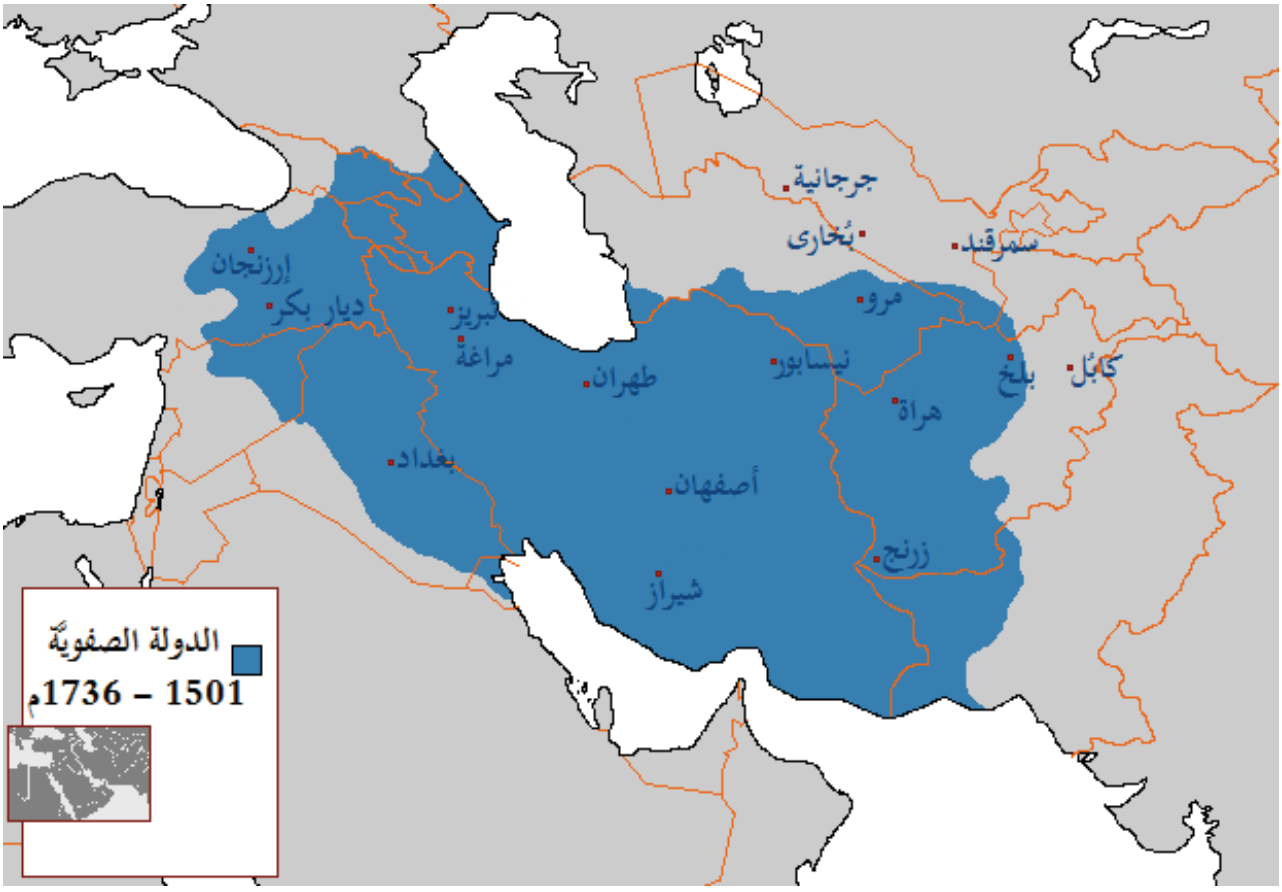

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(ر)- القسطنطينية (العثمانيون) 1299م – 1517م

تأسست الدولة العثمانية على يد عثمان الأول عام 1299م على شكل إمارة على الحدود التركمانية، وقد كتب لها أن تظهر وتتوسع في شرق أوروبا، ودخلوا معظم بلاد البلقان، وأستمر حكمهم في التنامي والقوة حتى احتلو أماكن شاسعة، وخاصة في البلقان وما جاورها. وفي الوقت الذي قويت فيه القوة الصفوية في إيران كانت قوة العثمانيين تقوى في الأناضول وما جاورها، وقد اعتبر المماليك الدولة العثمانية جزءًا من الحكم الإسلامي في البداية، فلم يعارضوها أو يناصبوها العداء، واستمر العثمانيون في التوسع حتى أحاطوا بالقسطنطينية من كل جانب، ووصلت دولتهم إلى عمق أوروبا، وفي عهد محمد الفاتح، تم فتح القسطنطينية وتسميتها إسلامبول، وكان ذلك بتاريخ 29 مايو 1453م. وبهذا أصبح العثمانيون أقوى قوة إسلامية، امتد حكمها إلى أراض واسعة، واستمر الصراع بين الصفويين والعثمانيين، ونتيجة للمعارك الضارية التي نشبت بين الطرفين في معركة جالديران في أغسطس 1514م، هُزم الصفويون وتراجعوا إلى فارس الطبيعية وتمدد الحكم العثماني في الأراضي التي كانت تخضع للفرس وأحكم قبضته عليها، ليتجه بعد ذلك إلى مواجهة المماليك وملاحقتهم والقضاء على حكمهم في مصر والحجاز.

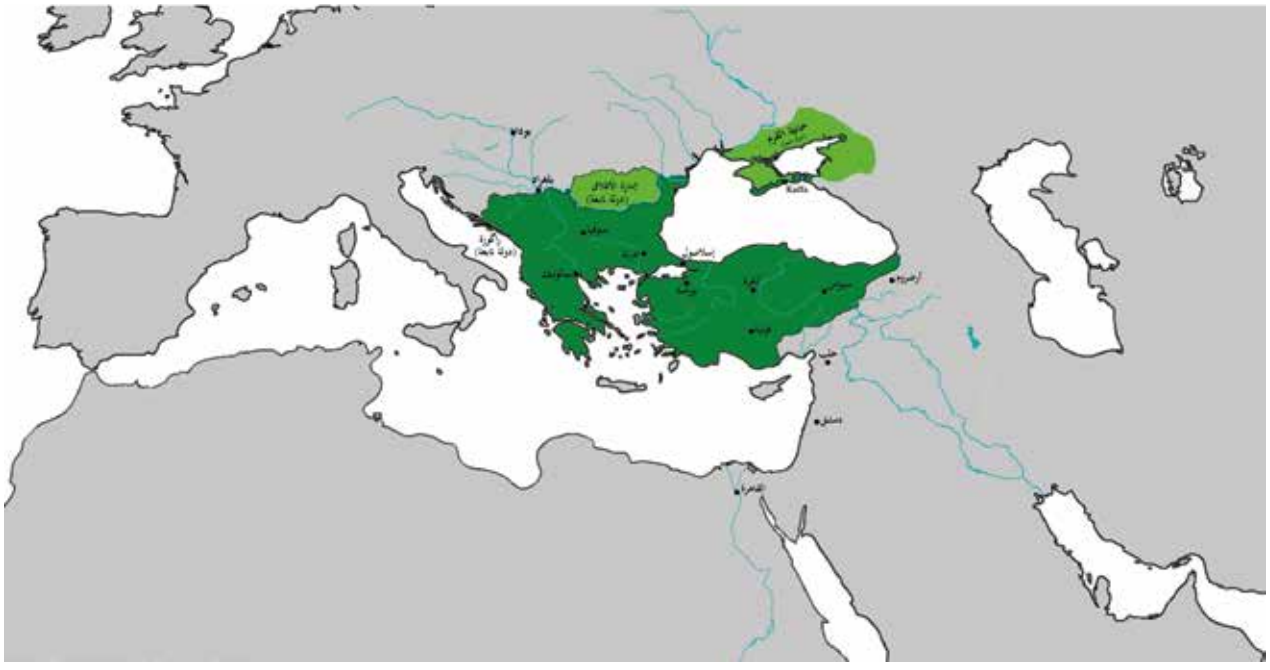

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(ر)- غرناطة (سقوط الأندلس) 1492م

لقد سقطت بلاد الأندلس نتيجة الصراعات بين الممالك العربية الإسلامية، والتي أسست حضارة مهمة في بلاد الأندلس، غير أنها انهارت نتيجة صعود القوة النصرانية بقيادة الملك فلب والملكة إلزابث، وبدأ الاستعمار الغربي بعد ذلك. وخرج العرب المسلمون من الأندلس عام 1492م. وبعضهم تنصر لحماية نفسه من الإعدام. وخرجت اللغة العربية بخروج العرب والمسلمين منها بعد أن كانت لغة الدولة في الأندلس، ولغة العلم والحضارة في بعض الجامعات الغربية. وقد تم القضاء على المسلمين وطردهم وملاحقتهم، وطمس كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين، وحرقت مكتباتهم، ودمرت مدارسهم ومؤسساتهم، وجرى تجريف كل ما يتعلق بحضارتهم، ولا سيما المجال الثقافي والديني، ولكن بقيت أصول ثقافية ومعمارية شاهدة على عصور من الازدهار والنهضة مثل الحمراء وغرناطة وإشبيلية وغيرها من ممالك الأندلس ومدنها، التي كانت سببًا في نهضة أوروبا وإيقاظها من سباتها، و إخراجها من ظلامها، وفتح أنظارهم وأطماعهم على العالم، فاستعمروه ونشروا المسيحية الغربية فيه، بهدف تعميق التبعية لهم حتى في الجوانب الدينية، إضافة إلى الجوانب السياسية والاقتصادية والصناعية والتجارية والثقافية والتعليمية والتقنية وغيرها.

(ز)- القاهرة (سقوط المماليك) 1517م

لم يتوقع المماليك أن تكون نهايتهم على يد قوة إسلامية جديدة بالرغم من المسافة البعيدة، إلا أن العثمانيين حاولوا استمالة المماليك إلى جانبهم ضد الصفويين، ولكنهم رفضوا حتى لا تقوى سلطة العثمانيين وتضعف سلطة المماليك، فقرروا الحياد، ولكن العثمانيين اعتبروا ذلك عداء لهم، فامتد نفوذهم لبعض المدن الخاضعة للمماليك في بلاد الشام، مما دفع بالسلطان المملوكي في مصر إلى السير على رأس جيش لمواجهة العثمانيين في بلاد الشام، وكانت معركة مرج دابق بتاريخ 1516م، ونتج عنها هزيمة المماليك الذين عادوا إلى مصر وتتبعهم العثمانيين إلى القاهرة، ودخلوها عام 1517م، وبهذا انتهى حكم المماليك وأعلن السلطان سليم الأول قيام دولة الخلافة العثمانية، وأصبحت مكة تتبع للسلطة العثمانية، وأعلن نفسه خادمًا للحرمين الشريفين، بعد أن كان الحكام المماليك يلقبون أنفسهم بهذا اللقب.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(س)- إسلامبول (الخلافة العثمانية) 1517- 1923م

لقد اتخذ العثمانيون من القسطنطينية عاصمة لحكمهم، وبعد التوسع في بسط السيطرة على البلاد الإسلامية، والانتصار على الفرس الصفويين، اتجه العثمانيون إلى القاهرة وتم إسقاط المماليك ودخل العثمانيون إلى القاهرة وتمكنوا من بسط نفوذهم، ثم أعلن السلطان سليم الأول نفسه خليفة للمسلمين ولقب نفسه بخادم الحرمين الشريفين، وأصبحت الحجاز جزءًا من الحكم العثماني، وقد توسعت الدول العثمانية في شرق أوروبا وفي آسيا، وشمال أفريقيا، ولكن حكمها كان حكمًا عسكريًا صارمًا، ونتج عنه صراعات دائمة داخل أروقة الحكم العثماني نفسه، وفي المناطقة الخاضعة للعثمانيين. استمر الحكم العثماني أكثر من 400 عام، مارس العثمانيون خلالها سياسة صارمة في إدارة الأقاليم الإسلامية، فلم تهدأ الثورات والصراعات داخل الدولة. وقد نتج عن ذلك استمرار المطامع الغربية في بلاد العرب والمسلمين. ولم تظهر حضارة وتنمية في الكثير من البلدان التي احتلها العثمانيون. وتراجعت الكثير من الحواضر العربية والإسلامية التي كانت مزدهرة في العصور السابقة.

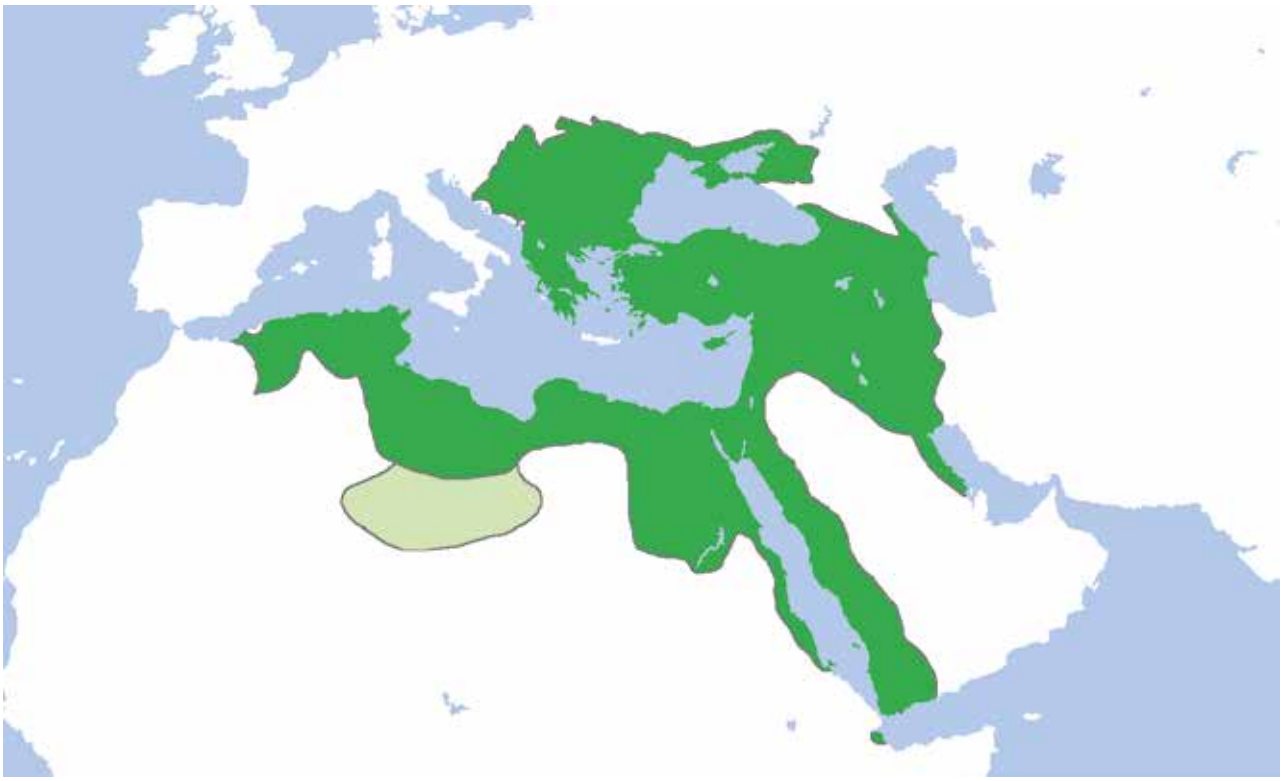

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(ش)- الاستعمار الغربي (للدول العربية والإسلامية) 1492م - 1945م

في الوقت الذي سقطت فيه القاهرة والمشرق العربي الإسلامي بيد العثمانيين، سقطت الأندلس بيد الملك فلب ملك اسبانيا، وبدأت الحملات العسكرية الاستعمارية تجوب العالم جنوبًا وغربًا وشرقًا، وسقطت الكثير من الإمارات والممالك الإسلامية عبر مئات السنين من الاستعمار الغربي. وتحولت بعض الدول التي دخلها الاستعمار إلى بلدان نصرانية، وتم تغيير الثقافة ونمط الحياة في الكثير من المجتمعات التي دخلها الاستعمار، واستمر الحال، حتى بداية القرن العشرين حيث كانت الحرب العالمية الأولى 1917م، التي نتج عنها سقوط الدولة العثمانية، واحتلال ما تبقى من بلاد العرب والمسلمين من قبل القوى الاستعمارية الأوروبية. وعلى الرغم من توقف الحروب الصليبية على الشرق العربي الإسلامي أثناء الحكم العثماني، فإن الحروب الصليبية أخذت شكلاً عسكريًا وتجاريًا واقتصاديًا وثقافيًا وصناعيًا وتقنيًا وتعليميًا، عكس ما كان عليه الحال في فترة الحملات الصليبية السابقة. ولم تتخلص أوروبا من هذه العلة التي هي جزء أساس في تفكيرها وسياستها وثقافتها ووعيها على جميع المستويات، ولهذا سيبقى الصراع مستمرًا ما دامت أوروبا وأمريكا ومن يدور في فلك تلك القوى الاستعمارية يفكر من منطلق قراءات دينية محرفة ليس لها علاقة بالدين النصراني الذي تأصل في بلاد العرب منذ ظهوره حتى يومنا هذا، حيث الكنائس الأصيلة، ولكن تلك المرجعيات الغربية الدينية تشكل بوصلة للسياسة الغربية، وعلى الرغم من عدم تحدث القادة والمفكرين الغربيين بذلك بشكل واضح، فإنها تظهر في سياستهم وفي تصرفاتهم المعلنة وغير المعلنة مثل ما حدث مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر حين تعرضت نيويورك وأمريكا لهجوم لا تزال دوافعه والقوة التي تقف خلفة مصدر نقاش وحوار في أمريكا ذاتها، وقد دفعت الدول الإسلامية ضريبة تلك الحادثة فتعرضت أفغانستان والعراق للغزو بموجب وثائق مزورة من قبل المخابرات الأمريكية لتبرير الحرب على العراق، واستغلال ثرواته وتدمير نظامه واقتصاده وجيشه ومكتسباته وحضارته التاريخية. ولقد اتخذ الإستعمار الغربي الحديث منهجية جديدة، وهي سياسة الاستقواء والتنمر على الحكومات والشعوب وخاصة من قبل بعض القوى العالمية القاهرة، والتي لم تتردد في فرض سياساتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية والدينية والإعلامية بالقوة والنفوذ حتى في أروقة الأمم المتحدة.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

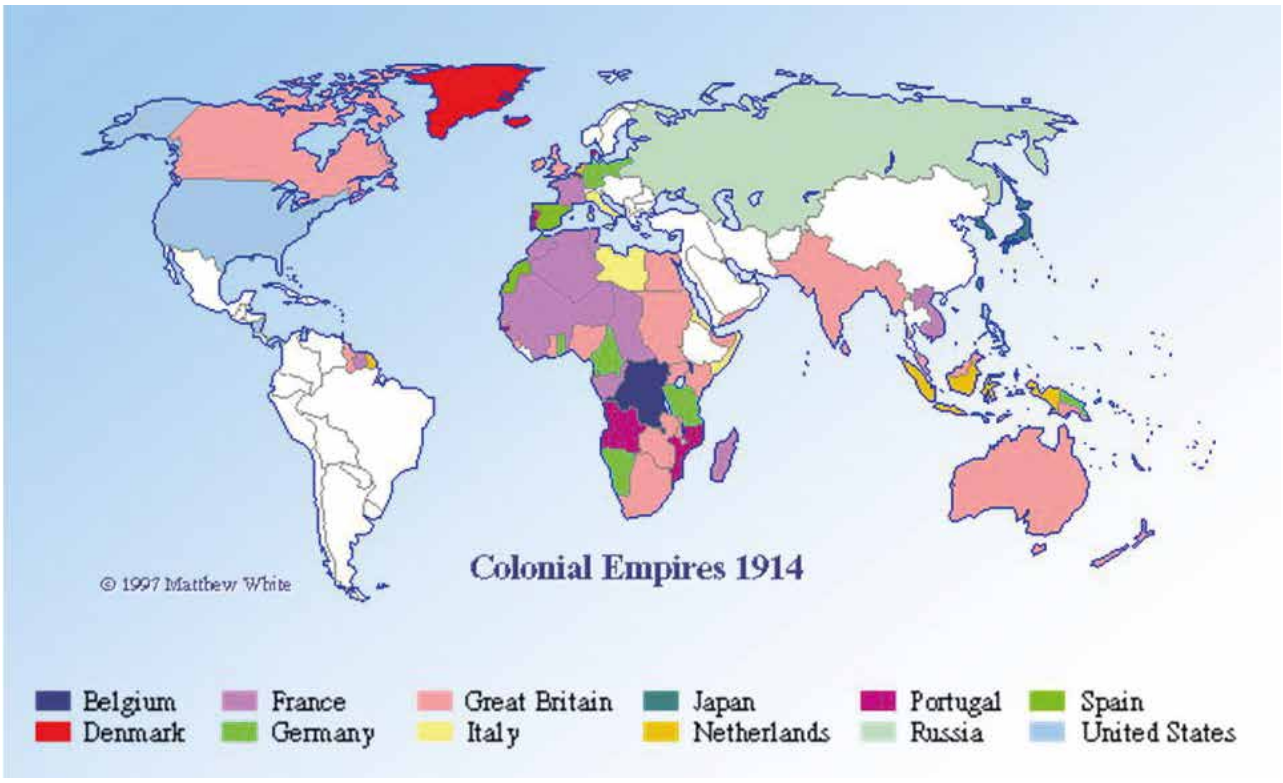

(ص)- القدس (الاحتلال البريطاني الصهيوني وتأسيس دولة الاحتلال) 1920 – 1948م

بعد أن سيطر المسلمون على القدس لمدة طويلة أثناء الحكم العثماني، لم تكن العواصم الغربية غائبة عن المشهد، فقد كانت تعمل على حل مشاكلها الداخلية الناتجة عن تسلم اليهود للسلطة واستحواذهم على الاقتصاد وزرع الفتن والقلاقل في الدول التي يتواجدون فيها حسب ما يقوله الكتاب والمؤرخون الغربيون الذين يبررون محرقة اليهود ونفيهم إلى خارج أوروبا، وقد لقي الغرب في قضية اليهود فرصة لمعالجة مشكلاتهم الصليبية مع الشرق العربي الإسلامي، فتأسست الصهيونية التي استغلت القراءات الدينية المحرفة لتبرير وجود علاقة بين نشأة دولة إسرائيل وعودة المسيح عليه السلام، وفعلاً تم إقناع الكثير من مراكز القرار الغربية بتهجير اليهود إلى فلسطين كلاجئين نتيجة عدم رغبة الأوروبيين فيهم، وتم إقناعهم بأنهم ينفذون مهمة ربانية، ومع أن الغرب قد مارس أقسى وأعنف الممارسات ضد اليهود وصلت حد إحراقهم، لهذا فقد انتشرت الكراهية لليهود في أوروبا، ونتج عن ذلك الكثير من السياسات الغربية الصارمة ضدهم، ولأن فلسطين موضع صراع مع العرب والمسلمين فقد اختار الغرب

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

لهم فلسطين بهدف غرسهم فيها وإقناعهم بأنها مكان دولتهم الدينية التي وردت في كتبهم، وهذه القراءة ليست قراءة يهودية فالكثير من اليهود المتدينين ينكرون هذه القراءة وهذه الرواية، وهم يعلمون أن الصهيونية تهدف من وراء ذلك لاستخدام اليهود لفرض سيطرتها على القدس كسياسة بديلة للحملات الصليبية التي كلفتهم الشيء الكثير. لهذا تحقق للغرب هدفين، الأول التخلص من اليهود والتكفير عن سياساتهم القمعية ضدهم، وثانيًا السيطرة على القدس وفلسطين. ومن هنا تم الانتداب البريطاني على فلسطين والسماح بالهجرات اليهودية، ثم تم وعد بلفور لليهود ببناء وطن قومي لهم في فلسطين، وبعد تمكنهم انسحب الإنجليز عام 1948م وأعلن قيام الدولة الإسرائيلية. وبدأت المعارك بين العرب واليهود، واستمر الدعم الغربي لتمكين اليهود واحتلال فلسطين والدخول في حروب استنزافية للعرب والمسلمين. وبالرغم من معارضة اليهود في العالم للوجود الإسرائيلي في فلسطين إلا أن الصهيونية العالمية لا تزال تقنعهم بالبقاء وتدعمهم بالمال والمعدات العسكرية وبالقرار السياسي والدعم غير المحدود لأنهم في مهمة دينية يروج لها الصهاينة الغربيون، وهي في الأصل حرب صليبية وقودها اليهود والعرب في آن واحد. ولهذا يقتل في فلسطين العرب واليهود بسياسات غربية ذكية، تحول فيها الضحية للمحرقة والتهجير الغربي لليهود في أوروبا إلى قاتل للأبرياء من الساميين العرب الفلسطينيين أبناء عمومته، وبدلاً من أن يدفع الغرب ثمن قتلهم لليهود جعل العرب يدفعون ثمن سياساته الاستعمارية الصليبية، ويتحول إلى المنقذ لليهود من العرب، في أذكى صياغة نفسية وتوجيه ذهني أقنع فيها المظلوم اليهودي بالانتقام من ضحية أخرى هم أبناء عمومته من العرب الساميين الفلسطينيين، ضحايا الاستعمار الصليبي، أفلا يتدبرون، ويتفكرون، ويعقلون، ويراجعون، ويتراجعون، ويتسامحون؟

(52) تراجع العرب والمسلمين واللغة العربية

وقفة مع التاريخ العربي والإسلامي، فقد سقطت بغداد على أيدي المغول عام 1250م، ثم سقطت الأندلس على أيدي الأسبان عام 1492م، ثم سقطت القاهرة على أيدي العثمانيين عام 1517م. وقد أدت هذه الانكسارات والهزائم إلى تحولات تاريخية عظيمة غيرت مسار التاريخ العربي والإسلامي، وعلى الرغم من وجدود اللغة العربية في العصور الأموية والعباسية

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

والفاطمية والأيوبية والمملوكية، غير أنها تعرضت لأكبر انتكاسة في تاريخها على يد السلطان سليم الأول حين أعلن دولة الخلافة العثمانية بعد سقوط القاهرة ودخول الحجاز والأماكن المقدسة تحت سلطته، حيث استشار شيخ الإسلام (المفتي) في لغة الدولة، وذلك بهدف إعطاء مبرر ديني لتغيير لغة الدولة، وكما يقال في المثل الشعبي، (اجعل بينك وبين النار مطوع) ولكن هذا الهروب من المسؤولية ليس له علاقة لا بالمفتي ولا المطوع، فقد اقترح شيخ الإسلام أن تكون اللغة العربية لغة الدين وتكون اللغة التركية هي لغة الدولة. ولو لم تكن الرغبة والنية واضحة لدى السلطان سليم الأول في تغيير لغة الدولة لما استشار المفتي ليأخذه وسيلة لسياسته، لعلم السلطان بمكانة اللغة العربية الإسلامية وخطورة مد يده عليها، وهي لغة القرآن الكريم ولغة الإسلام ولغة الدولة الإسلامية والدستور والشرع الإسلامي.

وعلى الرغم من استمرار كتابة اللغة التركية بالحروف العربية، فإن العقل العربي الإسلامي دخل في متاهة جديدة لفصل الناس عن تاريخهم وقدرتهم على الإبداع والابتكار والتطور والتصنيع، وتحويلهم إلى دراويش متنطعين دون دور حضاري لهم، ومن هنا تراجع العرب والمسلمون وتم التركيز على مركز الخلافة لمدة أربعة قرون، تراجع فيها العرب والمسلمون في كل شيء، أجيال من الأمية والجهل والتخلف، والعالم يتطور من حولهم، وبهذا يكون قد مضى على العرب أكثر من 400 عام، دون تاريخ حقيقي، وليس لهم دور، في أي مجال من المجالات، وحرموا من المشاركة الحضارية، ولم يحصلوا سوى على التبعية للدولة العثمانية المسلمة، ما أثر على تاريخ ومستقبل العرب حتى يومنا هذا؛ لهذا فقد العرب الفرصة للعودة من جديد، واللحاق بالدول التي تقدمت وتطورت على حساب تخلف العرب وتأخرهم نتيجة الحكم العثماني، لهذا تراجعت اللّغة العربيّة، وتراجعت معها العلوم والمعارف، وبقي العرب والمسلمون بلا علوم ولا معارف ولا علماء، وتطوّر الغرب وتقدّم، والعرب يخضعون للسّلطة العثمانيّة التي منعتهم من استئناف نهضتهم واستعادة حكمهم.

الذي أقصى العرب من مراكز القوة، واستعان بحكام وقيادات غير عربية في كثير من الحواضر والمدن العربية، وفرض قوته ورقابته على الجزيرة العربية خاصة، وبقيت الأقاليم العربية تعاني من التراجع جيلًا بعد جيل فانتشر الجهل والخرافات وضعف الإسلام حتى في الجزيرة العربية مهد العروبة والإسلام.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

وقد مارست تلك السلطة سياسة قمعية وتسببت في تخلف العرب والمسلمين، لأنها لم تكن سلطة حضارة ولكنها كانت سلطة هيمنة واستحواذ، حتى في نظام حكمها وفي بناء قواتها العسكرية التي اعتمدت على "الإنكشارية" التي تشكل معظم عناصرها من غير المسلمين، وجرت سياسة صارمة تمنع أي فرصة للتطور والتقدم والازدهار خشية من الثورات والانقلابات، حتى في داخل السلطة ذاتها، وقد وصل الحال بالسيطرة على العرب والمسلمين أن الخطب في صلاة الجمعة كانت محددة في كتاب "الحكمة البالغة"، وفي نهاية الحكم العثماني ضعفت الخلافة العثمانية، وكثر الـتأثير الأجنبي على الدولة وعلى المناطق التابعة لها، وأصبحت الخلافة غير قادرة على حماية نفسها من المطامع؛ لذا قدم العثمانيون كثيرًا من التنازلات للغرب الذي استمر في الضغط عليها، حتى وصل أثر ذلك إلى حدوث الانقلاب في قلب الحكم العثماني، وظهور المعارضات للخلافة، والمطالبة بحكم علماني ودولة علمانية، لها حدودها الجغرافية. وبعد تراجع العثمانيين في الحواضر العربية والإسلامية كلها التي كانوا يحكمونها، سقطت السلطة العثمانية، ونتج بعدها ثورة عارمة في مركز الخلافة العثمانية ضد الإسلام واللغة العربية، وألغيت الحروف العربية العام 1924م، ومنع الأذان والصلاة، وفرضت القيود على العبادة، وعلى الهوية الإسلامية، بهدف طمس الدين الإسلامي نهائيًّا. لم يحقق العرب على مدار أربعة قرون (400 عام) سوى التبعية والقهر والظلم الذي حل بهم نتيجة الحكم العثماني الذي همشهم خوفًا من عودة الحكم العربي الإسلامي؛ لهذا ساهم العثمانيون في إسقاط الحكم العربي في مواقع مختلفة، بهدف الوصول إلى السلطة، وفي نهاية الحكم العثماني الذي أضعف العرب تسبب في دخول الاستعمار واحتلال الأقاليم العربية، وبعد سقوط العثمانيين بعد الحرب العالمية الأولى، حاولت الأقاليم العربية الاستقلال من الاستعمار واستغرقت وقتًا طويلًا، وما زالت تعاني من آثار تلك الحقب العثمانية والاستعمارية المظلمة التي استمرت لقرون. وكما هو مشهود اليوم لا تكاد تنتهي حرب إلا ويدخل العرب في حرب جديدة من هندسة الغرب الاستعماري الظالم، والذي ثبت ظلمه وانحيازه وتطرفه العسكري والأمني والأخلاقي للصهاينة المستعمرين، وصار يحارب الجامعات وأساتذتها وطلابها ومفكريها والإعلام الحر في الدول العربية وغيرها، التي تدافع عن فلسطين، التي تعد أقدم تاريخًا ووجودًا من اليهودية والنصرانية، حسب المصادر الرومانية والإغريقية والغربية والفارسية والفرعونية. أربعة قرون (400 عام) على الحكم العثماني الذي لم يترك أثرًا حضاريًّا

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

في جزيرة العرب، سوى القلاع الحربية التي أقيمت للهيمنة والسيطرة والقمع للعرب، وتكريس الجهل والتخلف، وحرمانهم من مقومات النهوض والتطور في الوقت الذي كانت تتطور فيه حواضر وأقاليم أخرى ومراكز في العالم. لا تعليم، لا أمن، لا صحة، لا تنمية، لا إدارة، لا تخطيط، لا تجارة، لا صناعة، لا علماء، لا علم لا اختراع لا اكتشاف، لا شيء يستحق الذكر، سوى القمع والسحل لمن يخرج عليهم، والتمثيل بجثثهم، حتى الحج والدين ضعف خلال تلك القرون العجاف،

(53) هل من عودة عربية إسلامية؟

وفي موعد آخر مع الله، بعد أول بيت وضع للناس، وبعد إهمال وتجفيف لكل ما من شأنه عودة العرب لاستئناف حضارتهم ومكانتهم بين الأمم، أراد الله أن يفجر معجزاته من تحت أقدامهم، فكانت الطاقة التي مكنتهم ليعودوا من جديد لنشر القيم والأخلاق والمثل العليا من التسامح والتعايش والتطور والنهضة والشراكة مع العالم التي تعتمد على مرجعية ربانية تفتخر أنها جزء من تكوين هذا الكون العظيم، وبهذا تجتمع للجزيرة العربية الطاقة الروحية والطاقة المادية، والقيم والأخلاق التي بعث الرسول من أجلها، فأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، ورزقهم من الثمرات، وفي هذا الباب كلام كثير يجب أن يكتب، فالملايين من البشر من غير أهل الجزيرة العربية، من جنسيات وأديان مختلفة، حتى من أعدائهم يعيشون يوميًّا على هذا الخير الذي يتدفق دون منة من أهلها، إلى دول العالم كلها، وفي هذا فرصة للتدبر والتفكر في حكمة الله تعالى لهذه البقعة المباركة. لقد مر الحكم العربي الإسلامي بمراحل تاريخية مهمة، ولهذا يجب أن تستعاد هذه الأحداث التاريخية، لمعرفة ما حصل عبر العصور، وربط ذلك بتطور العرب والمسلمين وتقدمهم في العصر الحاضر والمستقبل، وأيضًا تراجعهم في المجالات جميعها، نتيجة المتغيرات التاريخية والأحداث التي مر بها الحكم العربي الإسلامي. ونلخص فيما يأتي تواريخ الحكم العربي والإسلامي والقوى التي أثرت عليه.

ومن المعجزات وجود الملايين من البشر من غير أهل الجزيرة العربية، من جنسيات وأديان مختلفة، حتى من أعدائهم يعيشون يوميًّا على هذا الخير الذي يتدفق من تحت أقدامهم وبإذن ربهم ودون منة من أهلها.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(54) ظهور تركيا العلمانية وعودة الحكم العربي والإسلامي للجزيرة العربية

بعد الحرب العالمية الأولى سقطت الخلافة العثمانية واحتل الحلفاء الكثير من الأقاليم العربية والإسلامية، وكانت معاهدة لوزان التي بموجبها تأسست الجمهورية التركية في 24 يوليو 1923 م، وهكذا ظهر الحكم التركي العلماني المعادي لمظاهر الدين الإسلامي كلها في تركيا الجديدة، وإلغاء الحروف العربية واستبدالها بالحروف اللاتينية، وذلك بهدف طمس تاريخ الإسلام وعلاقة الأتراك به، إلا إن الشعب التركي، شعب مسلم له تاريخه وجذوره الإسلامية، فعلى الرغم من عمق التصفيات الكاملة لكل ما يرتبط بالإسلام، فإن الإسلام بقي في قلوب وعقول الأتراك، رغم القسوة في التعامل مع المظاهر الإسلامية، وقد عاد الإسلام إلى تركيا وعادت لغة الإسلام في عهد الحكم الجديد، الذي نهض بتركيا وجعلها من أهم دول العالم في المجالات جميعها. ولم يتسبب الدين في التخلف الحضاري والمنافسة، بل زاد اللحمة الوطنية، وعزز الهوية التركية الإسلامية أكثر، وجعل غالبية الأتراك يعيشون بحرية وثقة، وأمن وأمان لم يعهدوه في فترة العلمانية الصارمة. دون تمييز أو عنصرية أو إقصاء لبقية المكونات الدينية والفكرية والثقافية والاجتماعية الأخرى، التي تعيش في وئام وسلام وتسامح مع المكون الإسلامي. وفي الوقت الذي عانت فيه تركيا الحديثة من التحديات التي استهدفت هويتها الإسلامية وكل ما يتعلق بها، عاد الحكم العربي الإسلامي للجزيرة العربية من جديد، فعلى

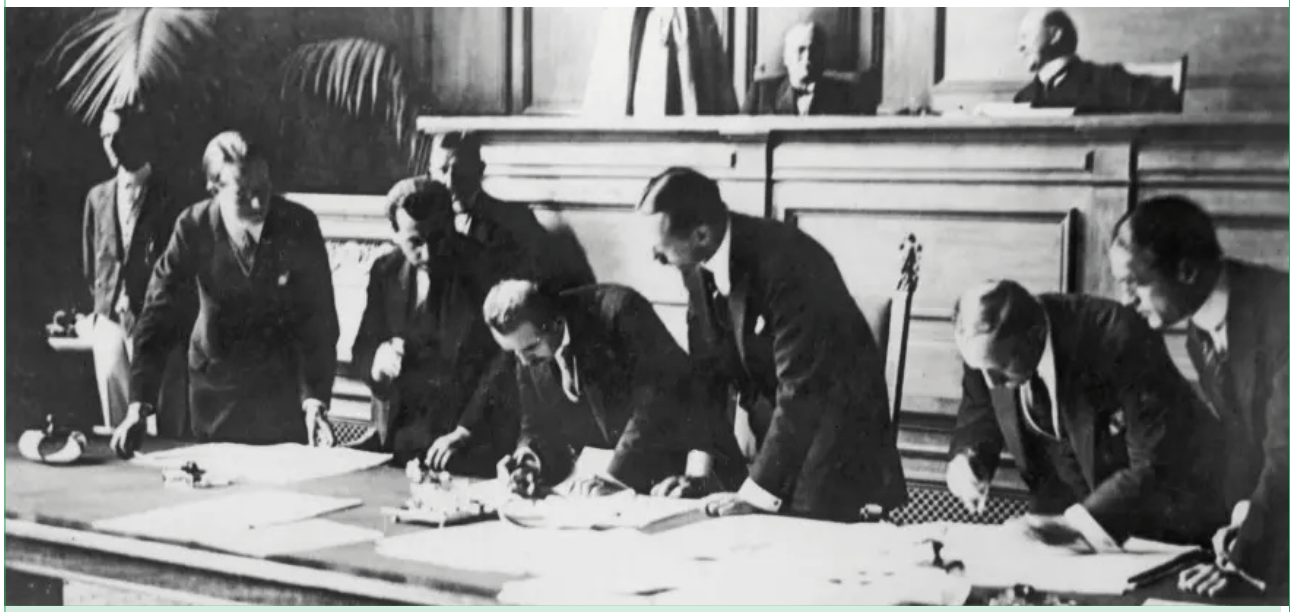

معاهدة لوزان التي بموجبها تأسست الجمهورية التركية في 24 يوليو 1923م،

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

الرغم من سيطرة العثمانيين على الأماكن المقدسة، فإنهم أهملوا الحرمين الشريفين من الناحية الدينية، فلم يحج السلاطين، وأيضًا انتشرت بعض البدع والخرافات في الحرم المكي وفي الحج. ومنها أن الصلاة في الحرم كانت تقام الفريضة الواحدة أربع مرات، وهناك أربعة أركان في الحرم، كل ركن لمذهب من المذاهب الأربعة الحنبلية والشافعية والمالكية والحنفية، وكان إذا جاء وقت الصلاة، أذن مؤذن المذهب الأول وأقام الصلاة وصلى أتباعه جميعهم خلف إمامهم في ركنهم المحدد لهم، ثم يؤذن المذهب الذي يليه ويقيم ثم يصلي بهم، وهكذا كل مذهب له إمامه وجماعته، بل إن الحجاج من مختلف أقطار العالم الإسلامي كانوا يحجون ويقومون بممارسات خارجة عن الحج والعبادة، وبعضها خرافات من خرافاتهم في بلدانهم ومجتمعاتهم القديمة أو المستحدثة، فمثلًا كان الحجاج يأتون على شكل وفود ويتقدمهم المنشدون وأصحاب الطبول، وهم يرددون الأهازيج ويحملون الرايات، ويعبرون عن طقوسهم التي لم يكن بعضها مرتبطًا بالحج، وكأنهم يذهبون إلى زفاف، وهذا لا يزال يلاحظ في بعض الدول الإسلامية عند خروجهم في الحملات للحج في دولهم حتى اليوم، ولكن للتاريخ، أوقف الملك عبدالعزيز تلك الممارسات كلها ومنع دخول المخالفين، ووحدت الصلاة في مكة على إمام واحد يصلي خلفه المسلمون جميعًا.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(55) الاستعمار واحتلال العالم العربي والإسلامي ومحاربة العربية

يقول ميشيل كولون البلجيكي في تسجيل منتشر عبر المواقع الرقمية المختلفة: "في الأعوام 1200م، كانت توجد امبراطورية في مالي، أسسها سونجاتا كيتا، كانت امبراطورية مالي اتحادية منظمة ذات برلمان، ولكم أن تتخيلوا وجود برلمان في العام 1200م، في أوروبا انتظرنا، 6 أو 7 قرون لنصل لذلك، وكانت دولة منظمة لها جيش، ونظام تعليمي، وخزينة عامة، وكانت الدولة تسير استخراج وبيع الذهب بطريقة منتظمة، وطورت زراعة القطن والفول السوداني، وكانت توجد مراكز جامعية مشهورة في تمبكتو وجنه وسيغو، وكان أحد الملوك الذين سبقوا كيتا، اسمه بوبكر الثاني، وذلك خلال قرنين قبل المستكشف كولومبس، قد أطلق رحلتين بحريتين لاستكشاف أمريكا، إذن فبالنسبة لأناس لم يصنعوا التاريخ، فهذا أمر جيد، وما يهمنا حقيقة هو أنه كان يوجد اقتصاد متكامل في أفريقيا وفي مالي، وكان يوجد اقتصاد مع تجارة القوافل القادمة من غامبيا ثم غرب أفريقيا، إلى منطقة البحر المتوسط، وقد تم تسييره بفعالية وانتظام من طرف الطوارق، وكانت تجارة مزدهرة لأقصى حد، وحين وصل المستعمر الفرنسي إلى هناك، يجذبه الاهتمام بالمواد الخام، ماذا فعل؟ قام بتحييد وتحويل هذه التجارة، ومن أجل إدارة هذه التجارة والاقتصاد، جلب اللبنانيين واليونانيين، وماذا فعلت الديموقراطية الفرنسية العظيمة بعد ذلك، قامت بقتل آلاف مدرسي اللغة العربية.

Michel Collon

(ميشيل كولون) - بلجيكا

لماذا؟ لأن التجارة بين كل تلك الدول كانت تحتاج للغة، يفهمها كل أحد، التي هي حاليًا، اللغة الإنجليزية، لكن في ذلك الوقت كانت اللغة العربية، لهذا من أجل القضاء على هذه التجارة ولتصدير كل شيء إلى فرنسا، قتلنا آلاف مدرسي اللغة العربية في تلك الفترة".

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

وهذه شهادة من صحفي ومفكر بلجيكي، وليست من عربي أو مسلم. ولهذا يجب أن يكون شعار العالم غير الغربي، الذي يطمح للسلام والاستقرار والتنمية الشاملة والمستدامة، والقيم الإنسانية، والعدالة، والمعاملة بالمثل، والتعاون والتكامل وتبادل المصالح والخبرات، والإصلاح في الأرض، ومنع القتل، والاستعمار والاحتلال، والهيمنة والسيطرة، وسرقة الأراضي، واستغلال وسرقة ثروات الشعوب، والمجاعة، ونشر الفساد، وهدم القيم والأخلاق، والعنصرية، والمخدرات والأمراض، وصناعة الأسلحة المحرمة، والتقنية الهادمة، للأفراد والأسر والمجتمعات، وغيرها من الأوبئة سواء الصحية أو غير الصحية التي ينشرونها في العالم، مثل ما ورد في شهادة كولون وكثير غيره، ونحن هنا لا نتحدث عن الشعوب الغربية، ولكننا نتحدث عن الحكومات الغربية وسياساتها، التي تظلل فيها حتى شعوبها، هو: "لا تثق بالغرب" وقد أوردنا الشهادة السابقة لتفسير التراجع العربي والإسلامي واللغة العربية، وما لحق بهم نتيجة الهيمنة العثمانية على بلاد العرب والمسلمين وتراجع العرب، ما أدى إلى إضعافهم وحرمانهم من التطور والتقدم وبناء القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية والصناعية، وتأسيس المؤسسات المعرفية والتعليمية، وغيرها من المؤسسات المتخصصة في التخصصات والمهن، التي كان العرب

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

والمسلمون بحاجة إليها؛ لهذا كانوا ضحية ذلك الضعف، الذي سهل دخول الاستعمار بعد تنازلات عثمانية للغرب، سمحت للغرب بدخول بلاد العرب والمسلمين، وفرض قوتهم العسكرية والأنظمة الإدارية، التي أداروا بها البلاد والعباد، وأجبروهم على تعلم لغاتهم الغربية، وحاربوا اللغة العربية وهمشوها، وألغوا الحرف العربي واستبدلوه بالحرف اللاتيني في عدد من اللغات القومية، بمساعدة أنصار الاستعمار من الشعوب التي احتلوها، ضمن سياسة فصل الناس عن دينهم وهويتهم الإسلامية، ثم أغلقوا دور العبادة والكتاتيب والمدارس. وفتحوا الكنائس والمدارس الاستعمارية لبناء أجيال موالية لهم ولسياساتهم ولغاتهم واقتصادهم ومصالحهم. لذا؛ لم يوجد علماء أو رموز عربية وإسلامية لهم مكانة عند العرب والمسلمين، ما أدى إلى تراجعهم عن اللحاق بالحضارة الإنسانية المعاصرة، وخضوعهم للقوى الأجنبية، ودخولهم في التبعية للأنظمة الغربية المفروضة عليهم، من خلال الاتفاقيات والمعاهدات والمصالح التجارية والاقتصادية والثقافية والتعليمية وغيرها. ولم تستطع الدول العربية والإسلامية أن تطور أنظمة تعليم حديثة، وفق مصالحها وثوابتها ومرجعياتها، وبقيت تدور في فلك القوى الغربية المستعمرة، حسب تبعية كل دولة، ونوعية القوة المحتلة، وأخذت

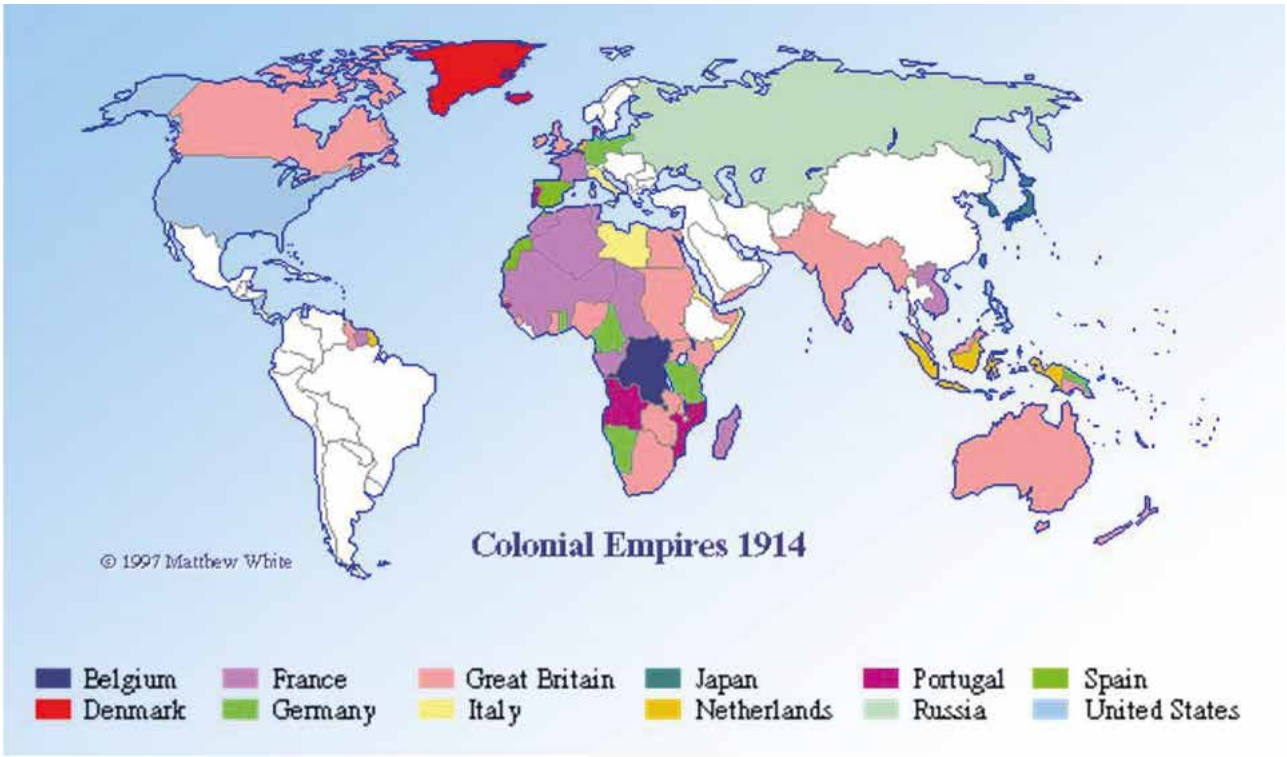

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

تلك المجتمعات ترتبط أنظمتها المختلفة، ومنها الاقتصادية والتجارية والعسكرية والثقافية والتعليمية بالقوة الاستعمارية التي تسيطر عليها، وتتحكم في سياساتها وأسواقها ومستقبلها. واستمرت اللغة ما أدى إلى إضعافهم وحرمانهم من التطور والتقدم وبناء القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية والصناعية، وتأسيس المؤسسات المعرفية والتعليمية، وغيرها من المؤسسات المتخصصة في التخصصات والمهن، التي كان العرب والمسلمون بحاجة إليها؛ لهذا كانوا ضحية ذلك الضعف، الذي سهل دخول الاستعمار بعد تنازلات عثمانية للغرب، سمحت للغرب بدخول بلاد العرب والمسلمين، وفرض قوتهم العسكرية والأنظمة الإدارية، التي أداروا بها البلاد والعباد، وأجبروهم على تعلم لغاتهم الغربية، وحاربوا اللغة العربية وهمشوها، وألغوا الحرف العربي واستبدلوه بالحرف اللاتيني في عدد من اللغات القومية، بمساعدة أنصار الاستعمار من الشعوب التي احتلوها، ضمن سياسة فصل الناس عن دينهم وهويتهم الإسلامية، ثم أغلقوا دور العبادة والكتاتيب والمدارس. وفتحوا الكنائس والمدارس الاستعمارية لبناء أجيال موالية لهم ولسياساتهم ولغاتهم واقتصادهم ومصالحهم. لذا؛ لم يوجد علماء أو رموز عربية وإسلامية لهم مكانة عند العرب والمسلمين، ما أدى إلى تراجعهم عن اللحاق بالحضارة الإنسانية المعاصرة، وخضوعهم للقوى الأجنبية، ودخولهم في التبعية للأنظمة الغربية المفروضة عليهم، من خلال الاتفاقيات والمعاهدات والمصالح التجارية والاقتصادية والثقافية والتعليمية وغيرها. ولم تستطع الدول العربية والإسلامية أن تطور أنظمة تعليم حديثة، وفق مصالحها وثوابتها ومرجعياتها، وبقيت تدور في فلك القوى الغربية المستعمرة، حسب تبعية كل دولة، ونوعية القوة المحتلة، وأخذت تلك المجتمعات ترتبط أنظمتها المختلفة، ومنها الاقتصادية والتجارية والعسكرية والثقافية والتعليمية بالقوة الاستعمارية التي تسيطر عليها، وتتحكم في سياساتها وأسواقها ومستقبلها. واستمرت اللغة العربية تعاني من الإهمال والتهميش، نتيجة عدم فهم واستيعاب العرب والمسلمين لأهمية اللغة العربية، التي كانت سبب مجدهم وقوتهم ومنعتهم وحضارتهم في الماضي، وكانت قارب النجاة لكثير من الدول العربية والإسلامية للخروج من سلطة الاستعمار. لقد ضعف العرب في الفترة العثمانية، وأدى تراجعهم الحضاري على مدى مئات السنين وخروج أجيال أمية لا تقرأ ولا تكتب على مدى قرون، إلى ضعف لغتهم وثقافتهم وقوتهم، ما أدى إلى دخول الاستعمار

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

لأوطانهم، فأسقط حكوماتهم ودولهم، واستغلّ ثرواتهم، وحارب لغتهم ودينهم وتاريخهم، وفرض لغته وثقافته ودينه عليهم، وزرع الفتن والعنصريّات بينهم، وأحرق مكتباتهم، وهدم مدارسهم وجامعاتهم، وهدّد وجودهم، وغيّر هويّتهم. وتحوّلت اللّغة العربيّة في الدّول الإسلاميّة إلى لغة أجنبيّة، لا تعرف إلّا في مجالات دينيّة محدودة فقط، وجرى التّركيز على اللّغات العرقيّة والوطنيّة والأجنبيّة، لإبعاد المسلمين عن دينهم، وانتشرت حملات التبشير بالمسيحية، فنشأت أجيال، نتيجة الاستعمار، لا تدري أن تعلّم اللّغة العربيّة يعد جزءًا من دينها، وأنّ تعلّمها وتعليمها للغة العربية والتحدث بها واستعمالها (واجب شرعًا عليهم)، وأنّ من يحارب العربية، أو يعمل على إقصائها، فإنّه يحارب "الله ورسوله وأولي الأمر"، ويحارب الدّين الإسلاميّ ومرجعيّاته وأصوله وثوابته، كيف لا؟ وهي لغة كلام الله القرآن الكريم، ولغة العبادة والتواصل مع الله في كل صلاة ودعاء.

وعلى الرغم من السياسات التي تعمل على إقصاء اللغة العربية في الدول العربية والإسلامية وغير العربية التي يوجد فيها العرب وغيرهم من المسلمين، فإن العربية ستبقى لغة ملياري مسلم، ولغة سادسة في منظمات الأمم المتحدة، وفي الاتحاد الإفريقي، وهي لغة 22 دولة عربية، وتنتشر ليس برغبة أهلها ولكن المكانة العالمية للغة العربية سوف تفرض عودتها بقوة في شؤون الحياة جميعها عربيًّا وإسلاميًّا ودوليًّا.

لم يوجد علماء أو رموز عربية وإسلامية لهم مكانة عند العرب والمسلمين، ما أدى إلى تراجعهم عن اللحاق بالحضارة الإنسانية المعاصرة، وخضوعهم للقوى الأجنبية، ودخولهم في التبعية للأنظمة الغربية المفروضة عليهم، من خلال الاتفاقيات والمعاهدات والمصالح التجارية والاقتصادية والثقافية والتعليمية وغيرها. ولم تستطع الدول العربية والإسلامية أن تطور أنظمة تعليم حديثة، وفق مصالحها وثوابتها ومرجعياتها، وبقيت تدور في فلك القوى الغربية المستعمرة، حسب تبعية كل دولة، ونوعية القوة المحتلة، وأخذت تلك المجتمعات ترتبط أنظمتها المختلفة، ومنها الاقتصادية والتجارية والعسكرية والثقافية والتعليمية بالقوة الاستعمارية التي تسيطر عليها، وتتحكم في سياساتها وأسواقها ومستقبلها.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(56) احتلال فلسطين واستنزاف العرب والمسلمين

على مر العصور تبقى فلسطين مركز الصراع الأممي، وهي من أهم بلدان المسلمين، وتوجد فيها مقدسات إسلامية ومسيحية ويهودية، وتخضع لسيطرة المسلمين على مر العصور، باستثناء حالات خاصة، وقد كانت فلسطين تحت إشراف وإدارة الحكم العثماني المباشر؛ لهذا لم تسمح الدولة العثمانية لها بالحكم الذاتي وإدارة شؤونها؛ لأنها من أهم الحواضر الإسلامية، وبقيت تحت الإدارة العثمانية، حتى بدأت الأطماع الصهيونية في احتلال فلسطين استمرارًا للحملات الصليبية التي تقف خلف تأسيس الدولة اليهودية، فسمحت بهجرات متقطعة لليهود، ولا سيما بعد الحرب العالمية الأولى التي انهزمت فيها ألمانيا، وكانت حليفتها الدولة العثمانية؛ لهذا وضعت المناطق التابعة للدولة العثمانية على خريطة الحلفاء للتقسيم، وعلى الرغم من سيطرة العثمانيين على فلسطين، ولكنهم لم يمكنوا العرب من السيطرة عليها، ولم يستمروا في سيطرتهم عليها بصفتها من أهم المناطق الإسلامية، وقد أدى هذا إلى احتلال فلسطين من قبل البريطانيين الذي سهلوا الهجرات اليهودية لفلسطين، **وكان وعد بلفور 1917 م بتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين، وقد مكن الغرب أقدام اليهود في فلسطين، بعد قتلهم وتعذيبهم وتشريدهم وتحقيرهم، بل وحرقهم، ثم نفيهم وطردهم وتهجيرهم من أوروبا، ولم يكن تهجيرهم إلا بعد مذابح واحتقار وعنصرية ضد اليهود في دول أوروبا جميعًا.**

ووقف الغرب مع الصهاينة الذين احتلوا فلسطين فهجروا أهلها الأصليين، وأخرجوهم من بيوتهم، بدعم وحماية من الدول الغربية، التي أمدتهم بأسباب القوة كلها، ليس حبًّا فيهم، فالغرب يظهر لهم جانبًا ويخفي جانبًا آخر، وهم يعلمون ذلك؛ لهذا طردوهم وهجروهم من أوروبا. واليوم الغرب شريك رئيس في احتلال فلسطين من خلال مناصرته للصهاينة على المستويات جميعها. كما أن الغرب لا يرغبون في عودة اليهود الصهاينة لدولهم الأوروبية والأمريكية وغيرها من البلاد التي هجروا منها إلى فلسطين، ومن ثم أوجدوا لهم مبررات وتفسيرات دينية وربوهم عليها، وأقنعوهم بها، على الرغم من عدم مصداقيتها لا تاريخيًّا ولا دينيًّا، وينكرها الكثير من اليهود المتدينين والعلمانيين وقد أُقنِعوا بهذه القراءة الحديثة المبنية على أسس باطلة، لإبقائهم بعيدًا عن الغرب ودوائره المختلفة، التي تعاني منهم سرًّا وعلانية. بل إن عداوة الغرب للمسلمين هي جزء من مشكلة فلسطين التي تتعرض للتحريف والتزوير،

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

حيث لا تزال الحروب الصليبية تسيطر على أفكار وسياسات واعتقادات وخطط ومستقبل الغربيين والأمريكان، الذين ابتدعوا الصهيونية وتبنوها وجعلوها وسيلة للسياسة والسيطرة على فلسطين، ونؤكد أن نكبة فلسطين كان يمكن تجاوزها، لو أن العثمانيين جندوا لها قوة عسكرية مشتركة من الدول الإسلامية لحمايتها، والتصدي للقوى الطامعة، أو أنهم منحوا العرب الاستقلال المبكر لحماية مقدساتهم وأراضيهم. وقضية فلسطين لها تأثير كبير على الأوضاع العربية المختلفة، وستبقى قضية مركزية في الوجدان العربي والإسلامي حتى تُحلّ، كما يشاء الله لها. ولعل من أهم الحقائق التي يجب أن تذكر أن هناك من يرى الفلسطينين (العرب واليهود) على أنهم أصل السامية الحقيقية، وأن أغلب اليهود من فروعها، لأنهم تبنوا اليهودية من خلال زواج الأم بغير يهودي، وخاصة في الدول الغربية، وهم لا ينتمون لفلسطين، ولكنهم جزءًا من المشروع الصهيوني الصليبي كما يراه البعض، وهناك علماء يهود أمريكان ضد ذلك المشروع، الذي يواجه العرب والمسلمين ويزور التاريخ، ويعمل على تحرف الحقائق وكتابة الكتب والمقالات وصناعة الآثار المزورة بهدف اضفاء شرعية على الاحتلال والاستعمار والعبث بتاريخ ووجود الدول العربية والإسلامية، وأولها فلسطين، إضافة إلى نشر الكراهية والعنصرية.

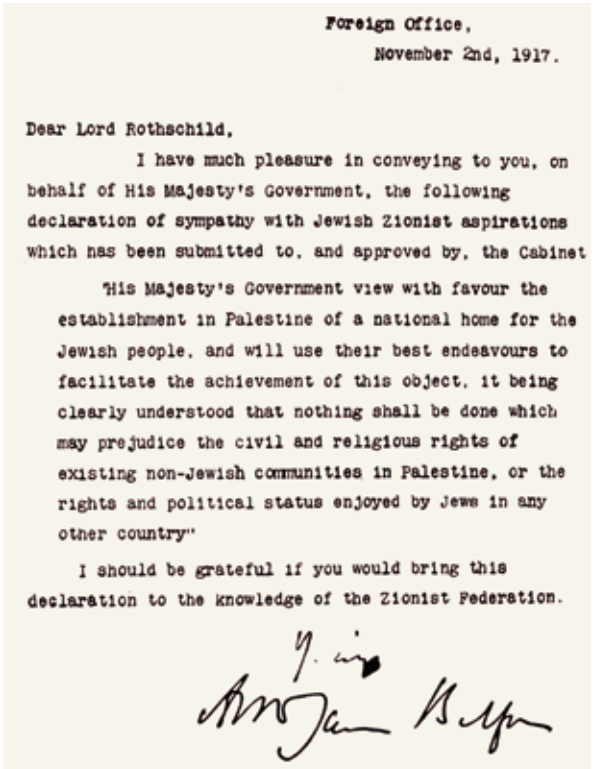

Foreign Office,
November 2nd, 1917.

Dear Lord Rothschild,

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of His Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet

"His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country"

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

بلفور وزير خارجية بريطانيا

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

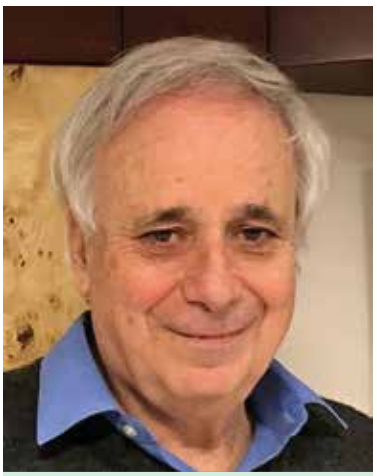

Ilan Pappe

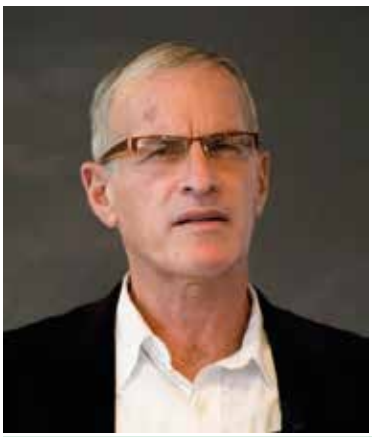

Norman Finkelstein

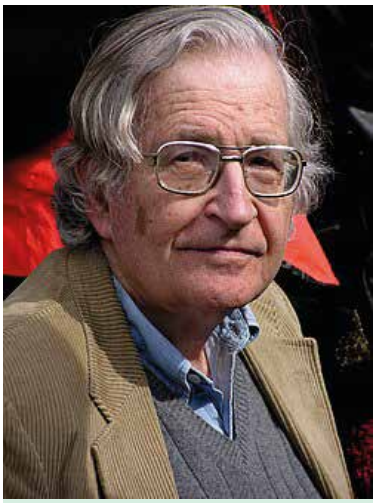

Noam Chomsky

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(57) استقلال الدول العربية والإسلامية واللغة العربية

لم تكن الهيمنة العثمانية هيمنة دينية، ولكنها هيمنة أمنية وعسكرية وتبعية، فلم يسجل التاريخ على مدى أربعة قرون (400عام) لأي خليفة عثماني الحج إلى مكة المكرمة، وقد ضعف العلم الشرعي، وتخلف العرب لا سيما في جزيرة العرب، على الرغم من سيطرة العثمانيين على مكة والمدينة، وعلى الجزيرة العربية والحواضر الإسلامية، وقد انتشرت في عهدهم الخرافات بين المسلمين وصنفوهم إلى طبقات لتمزيقهم وإضعافهم، ومنعوهم من أسباب القوة كلها، بل إنهم من جعل الصناعة مهنة غير شريفة عند العرب، حتى لا يلتفتوا إلى الأخذ بمصدر القوة والمنعة التي أمرهم الله بها، فيسودوا ويقودوا العالم من جديد، بينما القرآن يحث على الصناعة والأخذ بأسباب القوة في كثير من الآيات، وقد كلف الله بعض الأنبياء بالصناعة، وجعلها جزءًا من علمه كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88)﴾ سورة النمل. وقال تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (37)﴾ سورة هود.

وقال تعالى: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (39) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ (40) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41)﴾ سورة طه. وقال تعالى: ﴿وَيَصنَعُ ٱلفُلكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيهِ مَلَأٌ مِّن قَومِهِ سَخِرُواْ مِنهُ قَالَ إِن تَسخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسخَرُ مِنكُم كَمَا تَسخَرُونَ (38)﴾ سورة هود. وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمنَٰهُ صَنعَةَ لَبُوسٖ لَّكُم لِتُحصِنَكُم مِّن بَأسِكُم فَهَل أَنتُم شَٰكِرُونَ (80)﴾ سورة الأنبياء. وقال تعالى: ﴿وَلَقَد ءَاتَينَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضلٗا يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلحَدِيدَ (10)﴾سورة سبأ.

قال تعالى: ﴿لَقَد أَرسَلنَا رُسُلَنَا بِٱلبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلنَا مَعَهُمُ ٱلكِتَٰبَ وَٱلمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلقِسطِ وَأَنزَلنَا ٱلحَدِيدَ فِيهِ بَأسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلغَيبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ (25)﴾ سورة الحديد.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60)﴾ سورة الأنفال. وكما يقال؛ (أمة لا تصنع تركع)، لهذا منع العثمانيون كل ما يؤدي إلى الصناعة والاختراع والابتكار وغيرها في بلاد المسلمين وخاصة الجزيرة العربية، بينما جلبوا الصناع من مختلف الحواضر التي تتبع لهم إلى مركز الخلافة للمشاركة في بناء مدنهم، ودعم الصناعات العسكرية التي يعتمدون عليها في حروبهم، ولكن هذا لم يمنع من قيام ثورات ضد العثمانيين نتيجة التشدد في قمع المجتمعات في الأقاليم الإسلامية المختلفة وفي مقدمتها الجزيرة العربية، ومن أهم حركات المقاومة مقاومة الدرعية، والتي أتت لمقاومة الاستبداد العثماني ولتستعيد الدور العربي الإسلامي الحقيقي الذي يعمل على المحافظة على الإسلام ونشره، بعد أن ضعف الوضع الديني في العهد العثماني، وخاصة في جزيرة العرب مهد العروبة ومركز الإسلام، وقد قامت الدولة العثمانية بعدة حملات عسكرية لإخماد الثورات في الجزيرة العربية، والتي قامت في مختلف مناطق الجزيرة العربية، وكانت تطمح تلك القوى العربية في استعادة النهضة والتطور والاستقلال من التبعية العثمانية، ولما لم يتمكن أبناء محمد علي باشا حاكم مصر وممثل السلطة العثمانية في مكة من إخماد تلك الثورات، قاد محمد علي باشا بنفسه إحدى الحملات العسكرية إلى جزيرة العرب، ونزل في جدة في نوفمبر العام 1813م، وتمكن من إسقاط الدرعية، ولكن المقاومة استمرت، وقد تحدث عن تلك الحملات الكثير من المؤلفين ومنهم، (Maurice Tamisier) موريس تاميزيه 1834م، الذي رافق آخر الحملات العسكرية العثمانية المصرية على عسير في جنوب الجزيرة العربية، وعلى الرغم من تلك الحروب المستمرة على الجزيرة العربية، فإن المقاومة العربية للحكم العثماني الضعيف استمرت، الذي بدوره أضعف العرب، وتسبب في تخلفهم وفي دخول الاستعمار الغربي إلى أوطانهم وأراضيهم، واحتلال فلسطين التي كانت تحت الحكم العثماني، وهناك كثير من الكتب والدراسات التي تتعلق بقضية فلسطين، ودور الحكم العثماني في الهجرات وإضعاف العرب والمسلمين، وعدم تمكينهم أو المشاركة معهم في الدفاع عن فلسطين في بداية الاحتلال البريطاني، الذي تعهد بتأسيس دولة يهودية فكان وعد بلفور، وما تبعه من هجرات وثورات عربية، لم يكتب لها النجاح، لعدم وجود العتاد والتنظيم العسكري للدفاع عنها.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

لقد عانت اللغة العربية كثيرًا، فلم تتنفس نتيجة الحكم العثماني والاستعمار الغربي، إلا بعد استقلال الدول العربية والإسلامية من الاستعمار، إذ بادرت المجتمعات العربية والإسلامية إلى الاعتماد على اللغة العربية في استعادة دورها ومكانتها ووحدتها من خلال اللغة العربية التي تمثل لهم الهوية، وتربطهم بثوابتهم ومرجعياتهم التي حاربها الاستعمار. وقد كانت اللغة العربية الموحدة والجامعة التي تربط فئات المجتمع جميعها ببعضها البعض، هي الوسيلة الوحيدة لضمان السيادة والاستقلال من الاستعمار؛ لهذا أعيد فتح المدارس باللغة العربية، وانتشر التعليم الوطني العربي، على الرغم من وجود مؤسسات تعليمية استعمارية للنخب، التي عمل الاستعمار الأجنبية على وجودها، لتمثل ثقافته ومصالحه، وتعزز التبعية لمؤسساته وسياساته المختلفة. ونظرًا لقلة المعلمين، والتوسع السريع في التعليم لإعداد المواطن الصالح في الدول العربية، فقد واجهت الدول مشكلات كثيرة، وتغلبوا عليها مع الوقت، وأصبح التعليم هو القاطرة التي تقود بناء الدول العربية المعاصلرة، وتعزز وحدتها وهويتها وثقافتها، وتعد الكوادر البشرية لسوق العمل في المؤسسات الحكومية والأهلية جميعها، واللغة العربية موجودة في الدول العربية وماجاورها من أقاليم مثل الأهواز ولواء الإسكندرون وتشاد وغيرها من دول أفريقيا.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(58) جهود النصارى العرب في خدمة العربية

على الرغم من تخلف العرب، وتراجع اللغة العربية، خلال العصور العثمانية، بيد أن النصارى العرب، ولا سيما في بلاد الشام، حافظوا على اللغة العربية وخدموها وكانوا يعتزون بها، وقاموا بالتأليف والنشر ووضع المعاجم والقواميس التي حملت أسماءهم، كما أصدروا الصحف والمجلات، في الوقت الذي تراجعت فيه الكثير من الحواضر العربية والإسلامية، نتيجة السيطرة العثمانية، التي لم تهتم باللغة العربية مثل اهتمامها باللغة التركية، وفي هذا السياق نسمي بعض الشعراء، الذين ارتبطت قصائدهم بالذاكرة العربية حتى يومنا هذا، ولا سيما شعراء المهجر من شعراء لبنان مثل (إيليا أبو ماضي وجبران خليل جبران) وغيرهم، أمثال الشاعر حليم دموس، الذي قدم قصائد فخر واعتزاز باللغة العربية، يجب إبرازها والاهتمام بها، وحفظها لجودتها ومصداقيتها ورمزيتها، في الوقت الذي كان فيه العرب يرزحون تحت السيطرة العثمانية التي استمرت لما يقارب من أربعة قرون. وهنا نورد بعض الأبيات من قصيدة حليم دموس التي يقول فيها:

حليم دمّوس (1888-1957)

لـو لم تكُنْ أمُّ اللغـاتِ هيَ المُنى
لكسرتُ أقلامي وعِفتُ مِدادي
لغـةٌ إذا وقعـتْ عـلى أسماعِنا
كانتْ لنا بردًا على الأكبادِ
سـتظلُّ رابطـةً تؤلّـفُ بيننا
فهيَ الرجـاءُ لناطـقٍ بالضّادِ
وتقاربُ الأرواحِ ليـسَ يضـيرهُ
بينَ الديارِ تباعـدُ الأجسـادِ
أفما رأيـتَ الشمسَ وهيَ بعيدةٌ
تُهـدي الشُّعاعَ لأنجُدٍ ووهادِ
أنا كيفَ سرتُ أرى الأنامَ أحبّتي
والقـوم قومي والبلاد بلادي

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

إلا أن القصيدة التي انتشرت، وكانت من ضمن الأناشيد في المناهج الدراسية في بعض المدارس العربية، وقد عبرت أبياتها عن شمولية واعتزاز بالعربية، وثقة بها، إذ يقول الشاعر حليم دموس:

لا تلمني في هواها
أنا لا أهوى سواها
لست وحدي أفتديها
كلنا اليوم فداها
نزلت في كل نفس
وتمشّت في دماها
فبِها الأم تغنّت
وبها الوالد فاها
وبها الفن تجلى
وبها العلمُ تباهى
كلما مرّ زمان
زادها مجدًا وجاهًا
لغة الأجداد هذي
رفع الله لواها
فأعيدوا يا بنيها
نهضة تحيي رجاها
لم يمت شعب تفانى
في هواها واصطفاها

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(59) اللغة العربية في الدول الإسلامية

لقد تعرضت اللغة العربية في الدول الإسلامية لتأثيرات قومية واستعمارية، فبعضها تستخدم لغتها العرقية والوطنية واللغة الاستعمارية، بينما همشت وألغيت اللغة العربية فيها. وعمل الاستعمار على تشويه التاريخ الإسلامي من خلال نشر الكتب والمؤلفات التي تثير الفتن، وتوحي أن الحكم الإسلامي كان حكمًا استعماريًّا، وكان الهدف منه هدم الإسلام والهوية العربية الإسلامية، والحقيقة أن الإسلام أسس وبنى وأسهم في الحضارة الإنسانية، واستفاد منه الغرب في نهضته، ومع هذا، عملت القوى الاستعمارية على تنشئة جيل من المواطنين العرب والمسلمين في مؤسسات تعليمية أجنبية ليكونوا صناعًا للقرار، ومسؤولين في المؤسسات الوطنية والأهلية، فصاروا يحاربون اللغة العربية نتيجة تبعيتهم وتأثرهم بالقوى الغربية التي تعلموا في مدارسها، بل وصل الأمر بهم إلى منع تعليم اللغة العربية وإقصائها، متناسين أنها جزء من دينهم الإسلامي، ولا سيما لمن يعي منهم معنى الإسلام، وفق أصوله الدينية واللغوية والتاريخية. وفي الوقت الذي تحارب فيه المؤسسات الإسلامية، تتم حماية دور العبادة غير الإسلامية. وهذا يعود إلى ضعف فهم الأجيال الإسلامية الجديدة لإسلامهم ودينهم، وتلقيهم الدين من مصادر ثانوية أو من خلال مجموعات شوهت الدين واستغلته لمصالح شخصية، وبهدف تكوين زعامات وقوى، تحت مظلة الدين المحرف، وبعضها ادعت أن دينها الدين الإسلامي، ولكنها لا تنطبق عليها مقومات الدين الإسلامي، لانحرافها عن الأسس الأساسية للإسلام ومرجعياته الأصيلة القرآن والرسول، واهتمامها بقيادات وزعامات دينية حرفت الإسلام لأسباب سياسية مبنية على أسس علمانية، أو عرقية مناهضة للإسلام ولغته وثقافته.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

وتلام بعض الدول العربية والإسلامية على ضعف الإسلام فيها؛ لأنها جعلته من شؤون بعض المستغلين للدين لعدم رعاية الدولة للدين واهتمامها به، ونسيت أن ولاء كل مسلم للسلطان يأتي نتيجة ولاء السلطان لله وطاعته، ومن ثم فإن المسلم مكلف بطاعة ولي الأمر الذي يطيع الله، الذي يكلف المسلم بطاعة الله. ومهما جامل الناس ونافقوا في العلانية ولكنهم في السراء يبدون شعورًا آخر نتيجة خوفهم من القمع والتنكيل بهم، وخوفهم من الله وآخرتهم في الجانب الآخر؛ لهذا وجب على الدولة المسلمة أن تتولى مسألة الدين، وتضع له المؤسسات الدينية تحت إشرافها ومسؤوليتها، وأن تحافظ على الدين، كونه من مقومات هويتها، حتى وإن ادعت علمانية نظامها، ولكن الشعب والمجتمع على دينهم؛ لأنه جزء من اعتقاد يرتبط بحياتهم ومماتهم. والعناية بالدين من قبل الدولة، سوف يعزز الوحدة والاستقرار والأمن الوطني، على أن تكون الدولة عادلة في مسألة الدين والمحافظة على منظومة القيم والأخلاق الوطنية والإسلامية، فلا تسمح بتحويل الدين لموضوع نقاش وحوار بين مؤيد ومعارض، بل يكون موضوع إجماع وتلاقٍ بين الناس، شريطة أن تكون الشعائر والمؤسسات الدينية تحت إشراف ومتابعة ونظر الدولة، ووفق برامج وسياسات، لا تتعارض مع الدين، وسوف يعزز هذا الولاء والانتماء من المسلمين للحاكم والدولة، ويقوي الثقة والمحبة بين الحاكم والمحكوم.

(60) غياب السياسات اللغوية في الدول العربية والإسلامية

تعاني كثير من الدول العربية والإسلامية من غياب سياسات لغوية تنظم شؤون اللغة العربية، وتحافظ عليها، ولا سيما في ظل الضغوط الدولية، ووجود المدارس الدولية والمناهج الأجنبية، علاوة على الجامعات الأجنبية، التي لا تستطيع الدول التحكم في مناهجها، وهي مناهج مرتبطة بدول تلك الجامعات، كما أن الجامعات العربية والإسلامية تعاني من التبعية اللغوية، فبعضها تعمل وتدرس باللغة الأجنبية، وتتبع معايير غربية شكلية، مثل معايير التصنيف التي تهدف إلى تغيير مسار الجامعات الوطني، وربطها بمصالح الدول الغربية ومناهجها، التي تتعلق بالقيم والأخلاق والنظم الاجتماعية الغربية، وتصب في مصالحها، وتعمق التبعية لها؛ لهذا تنتج الجامعات العربية والإسلامية بعض المخرجات المشوهة، تتخذ مواقف مناهضة لدولها ولقيمها ودينها ولغتها وتقاليدها وأعرافها، وتعيش في حالة من التغريب المستمر نتيجة ابتعادها عن مرجعياتها وثوابتها وقيمها الوطنية والعربية والإسلامية.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

كما أن المؤسسات التعليمية العربية والإسلامية، تعاني من ضعف المخرجات، لأسباب تتعلق بضعف السياسة التعليمية واللغوية والترجمة، وعدم الشعور بخطورة إضعاف اللغة العربية، التي تعد أساسًا للهوية، والسيادة والاستقلال والوحدة الوطنية، وتعد جزءًا من الأمن الوطني واللغوي والفكري والثقافي، كما أن ضعف المصادر المالية واعتماد الدول على المعونات والدعم الخارجي المشروط بالتغييرات لصالح الجهات المانحة والداعمة، يعد عائقًا كبيرًا، ويستغل من قوى الضغط الخارجية التي تفرض الإملاءات وتضع الشروط من قبل الجهات المانحة. وهناك ضرورة ماسة لوجود دراسات نقدية، وأبحاث ميدانية، وتقارير تشخيصية، لتوجيه السياسات التعليمية، وربطها بالتطور العلمي والمعرفي، والاتصال العلمي، وتكوين وإعداد المواطن الصالح من ناحية، وتلبية متطلبات واحتياجات سوق العمل من ناحية أخرى، مع الاهتمام والمحافظة على الهوية والقيم والثوابت والمرجعيات الوطنية في مناهجها وفي مخرجاتها.

(61) اللغة العربية الفصحى

ارتبطت اللغة العربية الفصحى بالمجتمعات العربية قبل الإسلام، وكان العربي الأصيل يتحدث العربية بفصاحة وبلاغة وبيان، ولا يلحن فيها، أو يتنازل عنها، لأي سبب من الأسباب؛ لهذا قويت بشكل كبير، نتيجة الإجماع على أهميتها في تشكيل الهوية الشخصية والعربية عند الإنسان العربي، الذي يعتز بالعروبة، نسبة إلى اللغة العربية، مهما كانت هوياته ولغاته الأخرى؛ لذا أقدم الكثيرون على تعلم اللغة العربية وخدمتها لغويًّا، وتنوعت أساليب الخط العربي، ووُظِّف في العمارة والفنون والصناعات والزينة، وتطورت الخطوط العربية، وكيفية كتابتها، حسب الأقاليم التي تكتب فيها اللغة العربية، ولكن الفصحى هي الأساس، وهي المرجع الذي يعتد به، لارتباطها بمعيارية خاصة، فرضها المستوى العالي اللغوي للقرآن الكريم، إذ تعد لغة القرآن الكريم معجزة لغوية أكبر من مستوى اللغويين والعرب الأقحاح، لذا؛ فإن قواعد اللغة العربية وآلية كتابتها، تعد من أوضح وأتقن القواعد اللغوية، إضافة إلى الوضوح في مخارجها وأصواتها. وهي لم تتغير نتيجة تغير الأجيال، ولكنها بقيت محافظة على مستواها العالي؛ لأنها لغة كونية مرتبطة بالقرآن الكريم، وخدمها العرب والمسلمون بشكل كبير. وتعد اللغة العربية الفصحى، لغة حسابية رياضية علمية في قوانينها اللغوية وتراكيبها، وأقرب

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

للتطبيقات العلمية والمنطق، ولا سيما الحسابية والحاسوبية التي تتعلق بالذكاء الاصطناعي والتقني، وما ينقصها هو معرفة التقنيين والمبرمجين العرب وغير العرب بقواعدها وأنظمتها الكتابية واللغوية واللسانية، ليتمكنوا من برمجتها واستخدامها في المجالات الصناعية والتقنية المختلفة.

وتتميز اللغة العربية الفصحى أنها مفهومة للجميع، ولا سيما في الدول العربية والدول المجاورة لها، التي يتحدث بعض سكانها اللغة العربية. واللغة العربية الفصحى، هي اللغة الوسيطة التي لا تكون لغة عالية في مستوى المتخصصين والأساتذة والشعراء من النخبة، ولكنها لغة الإعلام في الصحافة والمؤسسات الإعلامية العربية التي تخضع لمعيارية لغوية، وسياسة تحريرية منضبطة، وهي أيضًا، لغة التعليم في المدارس في الدول العربية؛ لأنها لغة مفهومة وسهلة للناس جميعًا باختلاف أعمارهم، وتخصصاتهم ولهجاتهم، ومجتمعاتهم ودولهم؛ لهذا تسهل قراءتها والتحدث والكتابة بها، وليس مطلوب من العربي اليوم، أن يكون مثل العرب القدامى، ولكن يجب أن يتقن الكتابة والقراءة والتحدث باللغة العربية الصحيحة وغير المقعرة، مع معرفة الحد الأدنى من الفهم لقواعد اللغة العربية، وثقافتها الشعرية والأدبية، مثل ما يجري في المجتمعات الأجنبية ولغاتها.

(62) اللهجات والعاميات العربية

عانت اللغة العربية على مدار قرون نتيجة دخول الكثيرين من غير العرب في الإسلام، وظهرت اللهجات والعجمة في الحديث بين الناس؛ لهذا اجتهد الأوائل في وضع القواعد والحركات على الحروف، وكانوا أول من أسس مفهوم الجودة، فوضعوا علم التجويد وهو أول نظام للجودة والنوعية والضبط في اللغات، لضمان سلامة النطق وقراءة القرآن الكريم، وقد سمي بالتجويد، لارتباطه بالجودة والصحة والسلامة والنوعية.

كما عانت العربية من التهميش، وعدم وجود العلماء والمدارس والمؤسسات التي تنهض باللغة العربية، نتيجة الحكم العثماني الطويل وانتشار الأمية والتخلف حتى في المسائل الدينية البسيطة؛ لهذا، انتشرت العاميات واللهجات المحلية التي تعاني من مشكلات كثيرة، فهي تختلف في مفرداتها وتراكيبها حتى في داخل القطر الواحد، من حيث تغيير بعض الحروف عند

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

نطق المفردات؛ لأن العاميات واللهجات عبارة عن ممارسات يومية يتداولها الناس، ولكنهم لا يكتبون ولا يقرؤون بها؛ لأنها ستكون صعبة الفهم، لدى الأكثرية الناطقة بالعربية الفصحى، بالإضافة إلى الناطقين بالعاميات واللهجات الأخرى، فاللغة العربية مرتبطة بالفصاحة؛ لأن الناس يفهمون الفصحى ولا يفهمون العاميات، وخاصة أن هناك عاميات فيها خليط من عدة لغات أيضًا؛ لذلك تبقى اللغة العربية الفصحى وسيلة التعليم والتواصل والعمل الرسمي والإعلامي بين السكان جميعًا في الدول العربية، ولكن الناس يتحدثون بلهجاتهم ودوارجهم كل حسب المكان الذي يعيش فيه. ولقد أسهم التعليم والإعلام العربيان في معالجة ضعف المجتمعات العربية في اللغة العربية الفصحى، وتبقى العاميات موجودة ومفهومة في مجتمعاتها المحدودة.

وأهم ما يميز اللهجات العربية أنها ترتبط بالثقافة الإسلامية، التي تحافظ على الكثير من المفردات العربية والإسلامية في أغلب اللهجات، ولهذا تبقى العلاقة بين اللهجات العامية واللغة العربية الفصحى متقاربة ومتواصلة، لوجود تلك الروابط الدينية التي تعتمد على اللغة العربية الفصحى في مفرداتها المختلفة.

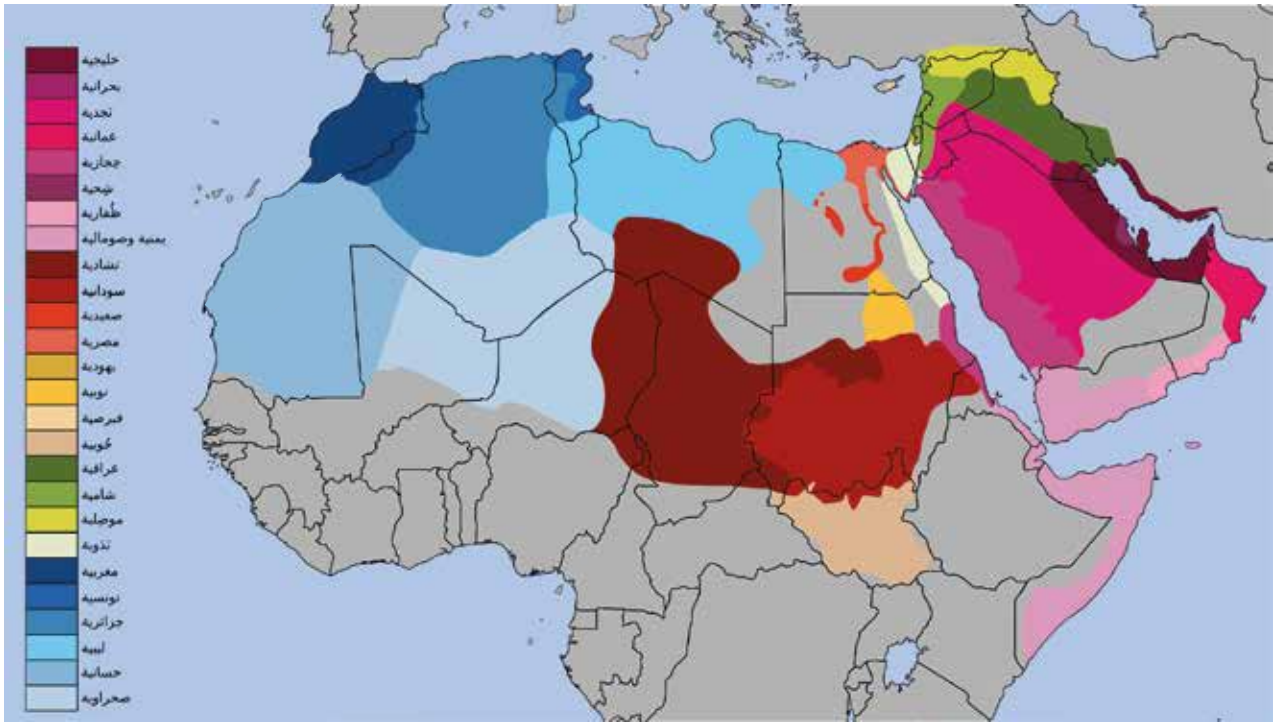

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(63) تعلم اللغات الأجنبية واللغة العربية

يعد تهاون المسلمين والعرب في تعلم لغة القرآن الكريم من التهاون في الدين، ومثل ما يهتم المسلم والعربي بتعلم لغة أجنبية كجزء من متطلبات الوظيفة وسوق العمل، والحرص عليها، ودفع الأموال لتعلمها، من أجل مكاسب مادية، فالواجب عليه شرعًا تعلم لغة الإسلام، ودفع المال لتعلمها وإتقانها لمعرفة علاقته بربه، وفهم شرع الله والاستعداد لآخرته. ولا يوجد أي عذر أو مبرر قومي أو عرقي أو طائفي أو سياسي أو اقتصادي أو تجاري أو ثقافي لتخلي أي مسلم كان، عن تعلم لغة كلام الله القرآن الكريم، أو تفضيل أي لغة عليها؛ لأنها مرتبطة بدينه وعبادته ودنياه وآخرته، وهي لغة غير عرقية، ومن الهويات الكبرى مثل هوية الإسلام التي ارتبطت باللغة العربية فزادها رفعة ومكانة مقارنة بغيرها من اللغات.

وهذا لا يعني عدم تعلم اللغات الأخرى الوطنية والمحلية والأجنبية، ولكن ليس على حساب لغة الإسلام، إن كان المسلم يؤمن بالله ورسوله وكتابه واليوم الآخر، ويؤمن أن اللغة العربية لغة كلام الله، ولغة الإسلام، وليست لغة عرقية، وأنها فرض عين، وواجبة شرعًا على كل مسلم أن يحرص على تعلمها وإتقانها قبل اللغات جميعها، ودونها لا إسلام ولا قرآن ولا عبادة، وهي مرتبطة بالأعمال والتعامل والصلة مع الله، وبالدنيا والآخرة.

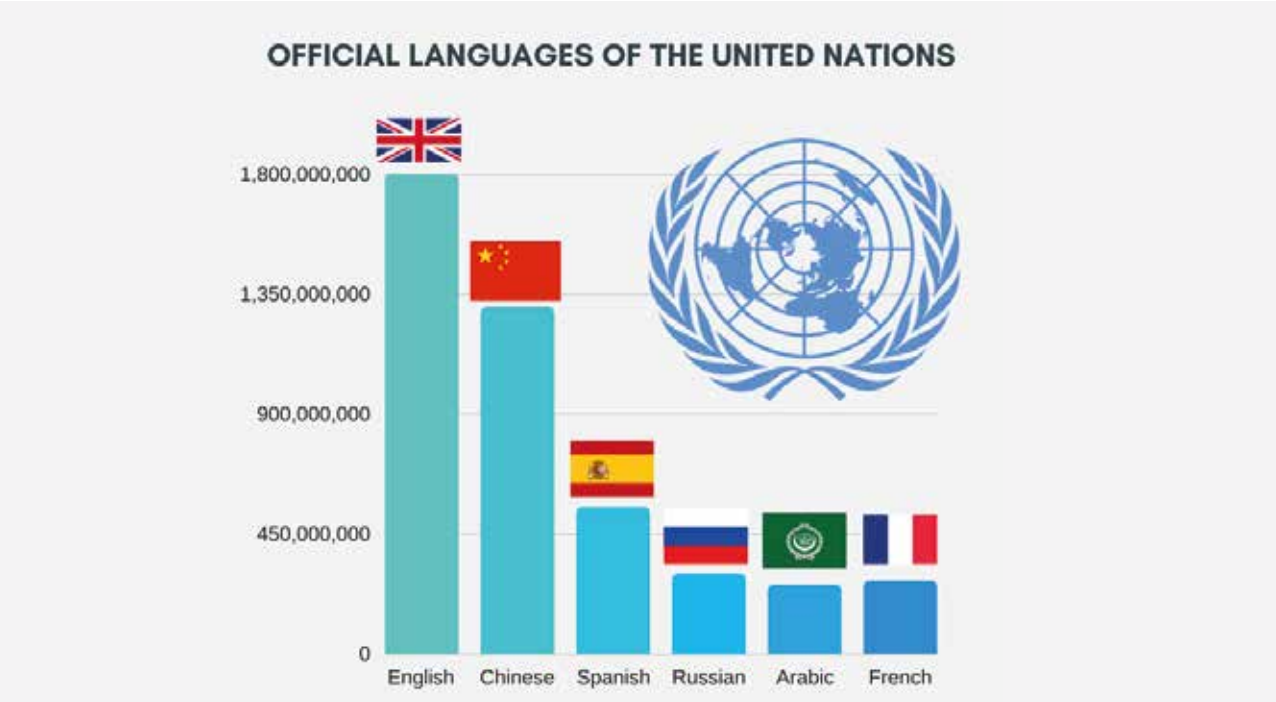

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(64) الفرق بين اللغة العربية واللغات الأجنبية

يعود تاريخ معظم اللغات الأوروبية المعاصرة إلى العصور القريبة الماضية، وهي لغات علمانية مرتبطة بالدول والقوميات والأعراق والطوائف التي تمثلها تلك اللغات، وكثير منها لا توجد لها حروف أصلية، وقد رُبِطت بالحروف اللاتينية؛ لأنها لغات عرقية في أصلها وفي تراكيبها وقواعدها ومكانتها وتاريخها اللغوي. وفي كثير من اللغات الغربية، يفتخر الغربيون بشعرائهم الذين طوروا لغتهم، وهذا هو ما كان عليه الشعر والشعراء قبل الإسلام، حين ارتبط الشعر بالكعبة، بصفتها رمزًا كونيًّا وتاريخيًّا ودينيًّا مهمًّا، جعل الشعراء يتنافسون في تجويد اللغة العربية، حتى وصلت إلى أن تكون لغة مختارة من الله لرسالته وكلامه القرآن الكريم، وعلى العكس كانت اللغات الأخرى، التي تشكلت نتيجة انقسامات عرقية وقومية، وانتشرت بقوة خارج حدودها عن طريق الاستعمار وهيمنته واحتكاره ومحاربته للثقافات والمجتمعات التي يسيطر عليها وقد تعرضت العربية للاقصاء والتهميش من قبل القوى الإستعماريةفي جميع البلدان التي احتلتها.

وعلى الرغم من عدد المتحدثين باللغات الغربية، وانتشارها في العالم، ولا سيما في المستعمرات الأجنبية في دول العالم المختلفة التي تستخدم لغات المستعمرين، بيد أن كثيرًا من الدول تعد عالة على اللغات الأجنبية، وعلى الحرف اللاتيني، الذي لا تنتمي إليه لا تاريخيًّا ولا حضاريًّا ولا دينيًّا، وإن كان لها لغة وطنية، فهي لغة عالة على الحروف اللاتينية، بدلاً من كونها مرتبطة بثوابتها ومرجعياتها وثقافتها وتاريخها.

وتتميز اللغة العربية بأنها جزءًا من القرآن الكريم وأنها مشرعة بآيات كريمة من الله سبحانه وتعالى وفي هذا تكريم وتخصيص للغة العربية على سائر اللغات والألسن التي خلقها الله تعالى لعباده، وقد تم اختيار اللغة العربية مثل ما أختار الله الأنبياء والرسل وخصهم بالرسالة والنبوة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (195) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (196) أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (197) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (198) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (199)﴾ سورة الشعراء.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(65) الكتب السماوية واللغات الأصلية والأنبياء والرسل

لم ينزل في الغرب لا نبي ولا رسول ولا كتاب سماوي، وقد تبنى الغرب النصرانية من خلال الإمبراطورية الرومانية، ولو لم يتبنَّ الرومان النصرانية لتوحيد الأقاليم التابعة لهم، وتعزيز مكانة الإمبراطور والإمبراطورية، لما خرجت النصرانية من مكانها في فلسطين وبلاد الشام وشرق إفريقيا؛ لهذا فهم دخلاء على النصرانية، وقد أحدثوا فيها كثيرًا من التغييرات، وأجازوا كثيرًا من المحرمات، وقد تعرضت النصرانية لكثير من التحديات والتأثيرات من قبل قادة روما، ومن لحقهم، ما أدى إلى وجود عدد من السرديات والكتب الدينية، التي كتبها شخصيات مختلفة، وفي أزمنة متعددة. وهي ليست أناجيل حقيقية، ولكنها ترجمات لم يكتبها المسيح عيسى عليه السلام، ولا من كان معه، ولكن من الذين تبعوهم لاحقًا. وقد كتبت تلك الكتب بعدة لغات، عبر العصور، فتغيرت معانيها ومفرداتها وتفسيراتها، ونتيجة لذلك؛ تعددت حتى الكنائس كمرجعيات مختلفة. وحتى تلك اللغات ليست اللغات القديمة التي كتبت بها الأناجيل، حيث كانت اللغة الآرامية هي اللغة المستخدمة في الماضي، ولكن الكتب الدينية اليهودية والنصرانية المعاصرة مكتوبة بلغات حديثة ظهرت مع الدولة العرقية المنبثقة من اللغة اللاتينية،

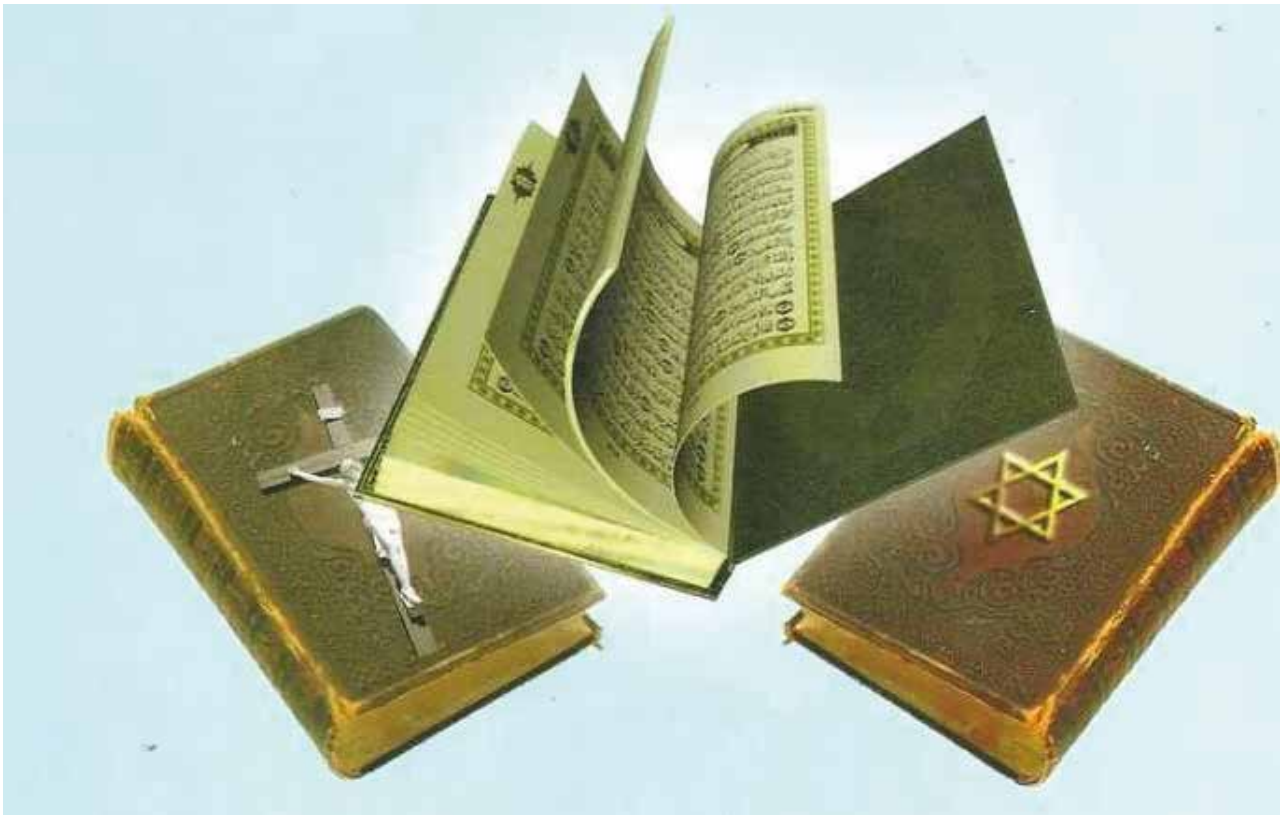

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

وهي لغات عرقية حديثة لا ترتبط بالدين النصراني، والإنجيل الذي يستخدمونه عبارة عن ترجمات إلى اللغات الحديثة، وليس حقيقيًّا وفق اللغة التي نزل بها على عيسى -عليه السلام-، في صورته الأولى ولغته الأصلية. وكل ما يقرؤونه الآن على أنه إنجيل، هو ترجمات للإنجيل الأصلي، ثم إن الغرب المعاصر تبنوا الدين النصراني من بقايا الدولة الرومانية، التي تبنت الدين النصراني لتوحيد الإمبراطورية، بعد أن حرفته وأضافت عليه بعض الرموز الرومانية، ليخدم مصالحها وسياساتها ورموزها السياسية، ومنها الرسوم والتماثيل التي وضعوها في الديانة المسيحية لخدمة الإمبراطور والإمبراطورية، كما تشير إلى ذلك المصادر الكنسية نفسها؛ لهذا فلغاتهم علمانية وقومية وعرقية عنصرية مرتبطة بالقوميات الأوروبية المختلفة التي ينتسبون إليها، كما أن تلك اللغات عبارة عن لهجات من لهجات اللاتينية ثم انفصلت كل لهجة مكونة لغة خاصة، وضعوا لها قواعدها ونظامها اللغوي؛ لهذا تتشابه اللغات الأوروبية في حروفها اللاتينية وفي مصادر كلماتها والتي غالبًا ما يعيدونها لأصلها اللاتيني، وهي تختلف في النطق، كما أنهم يطورون فيها ويحسنونها وفق المتغيرات التي تطرأ. وهي لغات تنقصها الأصوات اللغوية والحروف. ما يضطرهم إلى تركيب الحروف لتشكل بعض الأصوات، ولا يتفق فيها المنطوق مع المكتوب في كثير من كلماتها وقد جاء القرآن ليصحح كثيرًا من السرديات والروايات والتشريعات التي نسبت للنصرانية واليهودية التي أضيفت من قبل الأتباع الذين أصلوها وجعلوها جزءًا من الدين.

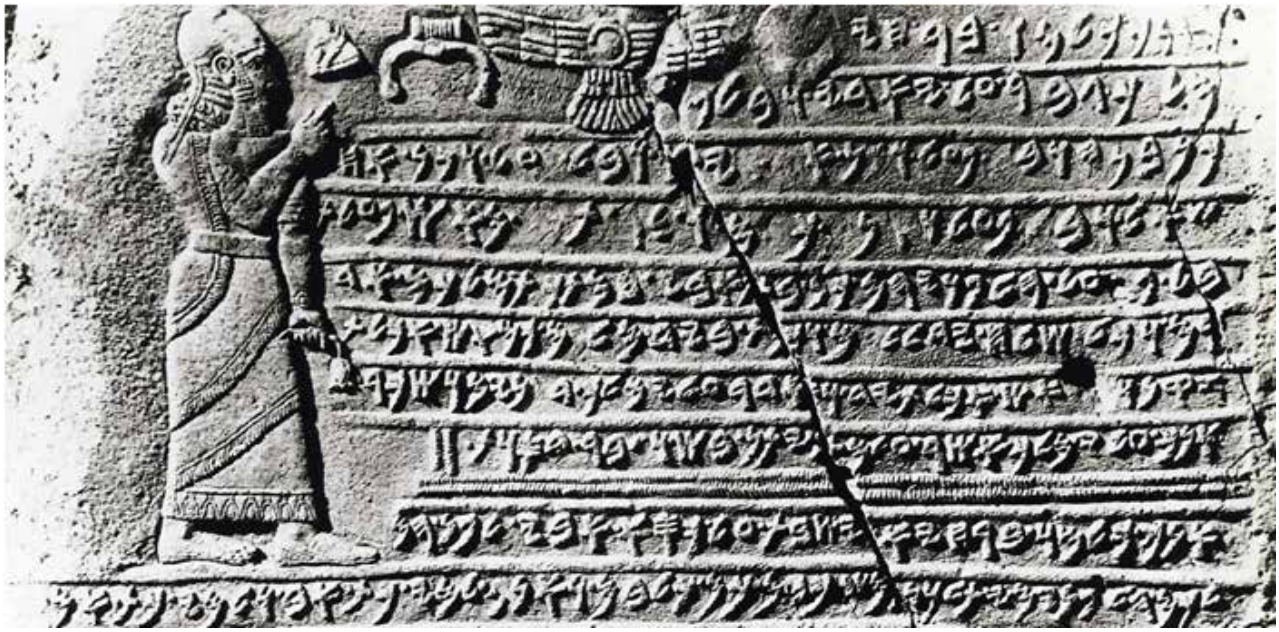

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

ويجب التأكيد على أن الأصل في العبادة هو الإسلام وتوحيد العبادة لله وحده لا شريك له. فالرسل والأنبياء مسلمون جميعًا لله، وفي مقدمتهم آدم ونوح عليهما السلام، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (71) فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (72) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (73)﴾ سورة يونس.

كما ورد في عدد من الآيات الكريمة التصحيح لمن لا يعلم أن الأصل في الدين الإسلام، وأن الشرائع جميعها التي أتت مع الرسل والأنبياء مرتبطة بالإسلام بصفته هو الأساس، قال تعالى: قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18) إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (20)﴾ سورة آل عمران.

كما أن الدين الوحيد الذي جاء به الأنبياء جميعًا باختلاف شرائعهم ورسالاتهم هو الدين الإسلامي، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18) إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19)﴾ سورة آل عمران. كما قال تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (84) وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85)﴾ سورة آل عمران. ولعل من أهم الموضوعات المطروحة التي تحدث عنها القرآن الكريم بوضوح تام، تصحيح الجدل عن دين إبراهيم، وانتساب الشرائع اليهودية والنصرانية له، إذ أكد القرآن أنه لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا، ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين. كما أن بقية الأنبياء والرسل مسلمون لله كما أورد القرآن الكريم في عدد من الآيات الكريمة،

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (62) فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (63) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65) هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (68) وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (69) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (70)﴾ سورة آل عمران. وقال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133)﴾ سورة البقرة. وقوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136)﴾ سورة البقرة. وقال تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (84)﴾ سورة آل عمران.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (46)﴾ سورة العنكبوت.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(66) تميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات الأجنبية

لم يستوعب أغلب العلماء من الغربيين أهمية اللغة العربية، ولم يعلموا أنها مختلفة تمامًا عن لغاتهم وقواعدها وتاريخها، فالعربية ترتبط بكتاب سماوي، ودين سماوي، ورسول مرسل إلى الناس كافة، وإلى مكان مقدس هو الكعبة منذ نشأتها، ولم يتعلمها علماء الغرب بشكل صحيح، وهم يبحثون عنها بلغاتهم، وليس باللغة العربية التي يجب أن يتمكنوا منها قبل الحديث عنها، ثم يعتمدون على كتابات غربية لباحثين أوروبيين أو عرب منحازين سياسيًّا ودينيًّا وثقافيًّا لمجتمعاتهم وحكوماتهم ودولهم؛ لهذا هناك ضعف في الفهم الحقيقي للغة العربية ومكانتها وتاريخها، ولا نجد إلى الآن عالمًا أوروبيًّا يتقن العربية، ويتحدث بها ويؤلف عنها كما يؤلف كثير من اللسانيين العرب المتمكنين من لغتهم العربية وتاريخها وعلومها ومن اللغة الأجنبية، أمثال إدوارد سعيد، وأمين معلوف الذي انتخب أمينًا عامًّا للأكاديمية الفرنسية (مجمع اللغة الفرنسية)؛ لهذا يحاول الكثير معاملة اللغة العربية على أنها لغة عرقية، كما تُعامَل اللغات الأوروبية. وهذا إسقاط غير صحيح، حتى من المختصين في الأدب العربي من العرب المتعلمين في مدارس غربية أو متتلمذين على مناهج ومقررات غربية جعلتهم ينظرون إلى العربية بصفتها لغة عرقية وحديثة مثل لغات الغرب، ويجب أن تعامل بالمعاملة نفسها، وقد ذهب البعض منهم إلى المطالبة بتغيير الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني. وهناك مدارس ونظريات غربية في اللسانيات لم تستوعب اللغة العربية؛ لأنها ليست متخصصة فيها، وتحاول أن تتعامل مع اللغة العربية من منظور اللغات الغربية المنبثقة من اللاتينية؛ لهذا ينادي البعض باعتماد المرجع الأوروبي للغات، ولا علاقة للعربية باللغات الأوروبية.

كما أن ضعف علماء العربية من المتأخرين وغير القادرين على عمل الدراسات اللسانية المعمقة التي تحاكي اللغات جميعها منطلقة من اللغة العربية وتاريخها الطويل، جعل الكثيرين يتنافسون في محاربة اللغة العربية، ولا سيما من العرب وغير العرب المتعلمين في الغرب ومدارسه اللسانية. إن ضعفهم في اللغة العربية وقواعدها وتاريخها اللغوي ليس دليلًا على ضعف العربية، ولكنه دليل على ضعفهم، وعدم قدرتهم على التعمق في الدراسات اللغوية العربية، ومقارنتها بلغات العالم المختلفة، فلا توجد مراكز لغوية عربية متخصصة في اللغة العربية تبحث فيها باستمرار واستدامة، ولكنها غالبًا مراكز لتخريج الطلاب في العربية

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

لنيل الشهادات العليا دون أن تكون مراكز وأقسامًا لغوية متخصصة في البحث في قضايا وموضوعات اللغة العربية المعمقة، ومقارنتها بغيرها من اللغات. كما أن مجامع اللغة العربية غير مؤهلة لخدمة اللغة العربية لأسباب سياسية ونظامية وإدارية وعلمية وثقافية، تعود في غالبها إلى قرار نشأتها ومنهجية عملها وأهدافها، وحدود صلاحياتها ومسؤولياتها، وضعف علاقتها بأنظمة وأجهزة الدولة المختلفة.

ومن المؤكد أن هناك دولًا استعمارية مهيمنة لها سياسات خفية، ومدارس ومراكز غربية، ويوجد خبراء عرب يعملون على هدم العربية من الداخل باسم اللغة الأم، الممثلة في العامية، ولهذه المدارس والمراكز والسياسات أتباع عرب يعملون لصالح تلك المؤسسات، بل إن بعضهم يعملون موظفين من الخارج، وتوظفهم جامعات عربية وأجنبية ودولية للمطالبة بالتعليم باللهجات العامية، وباللغة الأجنبية، مع تأكيدهم المستمر على أن أكبر مشكلة تواجه اللغة العربية هي القواعد، ولكل لغة سواء أجنبية أم عالمية قواعد، لا يمكن أن تدرس دونها، فلماذا اللغة العربية يجب أن تعلم دون قواعد؟ وبمَ يسمى الانغماس في اللهجات العامية التي تتحدث بها المجتمعات العربية؟ هذه حركة كبيرة مدعومة بسياسات أجنبية، تعمل على هدم اللغة العربية من داخل المؤسسات الحكومية والأهلية العربية والإسلامية.

(67) تأسيس جامعة الدول العربية (22 مارس 1945)

لقد كان لتأسيس جامعة الدول العربية ومقرها القاهرة بجمهورية مصر العربية في 22 مارس 1445هـ، الأثر الكبير في دعم الهوية واللغة العربية، التي يعتمد عليها العرب في التواصل والتكامل والتضامن العربي بين المجتمعات العربية والدول العربية ومؤسساتها المختلفة، وقد استمدت جامعة الدول العربية هويتها واسمها من اللغة العربية والعروبة، لأنها لغة غير عرقية، وتعد رمزًا للهوية بصفتها من الهويات الكبرى التي اكتسبها العرب من خلال اللغة العربية الموحدة والجامعة عبر آلاف السنين (مثلها مثل هوية الإسلام)، والتي آخت ووحدت وألفت وساوت بينهم، بل وربطتهم برابط الأخوة العربية الذي تستمده من شرف الرسل والأنبياء والقرآن والبيت العتيق، وهذا الشرف لا يوجد لأي قومية أو عرقية، أو لغة مهما كانت لأن هذا التكريم للعربية يعد تكريمًا ربانيًا حظيت به مقارنة بغيرها من اللغات.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

لهذا شكلت اللغة العربية القاعدة الأساسية التي تبنى عليها السياسات والخطط والمشاريع العربية. ولولا اللغة العربية لما وجد هذا التكتل السياسي الذي يعد واحدًا من أهم الكيانات العالمية التي تشكلت لخدمة مجتمعات تجمعها الكثير من القيم والتاريخ والدين واللغة والأنظمة الاجتماعية، والأخلاقيات والقيم النبيلة التي تفتقد إليها الكثير من المجتمعات في العالم، والتي تعزز التواصل بين مكونات المجتمعات العربية المتنوعة. وقد كان لجامعة الدول العربية الدور الأكبر في أن تكون اللغة العربية من بين اللغات الست في الأمم المتحدة،

بيان
عن اجتماع ملوك العرب ورؤسائهم وأمرائهم

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

ولهذا فإن جميع المنظمات التابعة لجامعة الدول العربية تعتمد اللغة العربية بصفتها اللغة الرسمية لأعمالها ومؤتمراتها وندواتها جميعها. وتمثل الجامعة ضمانة للدول العربية لاستمرار تكاملها وتعاونها السياسي والعسكري والأمني والاقتصادي والتجاري والعلمي والصناعي والثقافي والفني والرياضي وغيرها من مجالات التعاون والتكامل العربي المشترك.

(68) اللغة العربية في الأمم المتحدة ومنظماتها (18 ديسمبر 1973)

تأسست منظمة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية بتاريخ 24 أكتوبر 1945م في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية، وقد اعتُمِدت اللغة العربية في 18 ديسمبر 1973م ضمن اللغات الست الرسمية في الأمم المتحدة، وذلك لأهميتها وتاريخها الطويل، وعلاقتها بالحضارات والأمم والشعوب المختلفة؛ ولأنها تشكل ركيزة أساسية في الثقافة العالمية، ويتحدثها أكثر من أربعمئة مليون عربي في 22 دولة عربية، وهي لغة لأكثر من ثلاثمئة مليون عربي يسكنون في الدول المجاورة للدول العربية، علاوة على أنها لغة ثانية لأكثر من ملياري مسلم لأنها لغة الإسلام، ولا يمكن التعبد والصلاة وقراءة القرآن إلا بها.

وتعتمد اللغة العربية كلغة رسمية في المنظمات التابعة للأمم المتحدة جميعها. علاوة على المنظمات الأخرى مثل الاتحاد الإفريقي، ومنظمة التعاون الإسلامي وغيرها من المنظمات الإقليمية والدولية التي يوجد فيها العرب.

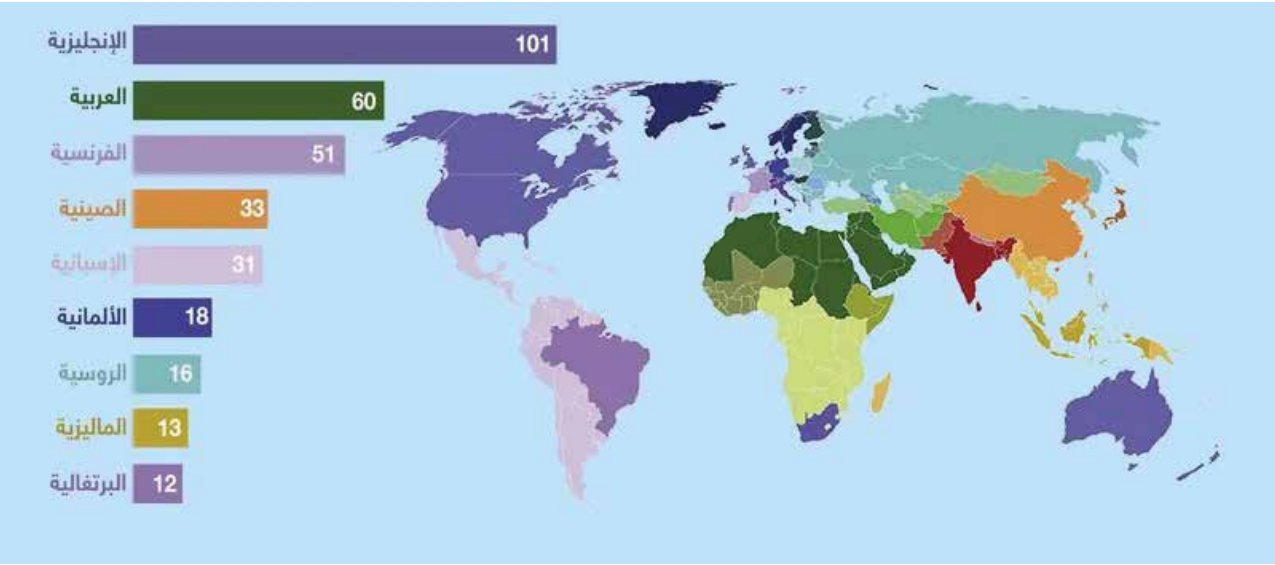

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(69) اللغة العربية في الاتحاد الإفريقي (25 مايو 1963)

يعد الاتحاد الأفريقي الذي تأسس في مدينة أديس أبابا من أهم المنظمات الدولية، وترتبط الدول العربية بالاتحاد الإفريقي علاقة وثيقة، جغرافية وثقافية وتجارية وتاريخية ودينية، واللغة العربية حاضرة بقوة كبيرة في دول الاتحاد الإفريقي، فهي لغة الدول العربية في شمال إفريقيا، ولغة ملايين المتحدثين باللغة العربية ممن ينتسبون إلى قبائل عربية هاجروا عبر آلاف السنين، وكانوا جزءًا من الحجاج والتجار الذين يذهبون ويعودون إلى مكة، وهي لغة للمسلمين وغير المسلمين الأفارقة الذين تربطهم علاقة بالعرب، بل إنها لغة التجارة والثقافة والعلم في بعض ممالك إفريقيا، ومنها مملكة مالي المشهورة بتاريخها الطويل قبل الاستعمار الفرنسي، وتعد مركزًا حضاريًّا وثقافيًّا وتجاريًّا مهمًّا، وتؤكد بعض الدراسات التاريخية أن مملكة مالي سبقت الأوروبيين إلى القارة الأمريكية، حين كانت تسمى الهند الغربية.

وإفريقيا أقرب ثقافيًّا وتجاريًّا ودينيًّا للدول العربية، على الرغم من سطوة الاستعمار الذي جرّف الثقافة الإفريقية وحولها إلى ثقافة مسيحية لتعزيز سيطرته التجارية والاقتصادية والعسكرية والثقافية على إفريقيا.

وتبقى اللغة العربية حاضرة بقوة في إفريقيا، من خلال الاتحاد الإفريقي الذي يولي اللغة العربية أهمية كبيرة، بصفتها اللغة الرسمية في عدد من الدول الأعضاء في الاتحاد. وتوجد اللغة العربية بكثافة في الدول الإسلامية وفي المجتمعات الإسلامية في إفريقيا، التي لديها إرث كبير في خدمة اللغة العربية ونشرها وتعليمها وتعلمها والاعتزاز بها.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(70) اللغة العربية في منظمة التعاون الإسلامي (25 سبتمبر 1969)

في واحدة من أهم المبادرات الإسلامية تم تأسيس منظمة التعاون الإسلامي بتاريخ 25 سبتمبر 1969م والتي تتخذ من مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية مقرًا لها لربط المجتمعات والدول الإسلامية ببعضها، لضمان تعاونها وتكاملها وتنسيق الجهود بينها، لخدمة قضايا الإسلام والمسلمين وغيرها من القضايا الإنسانية حول العالم.

وقد أكد ميثاق المنظمة على أن اللغة الرسمية للمنظمة هي اللغة العربية، إضافة إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية. كما أن المنظمات والهيئات المنبثقة من منظمة التعاون الإسلامي، تهتم بشكل أو بآخر بخدمة لغة القرآن الكريم. وتعمل حسب طاقتها على التعاون مع الدول الأعضاء في مد يد العون في القضايا والموضوعات التي تتعلق بالثقافة الإسلامية، والتي من بينها لغة كلام الله القرآن الكريم ولغة الإسلام. وتحرص منظمة التعاون الإسلامي والمنظمات والهيئات التابعة لها على التعاون مع المنظمات والهيئات التي لها علاقة بعمل المنظمة، ولا سيما التي تتعلق باللغة العربية والدين الإسلامي في مختلف دول العالم. وتشارك في المؤتمرات والندوات والفعاليات التي تتعلق باللغة العربية وبالثقافة الإسلامية.

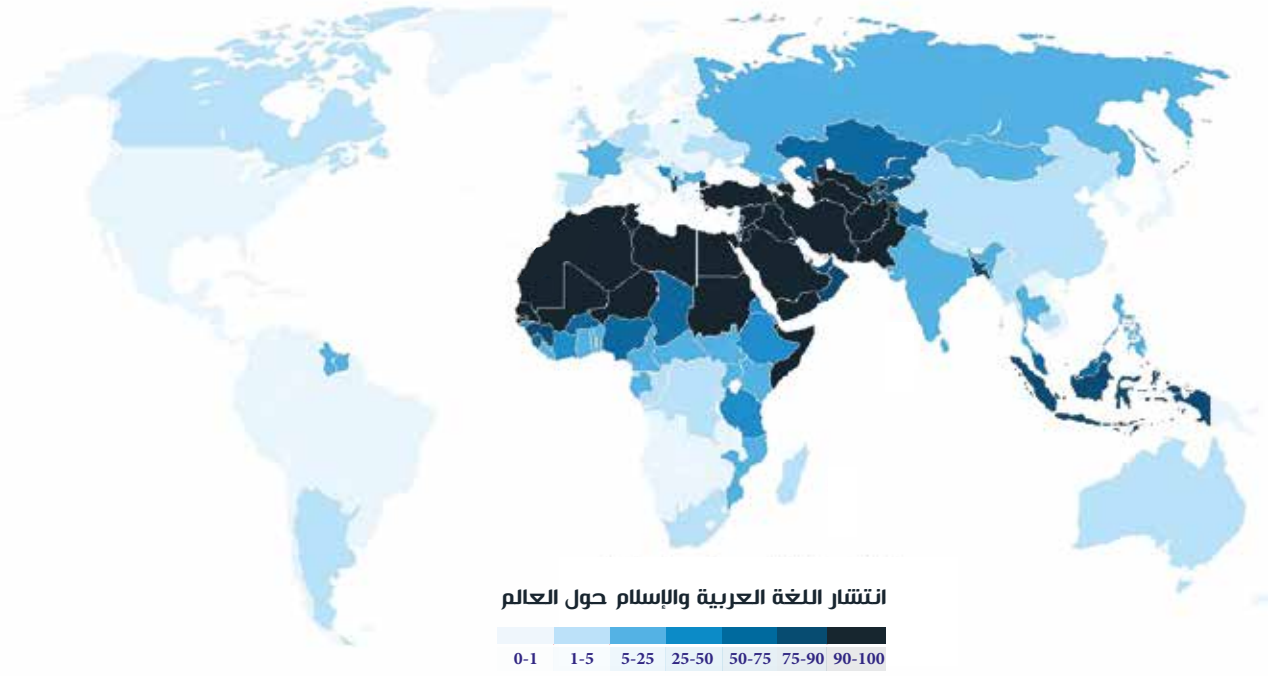

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(71) ماهي المشكلة؟ وما هو الحل للغة التعليم العالي العربي والإسلامي؟

كثيرون في مراكز صناعة القرار في الدول العربية ركزوا على اللغات الأجنبية وشجعوها على حساب اللغة الوطنية اللغة العربية، وهمهم مرتبط بسوق العمل والوظائف المحلية والعربية والدولية، وبالتواصل العلمي مع الدول المتقدمة، واللحاق بالركب الحضاري الدولي، وإذا كانوا يعملون ذلك من أجل تطوير المواطن والوطن، إذا حسنت النوايا عند البعض، غير أنهم وهم يشعرون أو لا يشعرون يستهدفون المواطن والوطن، من خلال إهمال الأمن الوطني واللغوي والهوية والسيادة والاستقلال والوحدة الوطنية وتكافؤ الفرص والعدالة والمساواة بين المواطنين، وإعادة إنتاج المجتمع، وربط الأجيال القادمة بثوابتها ومرجعياتها، وتعزيز ولاء المواطنين لقياداتهم وأنظمتهم ومنظومة قيمهم وثقافتهم الوطنية.

والحقيقة أن اللغة العربية انتشرت في العالم قبل ظهور الإسلام بقرون نتيجة التجارة بين مكة والجهات التي تعاملت معها شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا، واستوطنت مع المتحدثين بها في مناطق عيشهم وبلدانهم المختلفة، وذلك لتميز العربية على لغاتهم وارتباطها بمصالحهم، وشارك في هذا الحراك التجاري اليهودي والنصراني والوثني وغيرهم من أصحاب الديانات والملل المختلفة. وجاء الإسلام ليعتمدها لغة للقرآن والعبادة بأمر رباني، لما تتميز به من وضوح وبيان وفصاحة وقدرة على استيعاب المتغيرات وتفسير الظواهر والمكونات والكائنات الكونية المختلفة، وإضافة إلى كونها لغة الدين الإسلامي الذي أضاف لها مهمة ووظيفة مثل غيرها من اللغات، غير أنها لغة الدولة والحكم والإدارة والتجارة والاقتصاد والعلم والثقافة والدبلوماسية والابتكار للكثير من التخصصات والعلوم التي كانت بدوافع دينية حث عليها الإسلام الذي يعتمد المنهج العلمي في البحث والتقصي والوصول إلى الحقائق، والذي شجع على التفكير والتدبر والتأمل والتمحيص حتى في معرفة أنفسنا ووظائف أعضائنا وأجسادنا أولاً، وثانيًا لمعرفة المخلوقات والنعم أو الثروات والمصالح، ونقوم بدورنا في إعمار الأرض، وليس استعمارها، واستنزافها، وهدر مواردها وثرواتها، والإخلال بالميزان الذي يربط مكونات الكون ببعضها. وقد أوجب الإسلام تعليم اللسان العربي وتوظيفه في جميع شؤون الحياة ومنها الدين. واللغة العربية ليست محصورة في الدين، على الرغم من أن نشأتها كانت نتيجة الدين

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

والتجارة في مكة، ولكنها لغة الحياة المرتبطة بالأعمال والتعاملات وبالمستجدات والصناعات والمبتكرات، وهي مثل جميع اللغات في الدول المتقدمة، بل تتفوق عليها بشهادة علماء الغرب أنفسهم كما سبق ذكره في الشهادات التي أوردناها، وقد حظيت العربية بمكانة عالمية في العهد العربي الإسلامي، حتى جاء الحكم العثماني، الذي أبعدها من الحياة والعمل وحولها إلى لغة للدين فقط، بينما جعلوا اللغة التركية الضعيفة مقارنة بالعربية لغة السياسة والسيادة والحكم والإدارة والتجارة والاقتصاد وغيرها، وذلك لأسباب سياسية ترغب في إضعاف العرب، وتجهيلهم، وإبعادهم من التفكير ببناء قوة تسمح لهم بالعودة للحكم والقيادة من جديد، وقد تزامن هذا مع إسقاط الحضارة العربية الإسلامية آسيا الوسطى التي شهدت تطورًا حضاريًا هائلاً، ولا تزال آثار وأمجاد تلك المراكز العلمية المنسية، شاهدة في سمرقند وطشقند وغيرها من المراكز حتى يومنا هذا. وبعد أكثر من 400 عام من التجهيل والقمع للعرب والمسلمين من قبل العثمانيين، جاء الاستعمار الغربي، ليعمق سياسة التجهيل والإقصاء للعرب والمسلمين ويحارب كل ما يتعلق باللغة العربية، ويفرض لغاته وأنظمته، ويعمل على طمس كل ما يتعلق بالعربية من مؤسسات دينية أو تعليمية، وغيرها. كما تحدث عن ذلك ميشيل كولون وغيره كثيرون من الشهود على تلك السياسات العمياء. وبعد أن تعلم الغرب من العربية كل العلوم في الأندلس، أراد حصرها في الدين فقط، وعدم ربطها بالعلم وبشؤون الحياة المختلفة، وذلك استمرارًا للسياسة العثمانية التي حصرت العربية في الدين فقط، مع أن محاولات متأخرة في العهد العثماني كانت تحاول إحلال العربية بالتركية حتى في الدين. لقد كانت العربية هي سبب النهضة في العصور العربية الإسلامية، وكانت لغة الدولة حين كان الحاكم العربي المسلم أول من يحث عليها ويعمل بها في دواوينه وإدارة حكمه، ويقدم العلماء ويجزل لهم العطاء والجوائز نتيجة الاهتمام بالعربية، وربطها بجميع العلوم والمعارف التي أبدعوا فيها وقدموها للعالم، ولا تزال تلك العلوم حتى يومنا هذا مرجعًا للكثير من العلوم والمعارف والاختراعات والاكتشافات ومنها الخوارزميات والفلك والطب والهندسة وغيرها كثير. ولكن أين المشكلة اليوم؟ إنها مشكلة النخبة العربية والمسلمة التي تعلمت في الغرب أو في مؤسسات غربية وتحولت إلى نخبة مناهضة للعربية ومناصرة للأجنبية، لأسباب غير مقنعة، ولكن أهمها هو عدم فهمهم لأهمية اللغة الوطنية العربية، وتحميل اللغة التخلف الذي هم

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

فيه، ونسوا أنفسهم بأنهم هم أسباب تخلف العربية وفصلها عن جميع شؤون الحياة، ويكرسون سياسة العثمانيين والمستعمرين في فصل اللغة العربية عن الدولة وعن مؤسساتها المختلفة. ولهذا فإن أكبر أزمة تواجه اللغة العربية هي الأساتذة والإداريين وصناع القرار والأسرة، الذين حكموا على اللغة العربية بعدم صلاحيتها للحياة، لارتباط مصالحهم باللغات الأجنبية، بحسن نية وسوء فهم من البعض، وبسوء نية وتخطيط من البعض الآخر. وذلك نتيجة غياب سياسات تعلمية مرتبطة باستراتيجيات وخطط وطنية مركزية تجعل من اللغة العربية لغة للتعليم والحكم وسوق العمل والإدارة والإنتاج والتطور والابتكار والتصنيع والتجارة والاقتصاد، والأمن والسياسة والدبلوماسية والثقافة والتواصل مع العالم. والعربية ليست لغة طارئة، ولكنها لغة لها تاريخها العميق والطويل، والحقيقة أن أكبر مشاكل اللغة العربية هي ضعف النخبة العربية في اللغتين العربية والأجنبية. ولهذا توجد إشكالية لا حل لها لأن النخبة المتعصبة للغة الأجنبية محدودة التفكير لارتباط تفكيرها بالمكتسبات الشخصية والمصالح الخاصة على حساب المصالح العليا والاستراتيجية للمواطن والأسرة والمجتمع والدولة. الغالبية من خريجي الجامعات الغربية من أبناء وبنات العرب والمسلمين لا يعرفون من اللغة الأجنبية إلا لغة التواصل فقط،

> والحقيقة أن اللغة العربية انتشرت في العالم قبل ظهور الإسلام بقرون نتيجة التجارة بين مكة والجهات التي تعاملت معها شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا، واستوطنت مع المتحدثين بها في مناطق عيشهم وبلدانهم المختلفة، وذلك لتميز العربية على لغاتهم وارتباطها بمصالحهم، وشارك في هذا الحراك التجاري اليهودي والنصراني والوثني وغيرهم من أصحاب الديانات والملل المختلفة. وجاء الإسلام ليعتمدها لغة للقرآن والعبادة بأمر رباني، لما تتميز به من وضوح وبيان وفصاحة وقدرة على استيعاب المتغيرات وتفسير الظواهر والمكونات والكائنات الكونية المختلفة، وإضافة إلى كونها لغة الدين الإسلامي الذي أضاف لها مهمة ووظيفة مثل غيرها من اللغات

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

ولا يستطيعون أن يتحروا خطابًا أو يكتبوا تقريرًا أو بحثًا أو دراسةً أو يترجموا مقالة علمية سواء إلى لغتهم العربية أو اللغات الأجنبية. لأن لغتهم لغة تخاطب فقط، ولهذا فالطلاب الذين يدرسون باللغات الأجنبية يعانون من ضعف لغوي نتيجة سوء إعدادهم لغويًا، ولضعف أساتذتهم، والنتيجة مخرجات ضعيفة. والحقية أن لغة النخبة لا تتعدى لغة العمالة الوافدة التي تعمل في القطاعات الخدمية المختلفة، والكثير من الصادقين من النخبة من الأطباء والمهندسين والمتخصصين في علوم مختلفة يعترفون بهذا. لهذا يجب إعادة النظر في لغة التعليم وخاصة في التعليم العالي قبل التعليم العام، وعدم تكريس التبعية للسياسات العثمانية والاستعمارية، وعلى كل متخصص لديه ضعف في اللغة العربية أو اللغة الأجنبية أن يتعلم، ويواصل تطوير مهاراته وقدراته اللغوية، بصفتها من متطلبات الوظيفة والعمل في التعليم، كما يجب التركيز على الترجمة والقراءة لأهداف التواصل العلمي، مع التذكير بأن أبحاث الجامعات لا ترقى إلى المستوى الذي يجعلها مؤشرًا للتطور العلمي والمعرفي في جامعاتنا العربية والإسلامية، لأنها جميعًا أبحاث للترقيات الوظيفية ولا يستفاد منها في أي مجال علمي، وتنتهي قيمتها العلمية بنهاية الترقية، وهذه الأبحاث عبارة عن "النفايات البحثية الاستهلاكية"،

أكثر العلل تأتي من الجامعات والنخب التي تعيش حالة من التغريب والعداء للعربية، دون مبرر علمي حقيقي، سوى أنهم مختصون في تخصصات غير اللغة العربية، دون فهم لمكانة العربية، فهي لغة وهوية وسياسة ودين ونظام وإدارة وعمل وتعليم وسيادة واستقلال ومرجعيات وثقافة وأمن وطني ولغوي، وغيرها من الموضوعات التي لا يعرفها السواد الأعظم من الذين يتسنمون الجامعات العربية والإسلامية؛ لهذا نقول بوضوح تام، ألستم تتعلمون اللغة الأجنبية بهدف التواصل العلمي، والاطلاع على أحدث المستجدات في التخصصات المختلفة، حتى صرتم تحصلون على شهادتها من الخارج في دينكم ولغتكم، بحجة اكتساب اللغة كما تقولون؟

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

التي لا تصلح لأي شيء، لأنها لا ترتبط بالتطور العلمي والمعرفي، وليس لها لا تأثير ولا أثر. وبناء على ما تقدم أوصي بما يلي:

أولًا: حل مشكلة لغة التعليم في التعليم العالي العربي والإسلامي:

أكثر العلل تأتي من الجامعات والنخب التي تعيش حالة من التغريب والعداء للعربية، دون مبرر علمي حقيقي، سوى أنهم مختصون في تخصصات غير اللغة العربية، دون فهم لمكانة العربية، فهي لغة وهوية وسياسة ودين ونظام وإدارة وعمل وتعليم وسيادة واستقلال ومرجعيات وثقافة وأمن وطني ولغوي، وغيرها من الموضوعات التي لا يعرفها السواد الأعظم من الذين يتسنمون الجامعات العربية والإسلامية؛ لهذا نقول بوضوح تام، ألستم تتعلمون اللغة الأجنبية بهدف التواصل العلمي، والاطلاع على أحدث المستجدات في التخصصات المختلفة، حتى صرتم تحصلون على شهادتها من الخارج في دينكم ولغتكم، بحجة اكتساب اللغة كما تقولون؟ باختصار مفيد، لن نسأل، كم يترجم في جامعاتنا العربية والإسلامية؟ وماذا ترجم في الجامعات؟ ومن يترجم؟ وما هو المستوى اللغوي الأجنبي وحتى العربي لدى أنصار اللغات الأجنبية؟ وكم مقالة يكتب المتعصب للغة الأجنبية باللغة الأجنبية في حياته إذا تمكن من ذلك البعض دون مساعدة خارجية؟ وكم مقالة علمية باللغة الأجنبية يطلع عليها سنويًّا بهدف التواصل العلمي؟ الإجابة على هذه كله بالسالب، والإحصاءات والسير الذاتية، نعم السير الذاتية، تؤكد ذلك.

ثانيًا، لماذا هذا الركض خلف التصنيف للجامعات والمجلات العلمية، وهي شركات تجارية؟

لو أخذنا مثلًا QS وهو من أشهر معايير التصنيف، لا تشارك فيه الجامعات الغربية بجدية، وأكثر الجامعات المشاركة من دول العالم الثالث، والأغلبية في العالم لا تشارك فيه، وهم يضطرون بوضع جامعات عالمية في المقدمة للتسويق والإقناع، وهناك مسائل أخرى تتعلق بالمعايير وكيفية قياسها، وقس على ذلك بقية المعايير التجارية التي لا علاقة لها بالطالب والمنهج، ولا بمحتوى البحث العلمي، والبطالة والتنمية وجودة الحياة، لأنها لا تملك القدرة على تحكيم هذه الأبحاث والحكم على محتواها، وتترك المجلات المشتركة فقط تحكم تلك الأبحاث، الأكثر من هذا الاستشهاد، ما قيمة الاستشهاد؟

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

حتى لو وصل الاستشهاد ملايين البشر، فهناك حسابات غير صحيحة، وهي شبيهة بمواقع التأثير في مواقع التواصل. أصبح للتصنيف عقدان من الزمان ولم نرَ جامعة حققت سوى الصوت والرقم فقط، ولم نرَ تغييرًا في القاعة الدراسية، ووصل الحد بعض الجامعات التي تتقدم في التصنيف أن تطلق ألعابًا نارية، وهذا دليل على ضعف مستوى الوعي بهذه المعايير التي أصبحت غاية لا وسيلة، والحقيقة أن الواقع لم يقدم، وهناك مكاتب مكلفة في الجامعات مخصصة للتصنيف، ولو كان هذا للتقييم والتدريب الداخلي ومراجعة سير العملية التعليمية، لحدثت قفزات هائلة في كل جامعة، بدلًا من الانخراط في مشاريع لا تخدم التنمية ولا تعالج قضايا البطالة، ولا تحقق التطور العلمي والمعرفي، ولا تسهم في الاقتصاد المعرفي، وهناك أمور تتعلق بالصرف الهائل على الخبراء الذين يعملون مع الجامعات لتزوير الحقائق والوثائق، وتوجد قصص كثيرة تتعلق بالفساد الأكاديمي في أشكال مختلفة. ثم ماذا بعد التقدم والتأخر في التصنيف، لعلة تقدم وتأخر، إلى متى دون أي تأثير على مستوى كفاءة مخرجات الجامعات في سوق العمل؟ لماذا لا تقيسُ هذه المعايير مثل هذه الحالات المهمة؟ والسؤال كيف يمكن معالجة وضع الجامعات العربية والإسلامية اللغوي؟ نقترح الآتي:

1. أن تعمل الأقسام العلمية على ترجمة الكتب الرئيسة في التخصصات وتتشارك بينها، فالمراجع العامة ليست كثيرة في كل تخصص علمي دقيق، وتُغيّر كل عام ولكن بعد كل مدة زمنية، وبالتأكيد لن نجد من يترجم إلا قلة من أهل الاختصاص كل في تخصصه، على الرغم من حصولهم على شهادات عليا من جامعات غربية. ولكن تضافر الجهود سوف يحل المشكلة.
2. ترجمة المقالات العلمية في حدود 30 صفحة من المجلات المهمة في تخصصاتهم، وأشك أيضًا في قدرة الأكثرية على الترجمة للمقالات، ولكن الحل يكون بالعمل الجماعي التكاملي بين الأساتذة والمختصين في الأقسام الشبيهة.
3. التعليم باللغة العربية دون خوف أو وجل، ومن يستمر في المكابرة والمزايدة أن اللغة الأجنبية هي الحل فلا مانع، شرط أن يحصل الأساتذة في القسم والتخصص على شهادة اجتياز اختبار كفاءة في اللغة التي يدرسون بها، وأيضًا يجب أن يحصل الطلاب على ما يثبت معرفتهم للغة الأجنبية، وذلك بالحصول على الاختبار نفسه، وهذا

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

الاختبار، تطالب به وتعتمده الجامعات الغربية، وليس للتعجيز أو للتحدي، ولكن النظم التعليمية لا سيما الغربية تعتمد الكفاءة اللغوية في الأساتذة والطلاب في برامجها.

4 لمعالجة ضعف الطلاب في التخصصات جميعها في اللغة الأجنبية في الجامعات العربية والإسلامية نقترح حلًّا بسيطًا جدًّا وعمليًّا، وهو كما يلي:يوضع برنامج عبارة عن دبلوم مكون من 32 ساعة جامعية بما يعادل 512 ساعة دراسية فعلية يدرسها الطالب خلال 4 سنوات، في أثناء الدراسة الجامعية، بحيث يسجل الطالب كل فصل دراسي 4 ساعات جامعية ويدرس فعليا 64 ساعة. وهكذا يكون لدى الطالب الوقت الكافي للغة الأجنبية، وبنهاية الدراسة وحصوله على الشهادة الجامعية يكون قد أتم الدبلوم، وحصل على اختبار الكفاءة في اللغة الأجنبية. وأصبح مؤهلًا لغويًّا للتواصل العلمي والعمل باللغة الأجنبية، وبهذا تتم المحافظة على اللغة العربية، وعلى المواطنين الذين يجب أن يتعلموا بلغتهم الوطنية. هذا الدبلوم يُجرى خلال ثمانية فصول دراسية، وسوف يتقن الطالب اللغة الأجنبية، ويتدرب عليها في أوقات فراغه المختلفة، ويتخرج بشكل متفوق؛ لأنه درس بلغته الوطنية.سوف يُحافظ على العلاقة بين اللغة العربية والعلوم والمختلفة، وتجسير الفجوة بين اللغة العربية في مجال المصطلحات والمفاهيم المحدودة.

(72) الجامعة الوطنية

عند عدم تبني الدبلوم اللغوي للغة الأجنبية، نقترح تأسيس الجامعة الوطنية (الأنموذج)، حيث تكون هناك جامعة واحدة على الأقل تعلم باللغة الوطنية في جميع التخصصات العلمية والطبية والهندسية والإنسانية والاجتماعية كنموذج مستقل يستفاد منه في ربط اللغة الوطنية بالتعليم العالي في جميع التخصصات العلمية، ونجزم بتفوق هذا النموذج على نموذج الجامعات التي تدرس باللغة الأجنبية. وهذه الجامعة سوف تقوم بتعليم اللغة الأجنبية من خلال الدبلوم الذي يجب أن يدرسه الطالب على مدار 8 فصول دراسية، وبعد الحصول على الدبلوم يستطيع الطالب التقدم لإختبار الكفاءة باللغة الأجنبية، وهذا أحد أهم الشروط لاستلام الطالب للشهادة الجامعية، وبموجب هذا النظام تحل عدة مشكلات، ومنها التدريس باللغة الوطنية، والترجمة، وتعلم اللغة الأجنبية، مع التأكيد على أن اصلاح الجامعات العربية

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

والإسلامية هو بداية معالجة العقول العربية والإسلامية المعادية للغة العربية حتى تتمسك بهويتها وأوطانها وقياداتها وسيادتها واستقلالها وأمنها ووحدتها الوطنية.

(73) دبلوم اللغة الأجنبية أو اللغة العربية في الجامعات العربية والإسلامية

لمعالجة مسألة اللغة العربية في الدول الإسلامية واللغة الأجنبية في الدول الإسلامية، لا يمكن التضحية باللغة العربية لأسباب مادية تتعلق بسوق العمل والوظيفة والتواصل العلمي غير الموجودة بسبب غياب الترجمة، ولعدم قدرة الأساتذة والباحثين على قراءة ما يستجد من دراسات وأبحاث ومقالات في المجلات الأجنبية، وبالتالي، يكون الضحية الوطن والمواطن والطالب والأستاذ. الطالب الذي يدخل الجامعة يدرس باللغة الأجنبية يقضي عامًا كاملاً يدرس اللغة الإنجليزية ثم لا يتقنها وخاصة أن معها مواد أخرى في السنة التحضيرية، ثم بعدها يدخل التخصص، وعلى الرغم من قضاء الطالب سنة في تعلم اللغة الأجنبية فإنها لغة تواصلية لا تسمح له بالتعلم باللغة الأجنبية، فلم يدرس بها من قبل، وبالتالي لن يستطيع فهم المادة العلمية التفكير باللغة الجنبية والإبداع بها، ومستوى الطالب اللغوي في هذه المرحلة مثل العمالة الأجنبية في اللغة الأجنبية في قطاع الخدمات، ولهذا نقترح أن يكون التعليم باللغة الوطنية العربية في الدول العربية ،ويقدم برنامجًا للدبلوم بمعدل 32 ساعة جامعية credit hours بحيث يدرسها الطالب في 512 ساعة دراسية فعلية على مدار ثمان فصول دراسية خلال دراسته الجامعية، وفي كل فصل يدرس 4 ساعات جامعية credit hours بما يساوي 32 ساعة دراسية فعلية. وسوف يتطور الطالب خلال السنوات الأربع لغويًا بشكل ممتاز بسبب طول الوقت ووجد فرصًا أوسع للتعلم والتواصل اللغوي، مع استغلال فرص الفراغ لتعلم اللغة بشكل أفضل، وفي نهاية المرحلة الدراسية 4 سنوات يكون قد أنهى مرحلة التخصص، ولا يعطى شهادة التخرج إلا بالحصول على شهادة الكفاءة في اللغة الأجنبية، عندها تتحقق فوائد متعددة، ومنها معرفة اللغة الأجنبية، والمحافظة على اللغة العربية بصفتها لغة وطنية للتعليم، وتحقيق فهم واستيعاب وكفاءة أعلى، وربط اللغة العربية بالعلم والمعرفة، وعدم فصلها عن المجتمع والدولة والثوابت والمرجعيات الوطنية التي تتعلق بالهوية والمواطنة والولاء والانتماء. ونعرض في الصفحتين التاليتين تفصيلاً لتوزيع الساعات لدبلوم اللغة العربية للجامعات الإسلامية، أو دبلوم اللغة الأجنبية في الجامعات العربية.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(74) الخطة الدراسية لدبلوم اللغة العربية واللغة الأجنبية - الجزء الأول

عدد الساعات الدراسية الفعلية في الفصول الدراسية الجامعية حسب الأسبوع والشهر

الفصول الدراسية		الأسابيع				المجموع
		الأول	الثاني	الثالث	الرابع	
الفصل الأول	الشهر الأول	4	4	4	4	16
	الشهر الثاني	4	4	4	4	16
	الشهر الثالث	4	4	4	4	16
	الشهر الرابع	4	4	4	4	16
	المجموع	16	16	16	16	64
الفصل الثاني	الشهر الأول	4	4	4	4	16
	الشهر الثاني	4	4	4	4	16
	الشهر الثالث	4	4	4	4	16
	الشهر الرابع	4	4	4	4	16
	المجموع	16	16	16	16	64
الفصل الثالث	الشهر الأول	4	4	4	4	4
	الشهر الثاني	4	4	4	4	4
	الشهر الثالث	4	4	4	4	4
	الشهر الرابع	4	4	4	4	4
	المجموع	16	16	16	16	64
الفصل الرابع	الشهر الأول	4	4	4	4	4
	الشهر الثاني	4	4	4	4	4
	الشهر الثالث	4	4	4	4	4
	الشهر الرابع	4	4	4	4	4
	المجموع	16	16	16	16	64
المجموع النهائي		-	-	-	-	-

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(75) الخطة الدراسية لدبلوم اللغة العربية واللغة الأجنبية - الجزء الثاني

عدد الساعات الدراسية الفعلية في الفصول الدراسية الجامعية حسب الأسبوع والشهر

الفصول الدراسية		الأسابيع				المجموع
		الأول	الثاني	الثالث	الرابع	
الفصل الخامس	الشهر الأول	4	4	4	4	16
	الشهر الثاني	4	4	4	4	16
	الشهر الثالث	4	4	4	4	16
	الشهر الرابع	4	4	4	4	16
	المجموع	16	16	16	16	64
الفصل السادس	الشهر الأول	4	4	4	4	16
	الشهر الثاني	4	4	4	4	16
	الشهر الثالث	4	4	4	4	16
	الشهر الرابع	4	4	4	4	16
	المجموع	16	16	16	16	64
الفصل السابع	الشهر الأول	4	4	4	4	16
	الشهر الثاني	4	4	4	4	16
	الشهر الثالث	4	4	4	4	16
	الشهر الرابع	4	4	4	4	16
	المجموع	16	16	16	16	64
الفصل الثامن	الشهر الأول	4	4	4	4	16
	الشهر الثاني	4	4	4	4	16
	الشهر الثالث	4	4	4	4	16
	الشهر الرابع	4	4	4	4	16
	المجموع	16	16	16	16	64
المجموع النهائي		-	-	-	-	512

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(76) الترجمة العلمية في مؤسسات التعليم العالي العربية والإسلامية

يجب أن تصبح الترجمة هدفًا أساسيًا من أهداف التعليم العالي والبحث العلمي والترقيات العلمية في الجامعات العربية والإسلامية، وفق الآتي:

- على كل باحث باللغة العربية أن يترجم بحثه إلى اللغة الأجنبية، وأيضًا الباحث باللغة الأجنبية الذي يجب أن يترجم بحثه إلى اللغة العربية، حتى وإن استعان بمترجم خارجي، لإثراء المكتبة العربية وتعزيز البحث العلمي العربي، والتواصل العلمي والحضور الدولي.
- لا تقبل أبحاث الترقية العلمية، إلا إذا كانت أعمال المتقدم مترجمة ترجمة علمية معتمدة وليست ترجمة إلكترونية سواء من (جوجل أو الذكاء الاصطناعي)، وتكون الترجمة باللغتين العربية والأجنبية.
- يجب ترجمة المحاضرات إلكترونيًا أثناء الدروس، عبر تقنية الترجمة الحديثة على شاشات العرض في القاعات الدراسية.
- يجب ترجمة المراجع الأساسية في التخصصات العلمية بالشراكة بين الأقسام العلمية.
- يجب أن تكون الترجمة عنصرًا من عناصر التقييم والترقية العلمية، حتى لو لم يكن المترجم الباحث نفسه، ولكن يستعين بمترجمين، لأن الهدف هو ترجمة المادة العلمية.
- تكلف المجلات العلمية بوضع الترجمة للمقالات العلمية إلى اللغتين ضمن شروط النشر.
- نقترح على الأساتذة في جميع التخصصات القادرين على الترجمة الانخراط في مشاريع الترجمة للأبحاث العلمية في تخصصاتهم التي يقوم بها زملاؤهم باللغات الأجنبية، والعكس، وتحتسب الترجمة ضمن معايير الترقيات العلمية للأساتذة، ويكتب اسم المترجم على البحث المترجم، مع منح مكافأة رمزية.
- لقد أصبحت الترجمة الإلكترونية المباشرة متاحة من خلال المنصات التعليمية العالمية للمقررات العلمية في أهم الجامعات، ويقدمها أفضل الأساتذة في التخصصات المختلفة.

ولهذا نقترح فتح جامعات جديدة أو ربط الجامعات القائمة بتلك الجامعات المتطورة والاعتماد على الترجمة الحديثة في التعليم باللغة الوطنية.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

(77) العرب في الميزان العالمي؟

في الجدول التالي إحصاءات تقديرية لحجم بعض القوى العالمية المؤثرة وغيرها، مقارنة بحجم العرب، بصفتهم قلب العالم، وهذا الموقع الاستراتيجي يؤهلهم للنهضة والتطور والعودة من جديد للقيام بدور إيجابي في خدمة الإنسانية والمحافظة على الكون من العبث البشري.

الدولة	المساحة	السكان	اللغة
الولايات المتحدة	9,833,520	331,449,281	الإنجليزية
الصين	9,597,000	1,409,000,000	الصينية ولغات محلية
روسيا	17,559,555	143,500,000	الروسية ولغات محلية
أوروبا	15,530,000	708,000,000	لغات مختلفة
الدول العربية	13,840,000	461,000,000	العربية والأجنبية والمحلية
اليابان	377,975	124,000,000	اليابانية
كوريا الشمالية	120,540	26,500,000	الكورية
كوريا الجنوبية	100,210	51,057,000	الكورية
فيتنام	331,690	101,000,000	الفيتنامية

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

إن المتأمل في الجدول السابق، يشعر بعظم المسؤولية الملقاة على العرب، للقيام بدور حضاري مميز، وذلك من خلال مؤسسات العمل العربي المشترك، التي يجب عليها الاهتمام بالإحصاءات والموسوعات والأدلة والكتب التي تربط العرب ببعضهم، وتعزز المقارنات والتقارير التشخيصية والتحليلية بين العرب وغيرهم من القوى العالمية، ذلك أن العرب أمة لها وزنها العالمي إحصائيًّا وجغرافيًّا وسكانيًّا ولغويًّا وسياسيًّا ودبلوماسيًّا ودينيًّا واقتصاديًّا وتجاريًّا وصناعيًّا وعسكريًّا وأمنيًّا وتعليميًّا وصحيًّا وتنمويًّا وزراعيًّا وسياحيًّا وثقافيًّا وغيرها مقارنة بالدول العظمى، والعرب يحتلون قلب العالم بين القارات الثلاث، آسيا وإفريقيا وأوروبا، حيث توجد أهم مصادر الطاقة العالمية، والطاقة الروحية الدينية؛ لهذا تركز الأعين على هذا الجزء الحيوي من العالم، الذي تجتمع على محاربته قوى كثيرة، كما أن العرب يواجهون السياسات العالمية الغربية التي تعمل على جعل هذا الإقليم مضطربًا، وغير مستقرًّا، حتى يسهل عليها التدخل والسيطرة والاحتلال، واستغلال خيراته وموارده بالقوة العسكرية،

هذه المنطقة المميزة بمقومات التفوق النوعي كلها، البشري والجغرافي والطبيعي، حيث يتربع العربي على أهم ممرات مائية في العالم، مضيق هرمز، وباب المندب، وقناة السويس، ومضيق جبل طارق. وتطل دولهم على البحر المتوسط، والأحمر، والمحيط الهادي والهندي، وبحر العرب، والخليج العربي.

أمة لها تاريخها ومجدها ولغتها وصولاتها وجولاتها وطموحها وسطوتها وقدرتها على العودة بقوة للمشاركة في الحضارة العالمية بكل اقتدار، ولكن شريطة أن تكون اللغة العربية الموحدة والجامعة هي قضبان القطار التي تسير عليها قطارات التطور والنهضة الشاملة. وهي من كونت للعرب والمسلمين حضارة عالمية؛ لهذا لن يصلح المستقبل إلا بما صلح به الماضي، ولم ولن تكن اللغة العربية إلا القوة الكامنة التي تولد الطاقة والحماس، وتبعث الحياة في محركات التنمية والتطور والازدهار العربي والإسلامي، وهذا رأي علماء الغرب المنصفين، لهذا لابد من التغيير الإيجابي فهو سنة الحياة، كما قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ (11)﴾ سورة الرعد.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

ويجب أن تنشأ قوانين واتفاقات عربية وإسلامية تمنع أي سياسات تضر بالتكامل والتضامن والتعاون الوطني والعربي والإسلامي، وتجرم مشاريع التفكيك والتقسيم والنعرات الطائفية والعرقية والمذهبية التي تصب في مصلحة أعداء العرب والمسلمين، الذين يحاربونهم في المجالات جميعها، ويستخدمون المبررات كلها؛ لإحداث القلاقل والفتن الداخلية، وضرب الأمن والاستقرار والسيادة، ونشر الإرهاب ورعايته وتمويله تحت مسميات وعناوين مختلفة. على أن تكون الدول العربية والإسلامية مسؤولة عن كل ما يعزز الهويتين العربية والإسلامية في المجالات جميعها؛ لأنهما تمثلان الرابطة الروحية واللغوية التي تقوم عليهما المنجزات المختلفة.

(78) الخاتمة

تتمتع اللغات الرسمية في الدول التي لها سيادة واستقلال حقيقي في قراراتها وسياساتها وحكمها وأنظمتها وثقافتها وتعليمها وتجارتها واقتصادها وأسواقها وإعلامها، بوجود تشريعات وسياسات لغوية واضحة وصارمة لا تقبل التفاوض والمساومة على الهوية اللغوية الوطنية مع أي جهة كانت، وتحت أي عنوان. ذلك أن اللغة الوطنية هي الأساس الذي تبنى عليه الدساتير وأنظمة الحكم التي تحدد الهوية، وتتشكل بها المواطنة الصالحة عند المواطنين، ويعتمد عليها الحكم، وإدارة الدولة، وبناء وتنظيم المؤسسات الحكومية والأهلية للدولة. وفق سياسات لغوية حديثة تراعي اللغة الوطنية واللغات الأجنبية.

لهذا لا جدال ولا نقاش حول اللغة الوطنية تحت أي مبرر أو ضرورة، لأن اللغة الوطنية تمثل الهوية، وهي قضية وجود، بل إنها العرض الذي يرتبط بكل مواطن يشعر بالولاء والانتماء لدولته ووطنه الذي منحه هويته، ذلك أنها جزء من تكوين شخصيته وهويته ودينه، واللغة مثل الزي الوطني التقليدي، الذي يدل على هوية مرتديه، فكيف بمن يرتدي اللباس الأجنبي، أليس يسمى لباسًا أجنبيًّا، واللغة كذلك، فمن يتحدث بالأجنبية فهو أجنبي اللسان. وهويته هوية أجنبية، لأن الهوية ليست جواز سفر ولا بطاقة وطنية، ولكنها فكر ولغة وثقافة وانتماء وولاء، وغيرة على الذات والوطن الذي منحنا أن نسكن فيه، وأن ندافع عنه وعن هويته، وكما يقال: "بلد لا نحميه ... لا نستحق العيش فيه".

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

وإذا كان الحديث عن اللغة العربية بصفتها الهوية الرسمية للمواطن العربي والمسلم، والتي حظيت باهتمام وتكريم من الله سبحانه وتعالى، وفضلها على غيرها من اللغات لتكون لغة كلامه (القرآن الكريم)، ولغة العبادة والدين الإسلامي، إضافة إلى كونها لغة كونية، ارتبطت بأول بيت وضع للناس، بآخر رسالة سماوية وآخر رسول وآخر كتاب سماوي، ومن أهم اللغات في العالم، إلا أن الحديث ليس عن اللغة العربية، ولكن عن المنتسبين لها والمتسمين بها، من العرب الذين لديهم سوء فهم نتج عن مشاريع يتعرضون لها، بهدف تجريدهم من هوياتهم وثقافتهم، وتغيير جلودهم ومظاهرهم وأزيائهم وملابسهم وفنونهم وعقولهم وانتماءاتهم وولائهم، بل وأديانهم، باسم اللحاق بالعالم المتقدم علميًّا وصناعيًّا واقتصاديًّا وديمقراطيًّا وليبراليًّا، والحقيقة أن العالم المتقدم لن يسمح لهم بذلك، فالحروب الدائمة في المنطقة العربية والإسلامية سياسة استراتيجية غربية ثابتة، للمحافظة على مصالحهم ومواقعهم، وديمومة هيمنتهم وسيطرتهم على العالم. وبمقارنة يسيرة بين العرب وتاريخهم وأمجادهم والكوريتين وفيتنام التي تعتز بلغاتها، وتعلم وتعمل وتفكر وتعيش بلغاتها الوطنية، بل وتنافس بها العالم، ولم تمنعها لغاتها الوطنية من أن تتواجد في الأسواق العالمية، وتقارع العالم حتى عسكريًّا، بل على العكس أثبتت أن تشبثها بثقافتها ولغتها ومرجعياتها، وسيادتها على أراضيها وعقول وألسنة مواطنيها هي سبب تفوقها ونجاحها. ومع هذا هناك فرق بين اللغة العربية وبقية لغات العالم لأسباب كونية، ودينية، وفق قانون سماوي، لا يملك أحد تغييره، وقد أوجب على المسلمين التمسك باللغة العربية والدفاع عنها؛ لأنها مرتبطة بدورهم ووجودهم في الحياة، ولن يحاسبوا على جوازاتهم وبطاقاتهم وأعراقهم، ولكن سيسألون عن لغة دينهم ودينهم اللذين أمر الله بهما. تستمد الهويتان العربية والإسلامية مكانتهما وشرعيتهما من الدين الإسلامي، لأنهما مرتبطتان بالعبادة والقرآن الكريم، وبالعلاقة بين الإنسان وربه، بصرف النظر عن الهويات والأعراق المختلفة التي ينتمي إليها المسلم، والتي لن يحاسب عليها مثل محاسبته على تعلم الإسلام ولغته التي بموجبها يعرف واجباته ومسؤولياته الدينية، وينجزها على خير ما يرام، من خلال تعلم اللغة العربية، لغة الإسلام التي اختارها الله لعبادته ولكلامه وكتابة القرآن الكريم، وميزها عن بقية اللغات، كونها لغة غير عرقية، وتعد من الهويات الكبرى، شأنها شأن الدين والهوية الإسلامية، وفق الآيات التي وردت في القرآن الكريم.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

وقد نشأت اللغة العربية منطلقة من أول بيت وضع للناس، وتطورت حوله حتى وصلت أعلى درجات الكمال والوضوح والفصاحة؛ لأنها مرتبطة بآخر رسالة، وآخر رسول، وآخر كتاب سماوي، وبأول بيت وضع للناس، وبالدين الإسلامي، الذي هو دين الأنبياء والرسل جميعًا كما ورد في القرآن الكريم.

وتعد اللغة العربية قضية كل مسلم مهما كانت لغته وجنسيته وهوياته الأخرى التي يعتز بها، وتعد من الهويات الصغرى التي لن يحاسبه الله عليها، إلا أنه محاسب على عدم تعلمه للغة كلام الله القرآن الكريم؛ لأنها جزء من القرآن ولا تتم العبادة إلا بها بأمر رب العالمين. ونظرًا لأهمية ومكانة وتاريخ العربية، وارتباطها بدور الإنسان المسلم في الحياة، وبالدين والصلاة والعبادة وقراءة القرآن وفهم الدين، ومعرفة الحقوق والواجبات والتدبر والتفكر في كلمات القرآن ومعانيه، لهذا فإنها واجبة شرعًا على كل مسلم يدرك ويعي أن الصلاة والعبادة وقراءة القرآن واجبة عليه إذا كان مسلمًا حقيقيًّا، ويؤمن بكتاب الله، وذلك وفق القاعدة الشرعية التي تنص على أن "مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب". لهذا فإن اللغة العربية من أولى المسؤوليات السياسية التي تتعلق بأنظمة الحكم والدساتير في الدول العربية والإسلامية، وترتبط ارتباطًا مباشرًا بالسيادة والاستقلال والوحدة الوطنية، وبإعادة إنتاج المجتمع، والمحافظة على الأجيال القادمة من الذوبان في مشاريع أجنبية تهدف إلى التغريب، وتعميق التبعية للقوى الأجنبية وثقافتها وأنظمتها وسياساتها في المجتمعات العربية والإسلامية. أو تكون جزءًا من سياسات التفكيك الداخلي باسم العرقيات والأقليات التي تتخذ اللغة طريقًا للانفصال وتفتيت الدول من الداخل.

ويتحمل القادة والمسؤولون في الدول العربية والإسلامية المسؤولية الأولى تجاه اللغة العربية وضعفها وتهميشها وإقصائها وعدم تمكينها في المؤسسات الحكومية والأهلية والأجنبية التي تعمل داخل الدول سواء كانت تعليمية أم اقتصادية أم غيرها، علاوة على مسؤولية الفرد المسلم عن لغة دينه، كما أن الأسرة والمدرسة والجامعة والمؤسسات التعليمية وسوق العمل والإعلام، والمؤسسات الثقافية والصناعية والتجارية والإدارية والقضائية والتشريعية والرقابية والجزائية وغيرها من المؤسسات الحكومية والأهلية تتحمل المسؤولية كل حسب وظيفته ومسؤولياته، لأنهم هم من يملكون الصلاحيات والقرارات لسن الأنظمة والتشريعات

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

والسياسات، وفرضها بقوة القانون من أجل المصلحة العامة والأمن الوطني، وإيجاد المواطن الصالح الذي يعتز بهويته ولغته ووطنه، من خلال الولاء والانتماء والتمسك بمنظومة القيم والأخلاق الوطنية التي تحمي المجتمع ومؤسساته المختلفة من التفكيك والانصهار في مشاريع أجنبية تحارب اللغة العربية والدين الإسلامي والقيم والأخلاق والثوابت الوطنية والإسلامية، تحت عناوين مفتعلة باسم محاربة الإرهاب والتشدد والتعصب والانحراف الفكري وغيرها من المصطلحات التي ابتكرت لأسباب أمنية، وكُرِّسَت وفق السياسات الغربية لضرب اللغة العربية والدين الإسلامي في البيت والمدرسة والمسجد والجامعة والمؤسسات الوطنية، وسوق العمل والإدارة والتجارة والإعلام والثقافة وفي شؤون الحياة اليومية جميعها. في الوقت الذي يشجع فيه كل ما يتعلق بالتغريب وتفكيك الأسرة والمجتمع ويهدد الأمن والوحدة والسيادة والاستقلال الوطني للدول العربية والإسلامية.

كما أن الأسرة والمدرسة والجامعة وسوق العمل والإعلام هي أخطر المؤسسات التي تسهم في العبث بالهوية العربية الوطنية والإسلامية من خلال عدم الاهتمام باللغة العربية بصفتها لغة وطنية ولغة الدين الإسلامي، ويجب أن تصدر تقارير ذاتية وطنية عن الأذى الذي يلحق بالمواطنة والوطن والمواطن والاستقرار والوحدة الوطنية نتيجة استخدام اللغات الأجنبية على حساب اللغة العربية، واللغة الوطنية مهما كانت في الدول الإسلامية.

إن المسؤولية مشتركة في المحافظة على اللغة العربية بين القادة والمسؤولين في الدولة وبين الأفراد والأسرة والمجتمع والمؤسسات الحكومية والأهلية؛ لهذا يجب أن يعدّ إقصاء اللغة العربية وتهميشها وعدم العمل والتعامل والتواصل بها في المؤسسات الحكومية والأهلية جريمة قانونية، أسوة بجريمة إهانة العلم الوطني أو العملة الوطنية التي تعد من أخطر الجرائم، فكيف بمن يعتدي على لغة الدين والدولة، أليس هذا أشد جرمًا واعتداء على السيادة والقيادة والهوية رمز الوجود؟ لهذا يجب أن تكون هناك مؤسسة للرقابة والمتابعة للشأن اللغوي، قبل أن تتحول الأجيال القادمة إلى مصدر تهديد للأمن الوطني والوحدة الوطنية، وتفرط في ثوابتها ومرجعياتها وأوطانها ومكتسباتها وتاريخها وثقافتها ودينها ودولها ورموزها وقادتها وأنظمتها. والشواهد على هذه التحولات قائمة؛ لهذا يجب معالجتها قبل أن تتحول إلى ظاهرة تهدم كل ما بنته الأجيال السابقة عبر مئات وآلاف السنين.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

وأخيرًا، فإن الاستقرار السياسي، والقوة والمنعة والتفوق والنهضة والتطور العلمي والمعرفي والتقني والصناعي والعسكري والأمني، إضافة إلى التطور الفكري والفلسفي والتنموي والاجتماعي والأخلاقي، كلها مرهونة بالتفوق اللغوي الذي يعد المحرك الأساس للفكر، وصانع الوعي، وآلة الإبداع، وفاتح الآفاق، وهو الذي يبصر به الإنسان الحقائق، ويطلع به على العوالم والأسرار الكونية، ويمكنه من إيجاد الطرق والوسائل العلمية التي تسهم في فهم أكثر للحياة وللكون. ولمن أراد أن يعرف أسباب قوة قوم ومكانتهم وتفوقهم، فليسأل عن لغتهم التي توحدهم وتساوي وتؤاخي بينهم، وتمكنهم بالمهارات والقدرات التي بها يفكرون ويبدعون وينتجون ويتعاملون ويتواصلون ويعملون ويبيعون ويشترون، ويعيشون في تجانس وتناغم وتكامل يؤهلهم للقيادة والريادة والتفوق محليًّا وعالميًّا في المجالات جميعها. وكما يقول فلاسفة العولمة، انجح وتفوق داخليًّا وفكر عالميًّا، لا بمعنى أن تكون جزءًا من تفوق الآخر وثقافته ومشاريعه، ولكن بمعنى تحويل ثقافتك ومنتجاتك إلى منتجات عالمية منافسة، وفق ثوابتك ومرجعياتك وقيمك وأخلاقك وهويتك، ومصالحك ووجودك، وأمنك المستقبلي، في ظل التنافس العالمي على النفوذ والمصالح والاستحواذ على الإنسان والأوطان والموارد الاقتصادية.

> أن الأسرة والمدرسة والجامعة وسوق العمل والإعلام هي أخطر المؤسسات التي تسهم في العبث بالهوية العربية الوطنية والإسلامية من خلال عدم الاهتمام باللغة العربية بصفتها لغة وطنية ولغة الدين الإسلامي، ويجب أن تصدر تقارير ذاتية وطنية عن الأذى الذي يلحق بالمواطنة والوطن والمواطن والاستقرار والوحدة الوطنية نتيجة استخدام اللغات الأجنبية على حساب اللغة العربية، واللغة الوطنية مهما كانت في الدول الإسلامية.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى

ونذكر أنه لا يمكن إحداث أي تغيير إيجابي، على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والمؤسسات الحكومية والأهلية والدول، إلا بمراجعة وتقييم ونقد الحال والواقع الذي نحن وأنتم فيه، قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (9) سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (10) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ (11)﴾ سورة الرعد.

وبهذا، أرجو أنني وفقت في فتح باب النقاش والحوار والبحث العلمي الجاد، الذي يبحث عن الحقيقة العربية والإسلامية، من مصادرها الأولية، وأولها القرآن الكريم، بوصفه أحد أهم المصادر والمراجع التاريخية للبشرية، مثل ما تعد التوراة والإنجيل والكتب الدينية من الوثائق والمراجع التاريخية التي يعتمد عليها السياسيون الغربيون في الحروب القائمة حول العالم، مع ضرورة دراسة ونقد وتحليل ومقارنة ما يكتب عن هذه المسألة من قبل العرب والمسلمين، وغيرهم من الباحثين والمؤلفين والمنظرين والسياسيين والأمنيين والإعلاميين في الدول الأجنبية، غربًا وشرقًا، وشمالًا وجنوبًا.

وأخيرًا، إلى اللّه المعاد..

99

قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (9) سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (10) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ (11)﴾ سورة الرعد.

جميع الحقوق محفوظة © علي عبدالله موسى